

تأليف

أحمد حسين شرف الدين

١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م

مطبعة الكيلاني

٢٢ شارع غيط العدة — ت ٩١٨٥٩٨

٢٨ شارع البستان — ت ٥٠٩٧٢



تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن

تأليف
أحمد حسين شرف الدين

١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م

مطبعة الكيلاني
٢٢ شارع غيط العدة ـ ت ٩١٨٥٩٨
٢٨ شارع البستان ـ ت ٥٠٩٧٢

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله الحمد وبه الاستعانة ومنه التوفيق ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونصلّى ونسلم على سيدنا محمد النبي الأمين المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله المطهرين وصحبه الأكرمين .

وبعد ، فإنه قد عُنى الكثير من الباحثين بدراسة تراث الإسلام فى كثير من الأقطار الإسلامية ، بقدر ما عُنى به الباحثون الغربيون من دراسة الأديان الأخرى ونشر آراء الإغريق والرومان والبحث عن نظرياتهم وفلسفاتهم ، ولكن التراث الإسلامى فى اليمن ظلّ حتى الآن ومع مزيد الأسف فى زوايا الإهمال ، لم تتناوله أيدى البحث ، ولم يحظ بشىء من الدراسة والنشر ، وذلك يعود إلى أسباب كثيرة ، أهمها الإنعزالية التى مُنيت بها البلاد منذ قديم العصور .

ومما لا شك فيه أن التراث الإسلامى فى اليمن لا يتعارض فى أصله ولا يتباين فى جوهره مع التراث الإسلامى فى غيره من الأقطار الاسلامية الأخرى ، ولكنه يختلف نوعاً ما فى بعض الآراء المذهبية ، العقائدية منها والفقهيّة ، مع تخريجات علمية وآراء إجتهادية ، إضطلع بها فطاحل من علماء اليمن لها شأنها فى ميدان العلم وحقل البحث والنظر .

ولقد كانت تلك الآراء والنظريات نتيجة بحث عميق وتفرغ مئات من السنين ، ومع هذا لم يُتحْ لها حتى الآن البروز خارج اليمن والخروج عن دائرتها الإنعزالية ، لتأخذ مكانها اللائق بها فى مدارج البحوث العلمية والفلسفية .

لقد ظلت اليمن منذ فجر الإسلام مرتعاً خصباً ومسرحاً واسعاً لتلقى العلوم الإسلامية ودرسها ، ووضع المؤلفات العديدة فى كافة أنواعها ومختلف فنونها عبر سنين طويلة وعصور متوالية كانت اليمن فيها مدرسةً رحبة إزدهرت فيها العلوم والمعارف ، وتخرج منها رجال مجتهدون حملوا على كواهلهم مهمة تخريج الآراء ،واستنباط الاحكام،ووضع المؤلفات القيمة والمخطوطات الثمينة التى تزخر بها مكتبات العلوم الإسلامية فى شتى بقاع العالم ،لا تزال رموزاً للثقافة الإسلامية، الأمر الذى لفت أنظار الباحثين من العرب والأجانب حالياً للقيام بدراستها والتعرف على أحوال واضعيها من رجال اليمن .

ومنذ وقت قصير إطلعت على عدة مؤلفات حول الفكر الإسلامى ومذاهبه ، بعضها عربية وأخرى أجنبية ، ولكنى وجدتها — مع الأسف — غير مستوفاة ، لأنه ينقصها نظريات الكتاب والمؤلفين اليمنيين ، وما تحمل فى طياتها من ثقافة إسلامية رفيعة .

وكان غرض المساهمة فى إحياء التراث اليمنى ونشر علومه بالنسبة لى هو الدافع الأكبر والحافز الرئيسى ، وما ذلك إلا طمعاً فى المشاركة فى حمل هذه الرسالة العظمى ، واقتداءا بأولئك الأماثل الذين كرسوا حياتهم فى نشر علوم الإسلام ، ليفتحوا بها آذاناً صماء ، وقلوباً عمياء ، وأى قولٍ أجلّ وعملٍ أفضل من نشر مبادىء الدين وأفكار الإسلام ، عملاً بقوله تعالى : « ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين » ، سائلاً الله سبحانه وتعالى الهداية والتوفيق ، فإنه لا هداية إلّا بنوره ولا توفيق إلا بتدبيره .

ولا غرو فإننا معشر المسلمين — وفى هذا الوقت بالذات — لفى أمسّ الحاجة لوجود نخبة من رجال الفكر السليم وحملة العلم الصحيح تقوم بتجميع تراث الإسلام وإعطائه حقه من الدراسة والتمحيص ، ثم إخراج قواعده فى

مذهب موحّد ، يُتخذ كقانونٍ عام لكافة الأقطار الإسلامية كخطوة أولى فى سبيل الوحدة الإسلامية الشاملة التى هى الأساس الوحيد فى نجاح المسلمين ورفعة شأنهم .

لقد قدّم العرب إلى العالم قبل الإسلام حضارةً رفيعة ومدنيةً زاهرة إعتبرها المؤرخون أعجوبة من أعجوبات التاريخ ، كما حملوا بعد ذلك رسالات الإسلام إلى أواسط آسيا وجنوب أوروبا وغربى أفريقيا ، فقد خفقت على أكتافهم راياته فى الصين ومنغوليا شرقاً ، وفرنسا شمالاً ، والمحيط الأطلسى غرباً ، وأصبح الإسلام بما جاء به من أهداف سامية وعدالة إنسانية وأنظمةٍ متينة ثورةً اجتماعية ، خضعت لها كسروية فارس ، واهتزت منها إمبراطورية الرومان ، لولا الانشقاق الكبير فى صفوف المسلمين ، والانقسام الطائفى والمذهبى ، والتطاحن العائلى الذى ما تزال الأمة الإسلامية تعانى منه حتى اليوم ، بالإضافة إلى الإساءات التى وجهت إلى هذا الدين من جهلته ، والدسائس من أعدائه ، والتى كان سببها فساد نظمه وانعكاس مفاهيمه ، فجعلت منه فى نظر الأجنبى مجرد خرافات وأساطير وجمود .

ومما لا شك فيه أن عظمة العرب وكيان الأمة الإسلامية التى أحرزوها بالإسلام لن تعود إليهم إلا به ، ولن يستعيدوا مجدهم الغابر إلا بتجديد الدعوة الصحية إليه ، ولن يتم لهم ذلك إلا بالإعداد الكامل الذى استعد به عظماء الإسلام من القدماء ، فقهاء ومثقفين ، وعلماء ومحدثين ، وقادة وموجهين .

إن التراث الإسلامى هو تراث إنسانى شامل ، وهو بالنسبة للمسلمين أغلى ما يجب أن يحرصوا عليه ويضنّوا به ، إذ هو كنز لا يساويه أى كنز وتراث لا يضاهيه أى تراث ، وهو القانون الوحيد الذى يصلح أن يكون نظاماً عاماً شاملاً ، ولكن فائدته تتوقف أولا وقبل كل شىء على صحة فهمه وعلى العمل بما جاء به من نظُم ، وما تضمنه من آداب ، وما أودع الله سبحانه فيه من قيم وأخلاق . وفق الله المسلمين إلى الخير وهداهم إلى السداد والرشاد ، إنه سميع مجيب .

الفصل الأول

(اليمن فى فجر الإسلام)

يرجع تاريخ ظهور الإسلام فى اليمن إلى الوقت الذى هاجر فيه نبى الإسلام وحامل رسالة الله إلى كافة خلقه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة ، وكان اليمنيون — الأوس والخزرج — فى يثرب هم الذين رحبوا بنزله وأكرموا وفادته،وشدّوا أزره واعزّوا أمره ؛ ومن اليمن بادرت وفودها برئاسة أذوائها وأعيانها ملبين دعوته ومصدقين برسالته .

وكانت قبل ذلك ـ وفى غضون القرن الأول للميلاد ـ مسرحاً للصراع بين ديانات ثلاث :

الأولى : الديانة الوثنية ، وهى الديانة الأصلية التى تمركزت فى جنوب الجزيرة العربية منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد حسبما حققنا ذلك فى كتابنا (اليمن عبر التاريخ) .

الثانية : الديانة اليهودية ، وقد ظهرت فى اليمن فى أواخر القرن الأول للميلاد بواسطة اليهود الذين هاجروا إلى اليمن بعد أن هدّم الامبراطور الرومانى (تيتوس) هيكل (أورشليم) فى عام ٧٠ م .

الثالثة : الديانة المسيحية ، التى جاء بها الأحباش فى أوائل القرن السادس الميلادى ، بعد حادثة (الأخدود) فى نجران والمذكورة فى سورة (الأخدود)

وكان للإحتكاك الدينى بين اليهودية والمسيحية أثره البالغ فى خلق جوّ سياسى صيّر من البلاد مستعمرةً للنجاشى الذى كان بدوره خاضعاً للسياسة الدينية الرومانية(١) .

---

(١) راجع (اليهودية والنصرانية فى اليمن) فى كتاب اليمن عبر التاريخ ص(١٥٥) المؤلف.

وقد أحدث الإحتلال الحبشى إنقساماً فى صفوف أقيال اليمن وأذوائها ، وأوجد تصدعاً كبيراً فى وحدتهم الوطنية ، مما جعل كلاً منهم يلجأ إلى معقله ويمتنع بحصنه ، حتى جاءت ثورة سيف بن ذى يزن فى مطلع القرن السابع الميلادى ، التى أطاحت بالسيطرة المسيحية .

وهذه الثورة — وإن كانت قد أدخلت اليمن فى إطار جديد من إحتلال الفرس المجوسى — فقد كان لها فضل كبير فى طرد الأحباش الذين كان لإحتلالهم الأثر البالغ فى تمزيق اليمن وهدم حضارته ، كما كانت خطوة أولى فى سبيل لمّ شعث أهلها وضم شتاتهم ، بل إنها تعتبر فى نظر المؤرخين الخطوة التمهيدية لانضوائهم جميعاً تحت راية واحدة وهى راية الإسلام .

لقد كان أهل اليمن فى هذا الظرف بالذات ، وبعد ما أصاب حضارتهم بالاضمحلال ووحدتهم بالتفسخ ودينهم الأصلى بالضعف فى أمسّ الحاجة إلى راية حق تجمعهم ونظام صحيح يوحد بين صفوفهم ، ودين هدىً يهديهم إلى الصراط المستقيم ، ويطهر عقولهم من الخرافات والضلال فكان نور الإسلام بالنسبة لهم خاصة النور الوضّاء والقبس الساطع والفرصة الذهبية لإنقاذهم من ديجور الظلام ومن غياهب الفوضى والتمزّق .

ولهذا فإنه ما كاد صوت الدعوة النبوية المحمدية يصل إلى أسماع أهل اليمن حتى هبّ عدد كبير من زعمائهم إلى رائد الإنسانية الأكبر ومنقذ البشرية الأعظم ، معلنين إيمانهم بدعوته وتصديقهم برسالته وباذلين نفوسهم ونفيسهم فى نصرته وإعلاء شأنه وتأييد كلمته .

وقد روى الكثير من المحدثين أخباراً تفيد استبشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الاستجابة الكبرى والتصديق اليمنى الشامل به وبما جاء به ، ودخول أهل اليمن فى دين الله أفواجاً ، فقد روى البخارى فى صحيحه والترمذى

فى سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى (صلى الله عليه آله وسلم) قال عند ورود أهل اليمن : « أتاكم أهل اليمن هم ألين أفئدةً وأرق قلوباً ، الإيمان يمان والحكمة يمانية » .

وفد الأشعريين :

وكان أول وفد يمنى يفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة وفد الأشعريين من أهل زبيد السكون من أبى موسى عبد الله ابن سليمان الأشعرى وأخويه أبو بُردة وأبو رهم ، ومعهم إثنان وخمسون من أصحابهم .

قال أبو موسى : « بلغنا مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى اليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه ، وأنا أصغر أخوتى ، فركبنا سفينةً ، فبلغنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبى طالب ، فأقمنا معه جميعاً ثم وافينا النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبراً فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ، وقد جاء أن أبا موسى وأصحابه كانوا يرتجزون قبيل لقائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم :

غداً نلقى الأحبَّه محمداً وصحبَه

وروى عن جبير بن مطعم عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقال : « أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب ، هم خيار من فى الأرض ، فقال رجل من الأنصار : إلّا نحن يا رسول الله فسكت ، ثم قال : إلّا نحن يا رسول الله ، فسكت ، ثم قال : إلّا نحن يا رسول الله ، فقال : إلّا أنتم كلمةً ضعيفة » .

وفد نجران :

ومن أهل نجران بنو عبد المدان ، وفيهم السيِّد والعاقب ، وقد طلبا من

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم رجلا أمينا ، فبعث معهم أبا عبيدة ابن الجراح أمين هذه الأمة .

وفد همدان :

ومن همدان مالك بن نَمْط بن قيس بن مالك ذو المشمار وأصحابه من خارف ويام وشاكر ، وفيهم مالك بن أيفع وضمّام بن مالك السلمانى وعيرة ابن مالك الخارف ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية يمتطون الرواحل المهرية وهم يرتجزون :

إليك جاوزْن سواد الريفِ   فى هبوات الصيف والخريفِ
مخطمات بخطام الليفِ

ويقولون أيضا :

همدان خير سوقةٍ واقيال   ليس لها فى العالمين امثال
محلّها المضب ومنها الابطال   لهم إطابات بها وآكال(١)

وقد ألقى مالك بن نَمْط بين يدى رسول الله (ص) الأبيات التالية :

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجى   ونحن بأعلى رحرحان وصلدد

ومنها :

حلفت برب الراقصات إلى منًى   صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق   رسول أتى من عند ذى العرش مهتدى
فما حملت من ناقة فوق رحلها   أبرّ وأوفى ذمةً من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه   وأمضى بحدٍّ المشرفىِّ المهنّدِ

(١) الاطابات والآكال : المآكل الطيبة .

وفد كنده :

ومن كندة أحد ملوكها الأشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبلة ومعه سبعون راكباً من قبيلته قال ابن سعد: «هو صاحب مرباع حضرموت.

وفد المعافر :

ومن سلاطين المعافر(١) الأبيض بن حمّال المأربى السبئى ، وقد استقطع النبى (ص) لما وفد عليه الملحَ الذى بمأرب فاقطعه إيّاه ، فقـال الأقرع بن حابس التميمى : يا رسول الله إنى وردته بالجاهلية وأنه مثـل الماء العذب من ورده أخذه ، فاستقال النبى (ص) من الأبيض بن حمّال ، فقال : قد أقلتك يا رسول الله على أن تجعله منى صدقة ، فقال : « هو منك صدقة ، وهو مثـل الماء العذب ، ثم سأل النبى (ص) عن حِمَى الأراك ، فقال النبى (ص) : « لا حمًى فى الأراك » .

وفى حديث آخر كما جاء فى الإصابة لابن حجر ، أن أبيض بن حمال كان بوجهه حزازة وهى القوباء فالتقمت أنفه فمسح النبى (ص) على وجهه فلم يمسِ ذلك اليوم وفيه أثر .

وفد حمير :

ومن حمير الحارث بن عبد كلال الحميرى أحد أقيال اليمن وأخواه نعيم والنعمان أقيال ذى رعين ومعافر وهمدان ومعهم كتاب من زرعة

---

(١) المعافر : أحد مخاليف اليمن وهو ما يسمى الآن بالحجرية ، ومخاليف اليمن قسمان: «١» كبرى «٢» صغرى ، فالكبرى ثلاثة : صنعاء، والجند، وحضرموت ؛ والصغرى كثيرة منها المعافر (الحجرية) ، الجند (تعزوما حولها) ، جعفر (إب وجبلة) ، يحصب (يريم) السكاسك ، الجند السكون (السحول) ... الخ .

ابن سيف بن ذى يزن أحد ملوك حمير ، قال فى الإصابة[١] أن النبى (ص) أفرش للحارث رداءه وقال قبل أن يدخل عليه : « يدخل عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين صبيح الخدين » ، وقال ابن إسحق : قدم على رسول الله (ص) مقدمه من تبوك كتاب ملوك حمير باسلامهم ، منهم الحارث بن عبد كلال ، وكان النبى (ص) قد أرسل إلى الحارث بن عبد كلال المهاجر ابن أبى أمية فأسلم ، وكتب إلى النبى (ص) شعراً يقول فيه :

ودينك دين الحق فيه طهارة وأنت بما فيه من الحق آمر

وفد حضرموت :

ومن حضرموت وائل بن حجر الحضرمى أحد أقيال حضرموت، وقد قال فيه رسول الله (ص) : « هذا وائل سيد الأقيال » وجاء فى الإصابة عن أبى عبيد أن النبى (ص) كتب لوائل بن حجر الحضرمى ولقومه : « من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حضرموت باقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، على التيعة شاة والتيمة لصاحبها ، وفى السيوب الخمس ، لاخلاط ولا وراط ، ولا شناق ولا شغار ، ومن أجبى فقد أربى وكل مسكر حرام[٢] » .

وفد مراد :

ومن مراد فروة بن مسيك المرادى ، وقد استعمله النبى (ص) على مراد وزبيد ومذحج ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة

---

(١) ج ١ / ٢٨٣

(٢) التيعة : الأربعون من الغنم ، والتيمة : مازاد على الأربعين ، وقيل الشاة التى السائمة والسيوب الركاز ، والخلاط من الخليطين ، والوراط : الخديعة ، والشناق : الوقص ، والشغار فى النكاح يتزوج الرجل أخت صاحبه ويزوجه أخته من غير مهر أجبى : باع الزرع قبل بدو صلاحه .

فكان معه فى اليمن حتى توفى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فارتد عمرو بن معدى كرب فيمن ارتد ، وقال فى فروة أبياتاً منها :

رأينا ملك فروة شر ملك . . . الخ

وجاء فى الإصابة أن فروة قد فارق اليمن ورجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بسبب ما حدث من ملوك كندة وغزوهم لمراد مع همدان وإثخانهم لهم ، وكان قائد همدان الأجدع والد مسروق ، فلما رحل فروة قال فى طريقه :

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نسائها

يممت راحلتى أمام محمد أرجو فواضلها وحسن ثرائها

قال : فبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردة ؟ » فقال : يارسول الله من ذا الذى يصيب قومه مثل الذى أصابهم ولا يسوءه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « أما أن ذلك لم يزدقومك فى الإسلام إلا خيراً » . واستعمله صلى الله عليه وسلم على مراد ومذحج وزبيد كلها .

وفد الأزد :

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرَد بن عبد الله الأزدى فأسلم وحسن إسلامه ، وكان فى وفد من الأزد فأمَّره على من أسلم من قومه كما أمَره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن.

وممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيروز الديلمى ، ويكنى أبا عبد الرحمن ويقال له الحميرى لنزوله بحمير ، وهو من أولاد فارس من مواليد صنعاء ، قال فى الإستيعاب لابن عبد البر(١) : «كان ممن وفد على النبى صلى الله

---

(١) ص (١٩٩) .

عليه وسلم،وهو قاتل الأسود العنسى الكذاب الذى ادّعى النبوة فى اليمن ، والذى جىء برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،ومن طريق أخرى قال : أتى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء الليلة التى قتل فيها الأسود العنسى فخرج ليبشرنا فقال : «قُتل الأسود العنسى البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين ، قيل ومن قتله يا رسول الله ؟ قال : فيروز الديلمى» .

وجاء فى الإصابة فيما أخرجه أبو داود والترمذى عن طريق ابن فيروز الديلمى عن أبيه قال:قلت يا رسول الله إنى أسلمت وتحتى أختان قال : «طلّق أيتهما شئت » (١) .

---

(١) ج ٣ ص ٢٠٥

الفصل الثانى

(أول مدرسة إسلامية فى اليمن)

لم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعليمه لأهل اليمن وهدايتهم إلى الإسلام بما زود به وفودهم من التعاليم والوصايا ، وما كتبه إلى أهل اليمن خاصة من الخطابات والرسائل المفسرة لأحكام الصلاة والزكاة وغيرهما من الفرائض ، بل بعث إليهم عدداً من خيرة أصحابه وأكرمهم فضلاً وأغزرهم علماً ، أمثال أخيه ووزيره وباب مدينة علمه ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام وساعده فى دعم هذا الدين وعضده فى قتال الكفار والمشركين الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ثم أحد أعلام صحابته أبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنه وغيرهما لهداية الناس وإرشادهم لتعاليم الإسلام والقضاء بينهم[1] ، ثم أتبعهما بعماله على الصدقة ، وفى هذا أكبر دليل على إهتمامه صلى الله عليه وسلم بهذا البلد وحبه لأهله ، وفيما يلى سوف نورد طرفاً مما روى .

الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

وقد زار اليمن ثلاث مرات وقيل مرتان فقط ، أولها إلى نجران لقبض الصدقة ثم منها إلى صنعاء ومعه خالد بن الوليد والبراء بن عازب الأنصارى وبُريدة بن الحصيب الأسلمى ، وثانيهما إلى صنعاء فى السنة العاشرة قبيل حجة الوداع ، وروى عنه أنه قال : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً ، فقلت يا رسول الله ، أتبعثنى وأنا شاب وهم كهول ، ولا علم لى بالقضاء ، فقال : إنطلق فإن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك ، قال على : فوالله

(١) فى بعض الروايات مايدل على أن إيفاد معاذ كان قبل إيفاد الإمام على رضى الله عنهما.

ما تماريت فى شىء بعده » . وفى رواية أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: اللهم اهد قلبه ، قال : « فما شككت فى قضاء بين إثنين » .

وقد جاء فى الإصابة وفى غيرها من كتب السير أنه لم تكد أقدامه تستقر بصنعاء حتى اجتمعت إليه قبائل همدان فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت همدان فى يوم واحد ، فخر ساجداً ثم رفع رأسه وقال : « السلام على همدان » .

وقد وصل الإمام على كرام الله وجهه إلى عدن أبين وخطب على منبرها خطبةً بليغة ، ولقى النبى صلى الله عليه وسلم عند عوده بمكة فى حجة الوداع ، فقال له : بم أهللت؟ قال بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأمسك فإن معنا هدياً .

معاذ بن جبل رضى الله عنه :

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له لما بعثه إلى اليمن : بما تقضى ؟ قال بكتاب الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله .

وفى رواية أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له:«إنك تقدم على قوم فى اليمن من أهل الكتاب، وأنهم أول ما يسئلون عن مفتاح الجنة ماهو؟فقل لهم مفتاح الجنة لا إله إلا الله وقفلها الشرك بالله عز وجل ، فإذا قلت ذلك قبلوه منك وسمعوا وأطاعوا.إنطلق يامعاذ وأحسن فى القوم ذكراً وكن لطيفاً رحيماً ».

وروى البخارى عن أبى هريرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن ، إنك ستأتى قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن

محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

وروى البخارى فى صحيحه عن عمر بن ميمون : أن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ سورة النساء ، فلما قرأ « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » قال رجل من خلفه : « قرّت عين أم إبراهيم » .

وقد أقام معاذ باليمن سنة كاملة كما جاء فى الإصابة ، ووصل إلى الجند وبنى فيها الجامع المشهور الذى ما زال عامراً حتى اليوم .

هذا وقد خلّف لنا كل من الإمام على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما آثاراً كثيرة من التعاليم والأقضية فى مختلف الأحكام الشرعية والأحاديث ، وهى مذكورة فى مواضعها من كتب الحديث والفقه عند أهل اليمن وغيرهم . ومن أصحابه الذين بعثهم النبى صلى الله عليه وسلم كقضاة وعمال إلى اليمن :

أبو موسى الأشعرى :

هو عبد الله بن قيس بن سليم من قبيلة الأشاعر بتهامة اليمن ، سبق الإشارة إلى قصة وفوده إلى النبى (ص) مع بعض قومه قبل هذا ، وقد بعثه النبى (ص) عاملا على زبيد وعدن وما بينهما من السواحل . قال البخارى بعث رسول الله (ص) أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن وقال لهما : « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا « وتطاوعا » ، فقال أبو موسى يانبى الله إن أرضنا بها شراب من الشعير المزر وشراب من العسل البتع فقال رسول الله (ص) : « كل مسكر حرام » ، فانطلق كل منهما إلى عمله .

خالد بن الوليد :

جاء فى الإستيعاب فى ترجمة عمرو بن حزم أن النبى (ص) بعثه إلى أهل نجران فأسلموا ، وقد أورد له ابن حجر ترجمة مطولة فى كتابه (الإصابة فى أسماء الصحابة) وكذا ابن عبد البر فى (الاستيعاب) ، وخالد بن الوليد رضى الله عنه معروف بإيمانه وجهاده ، ويكفينا أن النبى (ص) قال فيه بأنه سيف من سيوف الله ، وفى هذا مايكفى عن الإطالة هنا .

جرير بن عبد الله البجلى :

قال ابن حجر فى الإصابة : « قال جرير لما بعث النبى (ص) أتيته فقال : ماجاء بك ، قلت جئت لأسلم فألقى إلى كساءه وقال : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » . وكان يسميه عمر رضى الله بيوسف هذه الأمة لجمال وجهه . وقد بعثه رسول الله (ص) إلى ذى الخلصة ، وكان يقال لها الكعبة اليمانية ، وقال له رسول الله (ص) : هل أنت مريحى من ذى الخلصة ؟ قال فنفرت إليه فى خمسين ومائة فارس من أحمس فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده ثم أتينا رسول الله (ص) وأخبرناه فدعا لنا » ، كما بعثه إلى ذى الكلاع وذى رعين وذى ظليم باليمن . وقال جرير : كنت باليمن فلقيت رجلين منهما ذو الكلاع الحميرى واسمه سميفع وذو عمرو الحميرى ، فجعلت أحدثهما عن رسول الله (ص) ، فقال لى ذو عمرو : إن كان الذى تذكر من أمر صاحبك حقاً لقد مر على أجله منذ ثلاث ، وأقبلا معى حتى إذا كنا فى بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة فسألناهم عن رسول الله (ص) فقالوا : قبض رسول الله (ص) واستخلف أبو بكر والناس صالحون ، فقالا : أخبر صاحبك إنا قد جئنا ، ولعلنا سنعود إن شاء الله تعالى ، فرجعا إلى اليمن وأخبرت

أبا بكر بحديثهما ، فقال : ألا جئت بهما؟ فلما كان بعد قال لى ذو عمرو : ياجرير إن لك علىّ حقاً وإنى مخبرك خبراً : إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم أمراء إذا هلك أمير تأمرتم فى آخر فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكا يغضبون غضب الملوك ويرضون رضاء الملوك» أخرجه البخارى (١) .

باذام :

كان عامل فارس فى اليمن ، ولما سمع ببعثة النبى (ص) وهجرته إلى المدينة كتب إلى رسول الله (ص) بإسلامه مع كثير من أهل اليمن فأبقاه النبى (ص) عاملا على صنعاء ونواحيها .

عمرو بن حزم الأنصارى :

قال فى الإستيعاب : « منهم من ينسبه فى مالك بن جشم من الخزرج ومنهم من ينسبه فى بنى ثعلبة بن زيد بن مناة ، ويكنى أبا الضحاك . إستعمله النبى (ص) على أهل نجران وهم بنو الحارث بن كعب وهوابن سبع عشرة سنة ليفقههم فى الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم ، وذلك سنة عشر بعد أن بعث إليهم خالدبن الوليد فأسلموا ، وقد كتب له النبى (ص) كتابا فى الفرائض والسنن والصدقات والديات . مات بالمدينة » ، وكتاب النبى (ص) إلى عمرو بن حزم من الأحاديث الطوال ويشتمل على عدد من الأحكام فى الزكاة والديات وهو من أدلة الانتصار للامام يحيى بن حمزة ، والبحر للامام المهدى وغيرهمامن الزيدية وأهل المذاهب الأخرى .

عكاشة بن ثور :

وقد بعثه النبى (ص) عاملا على مخلاف السكاسك والسكون (٢) .

---

(١) جزء (١) ص ٢٣٤ .

(٢) كان يطلق قديماً على مخلاف الجند والسحول .

عامر بن شهر الهمدانى :

ويقال له البكيلى[١] والناعطى[٢] ، وهو أول من اعترض على الأسود العنسى لما ادعى النبوة باليمن .

جاء فى سنن أبى دواد من رواية الشعبى عنه أنه قال : « خرج رسول الله (ص) فقالت همدان : هل أنت آت هذا الرجل ومرتاد لنا ؟ فقدمت على رسول الله (ص) فجلست عنده ، وأخرجه أبو يعلى مطولا ، وفيه أنه لما رجع مر بالنجاشى . ثم روى له حديثا آخر قال : كنت عند النجاشى فقرأ ابن له آية من الإنجيل فضحكت فقال : أتضحك من كلام الله ... » وهو طرف من الحديث[٣] .

شهر بن باذام الفارسى :

قال فى الإصابة : إستعمله النبى (ص) بعد موت أبيه باذام . وقال الطبرى: لما غلب الأسود الكذاب — أى العنسى — على صنعاء وقتل شهر بن باذام تزوج زوجته فكانت هى التى أعانت على قتل الأسود بقصاصه .

الطاهر بن أبى هالة :

أمه خديجة زوج النبى (ص) ، وكان عاملا فى اليمن على عك والأشعريين.

وبر بن يحنّس الكلبى :

قال فى الإصابة : ذكره الواقدى ضمن من أسلم من أهل سبأ ، وروى عنه أنه قال قال رسول الله (ص) : إذا قدمت صنعاء فأت مسجدها الذى

(١) نسبة إلى قبيلة (بكيل) إحدى قبائل اليمن الكبرى وأكثرها شهرة وأشدها بأساً ، ومثلها أختها قبيلة (حاشد) العظيمة ، وهما اسمان لولدى جشم بن حبران بن نوف ابن همدان بن أوسلة بن مالك بن زيد بن كهلان وتقع مساكن كل من القبيلتين بين مدينتى (صنعاء) و (وصعدة) .

(٢) سبق الكلام عن ناعط وغيرها فى الجزء الثانى (٣) الاصابة ٢/٢٤٣

بجبال الضبيل (جبل بصنعاء) فصل فيه ، فلما قتل الأسود الكذاب قال وبر هذا الموضع الذى أمرنى رسول الله (ص) أن أصنع فيه المسجد . قلت وهو الجامع الكبير الذى يقع فى قلب مدينة صنعاء حالياً ، وهو أكبر جامع فى اليمن ، وكان بناؤه يقتصر على (المؤخر) فزادت فيه السيدة أروى بنت أحمد الصليحية التى حكمت فى اليمن فى أوائل القرن السادس الهجرى زيادة كبيرة حتى أصبح يشتمل على مقدم وجناحين ، وهو بالإضافة إلى أنه مصلى الكثير من أهل صنعاء مدرسة لتلقى العلوم الإسلامية منذ ألف عام تقريباً وفى عام ١٣٦٤ هـ أمر الإمام المتوكل يحيي بن محمد حميد الدين ببناء مكتبة فوق المؤخر لتضم العديد من المؤلفات العلميـة القيمة والمخطوطات الثمينة ، وتعتبر الآن المكتبة الكبرى بل الوحيدة فى البلاد .

قيس بن المكشوح :

قال فى الإصابة إنه ممن أعان على قتل الأسود العنسى ، وكان فارساً شجاعاً وهو ابن اخت عمرو بن معد يكرب وكانا متباعدين ، وهو القائل لعمرو :

فلو لاقيتنى لاقيت قرناً   وودعت الأحبة بالسلام

وهو المراد بقول عمرو :

أريد حياته ويريد قتلى   عذيرك من خليلك من مراد

المهاجر بن أبى أمية المخزومى :

هو أخو أم سلمة زوج النبى (ص) وشقيقها قال الزبير شهد بدرا مع المشركين وقتل أخواه يومئذ هشام ومسعود ، وكان اسمه الوليد فغيره النبى (ص) ، وولاه لما بعث العمال على صدقات صنعاء فخرج عليه الأسود العنسى ، ثم ولاه أبو بكر ، وهو الذى افتتح حصن النجير الذى تحصنت به كنده حال الردة .

زياد بن لبيد البياضى الأنصارى :

ذكر الواقدى وغيره أنه كان عامل النبي (ص) على حضرموت ، وعهد إليه أبو بكر قتال أهل الردة من كندة .

وائل بن حجر الحضرمى :

سبق الكلام عنه فى وفود أهل اليمن إلى النبى (ص)،وقد جاء فى(الإصابة) أن النبى (ص) كتب معه ثلاثة كتب ، منها كتاب إلى المهاجر بن أبى أمية وكتاب إلى الأقيال والعباهلة واستعمله على أقيال من حضرموت وأقطعه أرضاً وأرسل معه معاوية بن أبى سفيان ليشيعه عند سفره ، فخرج معاوية راجلا ووائل بن حجر على ناقته راكباً ، فشكا إليه معاوية حر الرمضاء فقال له : إنتعل ظل الناقة ، فقال له معاوية : وما يغنى ذلك عنى ؟ لو جعلتنى ردفك ؟ فقال وائل أسكت ، فلست من أرداف الملوك . وعاش وائل حتّى ولى معاوية الخلافة فدخل عليه وائل بن حجر فعرفه معاوية وذكره بذلك ورحب به وأجازه لوفوده عليه ، فأبى من قبول جائزته وحبائه ، فأراد أن يرزقه ، فأبى عن ذلك وقال يأخذه من هو أولى به منى ، فإنى فى غنى عنه ، وكان وائل زاجراً حسن الزجر[1] ، خرج يوما من عند زياد بالكوفة وأميرها المغيرة ، فرأى غراباً ينعق ، فقال له يا أبا المغيرة ، هذا غراب يرحلك من هنا إلى خير ، فقدم رسول معاوية من يومه إلى زياد ، أن سيّره إلى البصرة والياً .

يعلى بن أمية :

إستعمله النبى (ص) ثم خلفاؤه الراشدون على نجران ورمع وهمدان وصنعاء وعك ومأرب والجند،وقد استقدمه عمر رضى الله عنه إليه مرتين بعد أن بلغته عنه أخبار أوجبت ذلك ثم رده عاملا على نجران ، وبقى بها إلى خلافة على كرم

---

١ الزجر : الكهانة .

الله وجهه . جاء فى طبقات الزيدية أنه قتل فى جيش الإمام على بصفين. وروى عنه صفوان بن أمية ،وأخرج له الأئمة أهل البيت ومحمد بن منصور المرادى .

وقد توفى النبى (ص) وعماله على اليمن كالآتى :

أبو موسى الأشعرى على زبيد ورمع وعدن والساحل .

زياد بن لبيد الأنصارى على كندة .

المهاجر بن أبى أمية على حضرموت .

معاذ بن جبل على الجند .

وقد أقر الخليفة أبو بكر رضى الله عنه بعض هؤلاء على أعمالهم،إلا الجند فإنه استعمل عليه عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وحول يعلى بن أمية على صنعاء، كما استعمل الإمام على رضى الله عنه على الجند سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى وعلى صنعاء عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب .

الفصل الثالث

(مواقف أهل اليمن فى نصرة الإسلام)

لم يقتصر أهل اليمن فى تحمسهم للإسلام على الانضواء تحت رايته فحسب، ولكنهم ساهموا مساهمة فعالة فى سبيل دعم الإسلام والدفاع عن حياضه والحفاظ على مكاسبه ، وسجل لهم التاريخ الإسلامى مواقف بطولية وتضحيات خالدة ففى اليمن التف الكثير منهم حول راية المهاجر بن أبى أمية عامل النبى (ص) على كندة فى إخماد الفتن التى أثارها بعض قبائل كندة بزعامة الأشعث بن قيس ، وهى الارتداد عن الإسلام إثر وفاة رسول الله (ص) والتحصن بقلعة النجير فى حضرموت وقد هدمت القلعة وقبض على الأشعث وسيق أسيراً إلى أبى بكر رضى الله عنه حيث عفى عنه وزوجه أخته أم فروة بنت أبى قحافة بعد أن أسلم وحسن إسلامه.

أما فى خارج اليمن فما كاد كتاب أبى بكر يتلى على أهل اليمن مستنفراً لهم فى حرب الردة حتى نهض منهم ما يزيد على عشرين ألف مقاتل، وممن روى التاريخ ذكره قبيلة الكلاع بقيادة زعيمها ذى الكلاع الحميرى ، ومن قبيلة مذحج بقيادة قيس بن هبيرة ، ومن قبيلة دوس (الأزد) بقيادة جندب بن عمر الدوسى ، ومن طيء بقيادة حابس بن سعد الطائى ، وقد وصلوا إلى أبى بكر رضى الله عنه فى يوم واحد بكامل عددهم وعتادهم فاعتز بهم الإسلام وقويت شوكته، وقد بعثهم أبو بكر رضى الله عنه إلى العراق والشام فجاهدوا أصدق جهاد وأبلوا أعظم بلاء .

أما من الناحية العقائدية فكانت عقائدهم مشبعة بروح الإيمان الصحيح الذى أخذوه عن رسول الله (ص) وعن مبعوثيه وهم كما قد رأيت من كبار صحابته ، ثم عن التابعين من بعدهم ، وقد وهم من قال بأن منشأ التشيع المغالى السبئى كان من اليمن استناداً إلى أن عبد الله بن سبأ — وهو ممن أسلم من

يهود اليمن — كان يمنياً فإنه لم يشاركه فى آرائه أحد من أهل اليمن فى الداخل وأكبر دليل على ذلك أن آراءه فى الصحابة لم تنتشر إلا خارج اليمن إثر رحلته التى قام بها إلى مصر والعراق .

أما تشيع قبيلة همدانّ فى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فكان تشيعاً منزهاً من أى غلو، خالياً من أى نوع من التعصب الدينى ، وكان جهادهم معه ومساعدتهم له فى كل من (صفين) و (الجمل) مجرد حب لله ولرسوله ولأهل بيته وبغضهم للظلم وأهله ، وهذا يتجلى فى قول الإمام على كرم الله وجهه : « يامعشر همدان ، ما نصرتم إلا الله وما أجبتم غيره ، أنتم درعى وحصنى ، والله لو كنت بواباً على باب جنة لأدخلتكم قبل جميع الناس » ، فقال سعيد بن قيس وزياد بن كعب : « أجبنا الله وإياك ، ونصرنا الله وإياك ، وقاتلنا معك من ليس مثلك ، فارم بنا حيث شئت » .

ويؤكد ذلك قول الإمام على أيضا من أبياته المشهورة :

جزى الله همدان الجنان فإنهم ... سمام العدى فى يوم كل سمام

رجال يحبون الإله ورهطه ... لهم سالف فى الدين غير أثام

همو نصرونا والسيوف كأنها ... حريق تلظى فى هشيم ثمام

فلو كنت بواباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقبل هذه الأبيات :

ولما رأيت الخيل تقرع بالقنا ... فوارسها حمر النحور دوامى

ونادى ابن هند ذا الكلاع ويحصباً ... وكندة مع لخم وحى جذام

تيممت (همدان) الذين هم هم ... إذا ناب أمر جنتى وسهامى

فوارس ليسوا فى الحروب بعزل ... غداة الوغى من شاكر وشبام

ومن (أرحب) الشم المطاعين بالقنا ... و(نهم) وأبطال السبيع و (يام)

و(وادعة) الأبطال يخشى مصالها ... بكل رقيق الشفرتين حسام

ومن كل حى قد أتانى فوارس ... كرام لدى الهيجاء أى كرام

الفصــل الرابع

(أثر الثقافة الإسلاميه فى اليمن)

لقد كان لاتصال اليمنيين الوثيق برسول الله (ص) والعلماء من أصحابه ، ولوفودهم التى زارت النبى (ص) واستمعت إلى أقواله وخطبه واطلعت على طرف من سيرته وفعاله أكبر عامل فى بروز عدد غير قليل من أهل اليمن كفقهاء فى الدين وحملة للقرآن والسنة النبوية ، كما أتاحت لهم فريضة الحج إلى بيت الله الحرام وإلى المدينة المنورة فرصة أخرى للاجتماع بطائفة أخرى من صحابة رسول الله (ص) وأخذ الحديث والفقه عنهم ، الأمر الذى جعل منهم حججاً فى روايه الحديث ونقلة معتمدين للأخبار وحملة أكفاء للآثار .

رواية الحديث :

ومن البديهى أن علم الحديث كان المادة الرئيسية بعد القرآن الكريم لنشر الثقافة الإسلامية فى ربوع اليمن ، وقد نقل إليها بادىء الأمر على أيدى مبعوثى رسول الله (ص) السالفى الذكر ، ثم على أيدى رواة أهل اليمن من الصحابة الذين شاهدوا رسول الله (ص) وعاشروه وصحبوه طويلا ، أمثال أبى موسى الأشعرى وعمه عبيد بن وهبة الأشعرى (أبو عامر) وكعب بن عاصم الأشعرى والحارث الأشعرى وأبيض بن حمّال المأربى وفروة بن مسيك المرادى وغيرهم ممن جاء ذكرهم فى طبقات رواة الحديث للامام مسلم بن الحجاج وغيره من مصادر علوم السنة .

فقهاء التابعين من أهل اليمن :

وواصل الارتحال بعد ذلك إلى مكة والمدينة رجال كرسوا أعمارهم في طلب الحديث وأشربت قلوبهم بحب السنة النبوية ونشرها داخل اليمن وخارجه ، ويمكن تلخيص طبقات التابعين في اليمن إلى ثلاث طبقات ، وفيما يلي سوف نتكلم بإيجاز عن كل طبقة والمهم من رجالها وتراجمهم(١) .

(الطبقة الأولى)

وممن تخرج من مدرسة الحديث بمكة والمدينة على يد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأبي هريرة وغيرهم وحاز شهرة كبيرة في الآفاق فقيه اليمن طاووس بن كيسان وعطاء بن أبي رباح، والإمام مالك بن أنس الأصبحي(٢) إمام دار الهجرة وصاحب الموطأ، والقاضي عامر بن شرحبيل الشعبي ، ومسروق الهمداني ، وطلحة بن مصرف اليامي الهمداني ، وأبو إسحق السبيعي الهمداني ، وابراهيم النخعي المذحجي، وعلقمة النخعي ، وعمرو بن ميمون الأزدي ، وعمرو ابن دينار وغيرهم ، وقد سكن بعضهم مكة المكرمة وبعضهم المدينة المنورة ، والبعض الآخر العراق حيث نشروا في هذه الأقطار الحديث والفقه .

أما من استوطن من فقهاء التابعين اليمنيين الشام واشتهروا فيها بالعلم والفضل فمنهم : أبو عمرو الأوزاعي الحميري وقد تولى فيها الرئاسة ، والقاضي عياض اليحصبي ، وزمعة بن صالح الجندي وآخرون .

وسنكتفي هنا بذكر التابعين من أهل اليمن الذين عاشوا بها واشتهروا بعلومهم ومؤلفاتهم فيها .

(١) اقتبسنا معظم هذا البحث من (طبقات فقهاء اليمن) لابن سمرة و(تهذيب التهذيب) للذهبي (وتاريخ صنعاء) للرازي و(طبقات الزيدية) للسيد ابراهيم بن الحسين بن القاسم .

(٢) نسبة إلى الأصابح وهي بلدة بمخلاف المعافر (الحجرية) .

طاووس بن كيسان اليمانى :

وهو من أبناء الفرس فى اليمن . نشأ بمدينة صنعاء وارتحل إلى مكة والمدينة حيث سمع من عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهم ، وكان انقطاعه إلى ابن عباس بمكة حتى صار من خاصة تلاميذه ولم يكن من أبرز علماء اليمن فحسب وإنما كان ـ كما قال ابن القيم وغيره ـ من فقهاء مكة ومفتيها لكثرة تردده إليها ، ويعتبره أهل الحديث من أجل علماء الإسلام وسادة التابعين . أخذ عنه عمرو بن دينار والزهرى وابنه عبد الله ابن طاووس ، وقد ولى قضاء صنعاء ، وبعد وفاته سنة ١٠٦ هـ فى خلافة هشام ابن عبد الملك خلفه ابنه عبد الله ، وكانت وفاته بمكة حاجاً قبل التروية بيوم واحد ، وكان ممن شيّع جنازته هشام ، وكان ابنه عبد الله من حملة الحديث . قال مؤلف طبقات الزيدية : أخذ طاووس عن على بن أبى طالب، وقال نقلا عن قيس بن سعد : كان طاووس فى أهل اليمن كابن سيرين فى أهل البصرة وعن عمرو بن دينار : ليس فينا أصدق لهجةً منه ، ما رأيت قط مثل طاووس ، وجاء فى تذكرة الحفاظ : كان طاووس شيخ أهل اليمن ومفتيهم وبركتهم ، وله جلالة عظيمة ، وكان كثير الحج .

وهب بن منبه الأبناوى :

نسبةً إلى (الأبناء) وهى قرية فى وادى السِّر شمال شرقى صنعاء مسافة ٢٢ ك م . قال ابن سمرة : « روى عن أبى هريرة وغيره من الصحابة ، وكان الغالب عليه القصص ، وقد ولى القضاء باليمن لعمر بن عبد العزيز ، وله أخوة منهم همام بن منبه ، وكان أكبر من وهب ، روى عن أبى هريرة ومات قبل وهب ومعقل وعمرو أبناء منبه ، وقد ورد عنهما الخبر العام » .

توفى وهب بصنعاء سنة ١١٠ هـ ودفن بمسجد يقع الآن فى ثكنات مدفعية الجيش اليمنى خارج باب اليمن يعرف بمسجد وهب .

وذكر صاحب كشف الظنون فى كلامه عن المغازى : أنه أول من جمع المغازى والسير ، وقد عثر على قطعة من كتابه فى المغازى وهى الآن محفوظة فى مدينة هيدلبرج فى ألمانيا ، كتبت سنة ٢٢٨ ، وراويها محمد ابن أبى بكر عن أبى طلحة عن عبد المنعم عن أبى إلياس عن وهب ، وقد ذكر فيها (العقبة الكبرى) ، واجتماع قريش فى دار الندوة ، وهجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يتبين من هذه القطعة إن كان وهب قد أدخل فى المغازى شيئاً من معارف أهل الكتاب بصفته كان عارفاً بها متطلعاً فيها[١] .

عطاء بن أبى رباح :

واسم أبى رباح أسلم . كان عطاء مفلفل الشعر أسود أفطس أشل أعور ثم عمى ، وكان من موالى فهر أوجُمح من مولدى الجند نشأ بمكة وكان فقيهها والمفتى فى مواسمها . قال عبد الله بن إبراهيم بن كيسان : أذكرهم فى زمان بنى أمية يأمرون صائحاً يصيح فى الحاج : لا يُفتى الناس إلا عطاء بن أبى رباح. تفقه بابن عمر وابن عباس وعبيد بن عمير وعروة بن الزبير . مات سنة ١١٥ هـ وهو ابن ٨٨ سنة ، وكان من أجلاء الفقهاء وأعلم الناس بالمناسك[٢] .

حنش بن عبد الله الصنعانى :

ويكنى أبا رشدين ، ذكره الإمام مسلم فى طبقات التابعين من أهل اليمن . كان مع على كرم الله وجهه فى الكوفة ، وولاه ابن الزبير القضاء باليمن ، فأسر

---

(١) ضحى الإسلام: ٢/٣٢٢ ،

(٢) المصدر نفسه وطبقات بن سمرة والتعليق عليها للعلامة فؤاد سيد صفحة ٥٧

وأتى به عبد الملك بن مروان فى وثاق فعفى عنه ، ثم انتقل إلى مصر أيام الحجاج وأخيه ثم إلى الأندلس ، واختُلف فى مكان وفاته ؛ فقال الواقدى والشيخ أبو إسحق : مات بمصر ، وقال محمد الباجى الأندلسى من أهل إشبيلية : مات بالأندلس ، وكان بسرقسطه وأسس جامعها ، وقبره فيها مشهور عند باب اليهود غربى المدينة . إنتهى كلام بن اسمره . قال فضيلة الأستاذ العلامة فؤاد سيد ناشر طبقات بن سمره والمعلق عليه : « وفى صفة جزيرة الأندلس للحميرى ص ٩٧ : « أن الذى بنى المسجد الجامع بسرقسطه ووضع محرابه : حنش بن عبد الله الصنعانى »(١) .

عمرو بن دينار الصنعانى :

وكنيته أبو محمد مولى باذام — السالف الذكر — تفقّه بابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وجابر بن زيد وطاووس والزهرى وسعيد ابن جُبير . سكن مكة حيث أخذ عنه سفيان بن عينيه الهلالى المكّى أحد شيوخ الشافعى وأبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج . قال سفيان : قالوا لعطاء بمن تأمرنا ، قال : بعمرو بن دينار ، وقال طاووس لابنه : يا بنى إذا قدمت مكة فجالس عمرو بن دينار . مات عمرو بمكة سنة ١٢٧ هـ وقيل سنة ١٢٥ هـ(٢) .

حجر بن قيس المدرى :

نسبة إلى (مدرات) بوادى الجند ، كان من أصحاب على عليه السلام روى أبو نعيم فى كتابه (رياضة المتعلمين) مسنداً قال قيس : قال لى علىٌ

(١) طبقات ابن سمره ص (٥٧) .

(٢) نفس المصدر ص (٥٧) .

كيف بك إذا أمرت أن تلعننى ؟ ، قلت : أو كائن ذلك ؟ قال نعم فقلت : كيف أصنع ؟ قال : لا تتبرأ منى ، فأقامه بعد ذلك محمد بن يوسف أخو الحجاج — وكان والياً على الجند من قبل أخيه — إلى جنب المنبر فى يوم جمعة ، فقال له إلعنْ علياً ، فقال حجر بن قيس : إن الأمير محمد ابن يوسف أمرنى أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله . قال فلقد تفرق أهل المسجد وما فهمها إلا رجل واحد ، فكان الفقيه الحافظ على بن أبى بكر العرشانى يقول : كان ذلك فى جامع الجند ، وقال غيره فى (صنعاء) ، والله أعلم[1] ، وهو الذى قصده الإمام الشافعى بقوله :

لا بد من صنعاء وإن طال السفر ونقصد القاضى إلى هجرة (مدر)

هذا وممن عدهم ابن سمره فى طبقاته من رجال الطبقة الأولى من التابعين :

القاضى إسحق الدبرى :

وهو الذى قصده الإمام الشافعى للأخذ عنه كما أخذ عنه عطاء بن مركيود، والمطم بن المقدام الصنعانى ، وراشد بن داود الصنعانى ، وعمر بن حبيب الصنعانى ، وشهاب بن عبد الله الخولانى ، وسماك بن الفضل الخولانى ، والمغيرة بن حكيم الصنعانى وعمرو بن مسلم الجدى ، وهمام بن نافع الصنعانى والد عبد الرازق ، وعريف بن إبراهيم الصنعانى ، والنضر بن كثير ، ومحمد ابن يوسف الجذامى وإسحق بن إبراهيم الدبرى، وعبيد بن محمد الكشورى ، وأبو جعفر الأعجم ، والحسن بن عبد الأعلا البوسى ، والحسن بن أحمد البوسى ، وغيرهم .

عصر تدوين الحديث :

وفى النصف الأول من القرن الثانى للهجرة — وهو عصر تدوين الحديث

(١) نفس المصدر : ص (٦٠) .

النبوى — كان قد لمع فى اليمن علماء أصبحوا قبلة الأنظار وهدف الرحالة من علماء الحديث وروّاده ، ومنهم : معمر بن راشد البصرى والحكم بن أبان وغيرهما ويعتبرون من رجال الطبقة الثانية .

(الطبقة الثانيـة)

معمر بن راشد البصرى : سكن صنعاء وتفقه بها وسمع من همّام بن منبه اليمنى والزهرى وهشام بن عروة وممن أخذ عنه عدا من ذكرنا قبل هذا : عبد الرزاق بن همام ، وله (الجامع) المشهور فى السنن المنسوب إليه ، وهو من الكتب القديمة فى اليمن ، أقدم من الموطأ ، وله كتاب المغازى مروياً عن شيخه الزهرى . مات بصنعاء سنة ١٥٠ هـ .ومن هنا يتضح أن معمراً أول من جمع الحديث فى الإسلام إذا قارنا هذا التاريخ بتاريخ الربيع بن صبيح وسعيد ابن أبى عروبه اللذين ذكرهما السيوطى كما أسلفنا قبل هذا (١) .

الحكم بن أبان العدنى : وقد أخذ عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن ابن عباس . ولى قضاء عدن وسمع عنه شيوخ اليمن ومنهم ابنه إبراهيم ، كما قصده الإمام أحمد بن حنبل إلى عدن للسماع منه . وقبره مشهور فى عدن بالمسجد المعروف بمسجد أبان (٢) .

محمد بن خالد الجَنَدى : روى عنه الإمام الشافعى رضى الله عنه ما رواه عن أبان بن صالح عن الحسن عن النبى (ص) الحديث المشهور «لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الدنيا إلا إدباراً ، ولا الناس إلا شحاً ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، ولا مهدى إلا عيسى بن مريم » ، وقد رواه عن الشافعى يونس وشيوخ مصر (٣) .

---

(١) طبقات ابن سمرة ص (٦٦) . (٢) نفس المصدر .
(٣) نفس المصدر ص (٦٩) .

عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعانى الحميرى : أخذ من معمر والثورى وابن جريج وغيرهما من الحفاظ ، وارتحل اليه اسحق بن راهويه وعلى بن المدينى ومحمود بن غيلان ، وروى عنه الإمام أحمد ين حنبل تاريخه ومفرقات غيره ، وله تصنيف مليح ترويه الحنابلة فى بغداد مسنداً إلى أحمد رحمهم الله جميعاً. مات عبد الرزاق سنة ٢١٢ هـ وعمره ٨٦ عاماً .

أبو قرة موسى بن طارق اللحجى : قال بن سمرة : وقد يُقال الزعزعى — والزعازع قرية فى لحج — ونسبه الدارقطنى وعبد الغنى إلى الجند فقالا الجندى . كان حافظاً فقيهاً وله (الجامع) المشهور فى السنن ، يروى عن الفقيه الحافظ على بن أبى بكر العرشانى، وله تواليف فى الفقه انتزعها من فقه مالك وأبى حنيفة ومعمر وابن جريج وسفيان الثورى وابن عيينة لأنه لقيهم جميعاً وروى عنهم ، وأدرك القارىء نافع بن أبى نعيم المدنى أحد السبعة القراء رضى الله عنهم فقرأ عليه ... وكان أبو قرة إماماً مشهوراً بالفضل ، يتردد بين لحج وعدن ومكة وزبيد وفى كل واحدة من هذه البلاد له رواية وأصحاب [1].

(الطبقة الثالثة)

أبو سعيد محمد بن إبراهيم الشعبى الجندى : ينتهى نسبه إلى عامر بن شراحيل الشعبى التابعى الشهير شيخ الكوفة . قال القتيبى : إن الشعبى من حمير من جبل باليمن نزله حسان بن عمرو الحميرى هو وولده ودفن فيه ، فمن منهم بالكوفة قيل لهم شعبيون ، ومن كان بمصر والمغرب قيل لهم :الأشعوب، ومن كان منهم باليمن قيل لهم : ذو شعبين .. وكان أبو سعيد الجندى هذا حافظاً عارفاً ، ذكره الدارقطنى وعبد الغنى وله تصانيف روى فيها عن محمد ابن يحيى بن أبى عمر العدنى قاضى عدن شيخ مسلم وأبى عيسى الترمذى

(١) نفس المصدر: ص ٧٠

صاحب (السنن) ، وروى أبو سعيد عن إبراهيم بن محمد بن العباس الشافعى (ابن عم الشافعى) ، وعن محمد بن يوسف أبى حُمة الزبيدى صاحب أبى قرة وغيرهم ،وروى عن أبى سعيدبمكة محمد بن الحسين الآجرى البغدادى وغيرهم، وروى عنه (جامع) أبى قرّة اللحجى الجندى السكسكى : المغيرة بن عمرو بن الوليد العدنى بمكة ، ورواه عن المغيرة : أبو الخطاب عبد الوهاب بن عنبة العدنى ، ورواه عن أبى الخطاب : محمد بن على الشيرازى ، ورواه عنه الحافظ عبد الملك بن محمد بن أبى ميسرة اليافعى فى اليمن .

القاضى محمد بن أبى عمر العدنى المكى : قاضى عدن ، كان من جـلّة الحفاظ وأكابر العلماء ، وهو يعنى بولايته قضاء عدن ، ومكى بسكنى مكة ، هكذا قال الترمذى ، سمع منه الإمامان الحافظان : مسلم بن الحجاج النيسابورى فى الجامع الصحيح لمسلم رضى الله عنه تخريج حديثه عنه ، وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى فى جامعه الصحيح ، والعلول وما عليه العمل وتخريج حديثه عنه . وأخذ عن سفيان بن عيينة الهلالى الكوفى المكى ، وعن عبد العزيز بن محمد الدراوردى المكى ، ووكيع بن الجراح الكوفى وأبى معاوية وغيرهم .

روى عنه الترمذى أنه قال : حججت ستين حجة ماشياً على قدمىّ . وكان فى المائة الثالثة بعد ظهور القرامطة .

محمد بن كثير الصنعانى : روى أبو داود السجستانى عن أحمدبن إبراهيم عنه عن الأوزاعى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى (ص) : «إذاوطىء أحدكم بخفه الأذى ، فإن التراب له طهور » ، وأخرج أبو داود والأوزاعى بإسناد إلى عائشة بمعناه .

محمد بن عبد الله الصنعانى : هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن بكر ابن سليمان الخزاعى ، ويقال الهاشمى مولاهم الصنعانى المقدسى الخلنجى ، روى عنه أبو عيسى الترمذى بإسناده إلى جابر : « أن النبى (ص) سئل عن العمرة أهى واجبة ؟ فقال : لا ، وإن تعتمر فهو أفضل » .

وممن يلحق بطبقة فقهاء السنة قبل ظهور المذهب الشافعى فى اليمن : محمد ابن عبد الأعلى الصنعانى، وقد روى عنه الترمذى حديث عائشة رضى الله عنها أن النبى (ص) لم ينزل بالأبطح إلا أنه كان أسمح لخروجه ، وقد عدّه الترمذى بصرياً لارتحاله إلى البصرة ، وموسى بن محمد الكشّى قاضى زبيد ، ويحيى بن عبد الله بن كليب ، وأبو القاسم عبد الأعلى بن محمد ابن عباد بن الحسن البوسى (نسبة إلى بيت بوس قرية تبعد عن صنعاء جنوباً ٧ ك م) وهو يروى عن الدبرى السالف الذكر ، وهارون بن أحمد بن محمد السحولى ، وربيع بن سلمان الجندى ، وهؤلاء الخمسة المذكورون ذكرهم الأندلسيون فى تواريخهم كما قال ابن سمرة، وذلك لاشتهارهم فى عصرهم ، ومنهم الفرضى فى كتابه تاريخ علماء الأندلس كما صرح بذلك الأستاذ العلامة فؤاد سيد فى تعليقاته على طبقات ابن سمرة .

الفصل الخامس

(الاتجاهات المذهبية فى اليمن)

حينما نتصفح التاريخ اليمنى وندرس أوضاعه الداخلية فى فجر الإسلام ، نجد أنه قد عاش مستقراً نوعاً مّا من الناحية السياسية ، وأن عمال النبي (ص) وخلفائه الراشدين قد ظلوا يؤدون أعمالهم على ما يرام دون أى عقبات تقف فى وجوههم ولا حوادث تعترض سبيلهم باستثناء فتنة الأسود العنسى التى ظهرت قبيل وفاة رسول الله (ص) ثم ما لبثت أن أُخمدت وقُطعت رأسه وسيقت إلى رسول الله (ص) ، وكذا قضية ارتداد بعض قبائل كندة السالفة الذكر .

أما من النشاط الحزبى والعقائدى حول الخلافة اللذين ظهرا حينذاك فى مصر والعراق أيام خلافة عثمان رضى الله عنه مما الذى أفضى آخر الأمر إلى حصره وقتله ، فإن التاريخ اليمنى لم يرو لنا شيئاً عن ذلك .

وإذا كان بعض اليمانية فى مصر والعراق – وكانوا يمثلون غالبية الجيش الإسلامى — قد اشتركوا فى ذلك التذمر والنشاط المعادى للوضع وفى تدبير خلع عثمان وقتله — على فرض صحة هذا القول — فإنه لا يعنى انعكاساً للإحساس الداخلى فى اليمن التى كانت بمنأى عن معترك الآراء ومحور الأفكار .

ولم ينحاز أولئك اليمانيون بكليتهم إلى أى طرف من الأطراف أيام النزاع بين الإمام على رضى الله عنه ومعاوية ، بل كان منهم من ناصر علياً ومنهم من ناصر معاوية ، أما أنصار على : فهمدان ، ومذحج ، وأرحب ، ويام ، بينما بقية

القبائل اليمنية انحازت إلى جانب معاوية وحاربت معه فى (صفين)، ومنها: كندة ولخم ويحصب وذو الكلاع وعك والأشعريون؛ وهكذا اشتبكت كل قبيلة يمنية مع أختها اليمنية وفى ذلك يقول راجز عك:

يا ويل أم مذحج من عكٍّ هاتيك أم مذحج تبكّى

وكان شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من القبائل العربية فى الشام والعراق ومصر كنتيجة لظروفهم وأوضاعهم.

وكما كانت اليمن بعيدة عما ذكرناه فى الوقت المشار إليه، كانت أيضاً فى معزل عن الاضطرابات التى تمخضت بعد ذلك عن أفكار غلاة الشيعة ومارقة الخوارج وفلسفة الزنادقة والرافضة والشعوبية والمرجئة وغير ذلك من الفرق التى لم يعرف اليمنيون آراءها السياسية والعقائدية إلا مؤخراً عندما نقل إليهم علم الكلام كما يأتى بيانه فى بابه إن شاء الله.

وقد قلنا سابقاً أن اليمنيين كانوا على مذهب أبى حنيفة ومالك حتى جاء معمر بن راشد البصرى إلى (صنعاء) وألف (الجامع) المعروف فى اليمن باسم (جامع معمر)، فكان مستند فقهاء اليمن فى علم السنة، ثم جاء بعده أبو قرة ابن موسى اللحجى الجندى الذى كان لجامعه الفضل فى توسع علوم السنة وانتشارها فى أرجاء اليمن حتى القرن الثالث الهجرى وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهر فى اليمن مذاهب ثلاثة، ولم يأت آخر القرن الثالث حتى كانت قد انتشرت انتشاراً واسعا وهذه المذاهب كالتالى:

(١) المذهب الشافعى: وقد ظهر فى اليمن سنة ٢٠٤ هـ مبتدئاً من المعافر والجند، ثم أخذ ينتشر إلى صنعاء شمالاً وإلى عدن جنوباً بما فى ذلك مغارب اليمن وتهامه.

(٢) المذهب الإسماعيلى: وقد بدأ من مسار حراز سنة ٢٦٨ هـ، ثم انتشر إلى الحويت وحجة وهمدان.

(٣) المذهب الزيدى : وكان ظهوره فى صعدة سـنة ٢٨٠ هـ ثم انتشر جنوباً حتى وصل إلى (صنعاء) و (ذمار) .

أما المذاهب الأولى والتى كانت قبل هذا التاريخ موجودة باليمن كالمذهب المالـكى والحنفى والأشعرى فقد أخذت فى التلاشى بعد انتشار المذهب الشافعى، وبقى عدد ضئيل من سكان تهامة يتمسكون بالمذهب الأشعرى، ولا تزال منهم بقية فى (زبيد) حتى الآن .

وهذه المذاهب الثلاثة تعتبر نقطة البدء بالنسبة لتراث اليمن الإسـلامى ودراساته من الناحية السياسية والفـكرية .

وقد لعبت هذه المذاهب دوراً هاماً فى اليمن ـ شأنها فى ذلك شأن كل بلد إسلامى تعددت فيه المذاهب واختلفت فيه النظريات — فـكثيراً ما تتعدى البحوث العلمية والأفـكار العقائدية مجالها العلمى والنظرى إلى اضطرابات نفسية ونزعات طائفية ، وقد تتطور أحيانا إلى عصبية وخلاف ، مصداق قوله (ص) « إن من العلم جهلاً » وقول الإمام على كرم الله وجهه (العلم نقطة وسعها الجاهلون) .

وإذا نظرنا بعين الإنصاف إلى كل من المذهبين الزيدى والشافعى ودققنا البحث فى مسائل الخلاف بينهما وجدناها طفيفة جداً ، وأن بعضها لا يستحق الذكر ، وهى فى مجموعها مسائل فروعية اجتهادية لا تمس جوهر الدين فى شىء ، بل إن الخلاف فيها وفيما هو أكثر منها عام بين جميع المذاهب الإسلامية ، إلا أن الجهلة والمتعصبين قد جعلوا منها معولاً لهدم الوحدة الوطنية وذريعة لإلقاء بذور الشقاق بين أبناء الشعب الواحد الذين تربطهم أواصر الوحدة ووشائج الإخاء منذ آلاف السنين ، مما كان له أكبر الأثر فى تعكير الحياة الاجتماعية فى اليمن واضطراب أحوالها السياسية حتى اليوم .

أما من الناحية العلمية — وهو موضوع كتابنا هـذا — فنرى أن تلك الخلافات التى سننقلها هنا عن علماء مجتهدين وأئمة محققين ، لا عن الجهلة والمتعصبين،قد تمخضت عن تراث فكرى له قيمته الأدبية التى لا يستهان بها ، ولذا فإنه يتحتم علينا حماية هـذا التراث وإعطاءه حقه من البحث والدراسة الواعية ، على أن يكون رائدنا فى نشره شجاعة الحق التى لا تقبل المداهنة والحيف ، والإنصاف الذى لا يشوبه تعسف أو زيف .

إن تاريخ الأفكار والنظريات فى بلادنا سواء منها الحقيقية أم الخيالية قد حفظها لنا التاريخ وسجلها الزمن ، وفى يوم ما سوف تبرز للعيان ويتصفحها أناس ويعلق عليها آخرون ، وفى وقت ما سوف يكتب لهـا أن تحشر من مظانها وتستخرج من مكامنها ولكن إما أن يكون ذلك بأيد أجنبية أو عن طريق جهات حاقدة على الدين أو مغرضة لهذا الوطن ، أو فئات متخبطة ، لا متعمقة فى البحث ولا متحرية فى النقل فتخرجه للعالم فى إطار من التشويه والمسخ ؛ وإما أن يتبنى ذلك المنصفون منا فيخرجونه خالياً من التحريف والتعصب الأعمى(١) .

ومما لا شك فيه أن لوجود الخلافات فى الآراء وتشعب الأفكار وتصادم النظريات فى أى شعب من الشعوب لاسيما فيما يتعلق بالعقيدة والدين وعلوم الشريعة لدليل حى على رسوخ الأمة فى اعتناق المبادىء الأساسية وتعلقها بالبحث العلمى والاستنباط العقلى والتحرر الفكرى والديمقراطية الصحيحة التى يسعى معظم سكان العالم الحر إلى تحقيقها كمبدإ عام من مبادىء الحقوق الاجتماعية والعدالة الإنسانية ، وفى نفس الوقت برهان قاطع على استعداد تلك الأمة للتقدم السريع وأهليتها لبناء حياتها وتطويرها .

ومما لا يستطيع أحد إنكاره أن اليمن قد لعبت دوراً هاماً فى بناء الحياة فى الجاهلية والإسلام ، وكان لنشاطها العقلى والعملى أثر بالغ فى تشييد صرح الحضارة وصنع التاريخ ، ولكن — ومع الأسف — جاء التقصير آخر الأمر بإهمال أهلها لهذا التراث الإنسانى الرفيع حتى صار نهباً للمغامرين وغنيمةً باردةً لتجار الآثار وعشاق الحضارات ، حتى أوشكت مخطوطاته الثمينة على النفاد شأن سابقاتها من آثار الحضارة القديمة ومراجع التاريخ الهامة التى لا يوجد الآن إلا بعضها فى خزائن بعيدة أو متاحف نائية ، لا تصل إليها يد الباحث اليمنى أو العربى إلا بصعوبة كبيرة وجهد بالغ .

إن كل خبير بأحوال اليمن وكل مطلع على ما خيّم عليها من الركود والعزلة والتخلف ، سوف يجد مبرراً لهذا التقصير ولكنه لن يجد لنا أى مبرر الآن وبعد أن أصبح العالم زاخراً بأساليب الطبع والنشر ، اللهم إلا تخاذلنا ، وبعبارةٍ أصح تعمدنا لضياع هذا التراث العظيم ، الذى لا يعتبر جزءاً من تراث الإسلام فحسب ولكن من تراث الإنسانية جمعاء .

١ – المذهب الشافعى

هو أول مذهب ظهر فى اليمن ، ويرجع تاريخ ظهوره إلى أوائل القرن الثالث الهجرى فى الوقت الذى كان علم السنة هو المشهور ، إلا من أقلية كانوا يتمذهبون بالمذهب الحنفى والمالكى كما أسلفنا .

وكان انتشاره فى اليمن بواسطة فقهاء ذلك العصر الذين هاجروا إلى الحجاز والعراق، وأخذوه عن أصحاب الشافعى وتلامذته كموسى بن أبى الجارود المكى وأبى زيد المروزى وعلى بن الحسين الأسيوطى وغيرهم ، وسيأتى ذكر أعلام الشافعية الذين رحلوا لتلقى علوم المذهب الشافعى وكرسوا حياتهم فى نشره وتعريف الناس به .

ولا يزال المذهب الشافعى حتى الآن هو المذهب الذى يعتنقه الكثير من أهل اليمن فى تهامة وإب وتعز والبيضاء وحضرموت وغيرها من مقاطعات الجنوب اليمنى .

الإمام الشافعى : هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع القرشى المطلبى يلتقى نسبه مع رسول الله (ص) فى عبد مناف ، نسيب رسول الله (ص) وناصر سنته ، قال إسحق بن راهويه : قال لى أحمد ابن حنبل بمكة : «تعال حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله، فأقامنى على الشافعى» .

وقد ولد بغزة فى اليوم الذى توفى فيه أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧م) وتوفى فى مصر سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م) .

والراجح أن أمه أزدية ، والأزد من اليمن ، وكان أبوه قد خرج فى حاجة إلى الشام فولدت له الشافعى بغزة أو عسقلان ثم مات أبوه فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين ، وقد نشأ فقيرا كما حدث عن نفسه ، رُوى عنه أنه قال :

« كنت يتيما فى حجر أمى ولم يكن لها مال ، وكان المعلم يرضى من أمى أن أخلفه إذا قام ، فلما جمعت القرآن دخلت المسجد ، فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة ، وكانت دارنا فى شعب الخيف ، فكنت أكتب فى العظم ، فإذا كثر طرحته فى جرة عظيمة » ، وفى رواية : « لم يكن لى مال فكنت أطلب فى الحداثة فأذهب إلى الديوان فأستوهب منهم الظهور . . . . . وخرجت من مكة فلزمت هذيلا بالبادية أتعلم كلامها وآخذ اللغة ، وكانت أفصح العرب » . وهكذا أفادته الإقامة فى البادية مع قرشيته معرفة واسعة باللغة والشعر أعانته على تفهم معانى القرآن والسنة ، كما أفادته قوة فى التعبير ورصانة فى الأسلوب وذوقا دقيقا ، وقد روى أن الأصمعى أخذ عنه شعر الهذليين وشعر الشنفرى(١) .

وقد خرج إلى المدينة المنورة بعد أن أخذ بمكة فى الحديث والفقه عن سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجى ، ومن جملة ماقرأه عنهما موطأ الامام مالك الذى أعاد قراءته على مالك نفسه ، ثم ارتحل إلى بغداد وأقام بها سنتين حيث كتب كتبه القديمة ، ثم أخذ يتردد بين بغداد ومكة واليمن فى طلب الحديث وسماعه عن علماء الاسلام فى هذه الأقطار ، مما ساعده على وضع قانون خاص لأصول الفقه توسع فيه توسعا كبيرا وجاءت مؤلفاته زاخرة بالنظريات اللامعة ، مما جعل الكثير من الحنفية والمالكية يرجحون أقواله ويهتدون بآرائه ويميلون إلى مذهبه .

وكان سبب خروجه إلى اليمن ماروى عن أحد أصحابه أبو نعيم الجرجانى عن الامام الشافعى نفسه قوله : « إن مصعب بن عبد الله وينتهى

(١) ضحى الاسلام : ٢/٢١٩ .

نسبه إلى عبد الله بن الزبير بن العوام ولاه الرشيد قضاء اليمن ، فسألنى أن أخرج معه لما علمه من فقرى وحاجتى ، فلما صرنا إلى اليمن وجالسنا الناس ، كتب مطرف بن مازن إلى الرشيد : إذا أردت اليمن أن لايفسد عليك ولا يخرج من يديك فأخرج عنه محمد بن إدريس الشافعى ، وذكر أقواماً من الطالبيين، فبعث إلىّ حماداً البربرى ، فأوثقت بالحديد حتى قدمنا على هارون بالرقة ، ثم ذكر مناظرته مع محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة فى عشر مسائل وانقطاع محمد بن الحسن فى خمس،فقال:حتى أمر الرشيد بجر رجل محمد بن الحسن ، فأراد الشافعى أن يكافئه بيد سبقت لمحمد إليه فقال : يا أمير المؤمنين ما رأيت سميناً بطِناً أفقه منه ، وأخذ فى مدحه وبيان فضله ، فعرف الرشيد مراده فخلع عليهما جميعا ، وحمل كل واحد منهما على مركوب ، وأمر للشافعى بخمسين ألف درهم ، فما وصل الشافعى بيته حتى تصدق بجميع ذلك ، ووصل به الناس ، ثم قال هارون : أنا أمير المؤمنين وأنت القدوة ، ولا يدخل علىّ من الفقهاء أحد غيرك[١] .

وكان الشافعى فى أول أمره يعد تلميذاً لمالك ومتبعا لمذهبه وتعاليمه وأحد رجال مدرسته ، ومازال كذلك إلى سنة ١٩٥ عندما قدم بغداد قدمته الثانية ، وهناك بلغ مبلغ مؤسس مذهب يدعو إليه ، والظاهر أن أقوى ما أثر فيه إتصاله فى قدمته الأولى بأصحاب أبى حنيفة واستفادته من كتب محمد بن الحسن وعلمه بطريقة أهل العراق ، فقد رأى من دون شك أن طريقتهم لايحسن أخذها كلها ، ولا تركها كلها ، فعندهم القياس وهو منهج صحيح ، ولكنه فى نظره ليس على إطلاقه ، بل لابد أن يتأخر عن الأحاديث الصحيحة حتى ما كان منها خبر آحاد ، وعندهم طريقة التفريع وتوليد المسائل الكثيرة

(١) الطبقات: ١٣٨ — ١٣٩ .

فى أصولها ، وهى طريقة جيدة ، وعندهم الجدل والاستدلال بالعدالة والمصلحة وإلحاق الشبيه بالشبيه ، وما بين الأشياء من فروق وموافقات ، والمناظرة فى ذلك وتأليف الحجج ، وقد رأى ذلك حسناً ، ورأى نفسه فى استعداد جيد للدخول فى هذا الباب والتفوق فيه ، فاقتبس من ذلك أحسنه وأضافه إلى ثروته الحجازية من اللغة والأدب أولاً ، والحديث وإجماع أهل المدينة وطريقة الحجازيين فى الاستنباط ثانياً[1] .

إتجاهه فى أصول الفقه :

والشافعى هو واضع علم أصول الفقه ، وكان الفقهاء قبله يجتهدون من غير أن يكون بين أيديهم حدود مرسومة للاستنباط فجاء الشافعى فوضع الحدود وضبط القواعد والموازين ، ولقد قال فخر الدين الرازى : « إن نسبة الشافعى إلى علم الأصول كنسبة أرسطو إلى علم المنطق »[2] .

ومن أهم ما حققه فى هذا العلم تقرير أصل « الإجماع » ، فهو الذى أوضح قيمته وأثبت حجيّته وحدد مكانه كمصدرٍ من مصادر التشريع ، وجعل منزلته بعد الكتاب والسنة ، ومعتمداً عليهما فى نفس الوقت ، وأول إجماع يعتبره الشافعى هو إجماع الصحابة ، ثم إجماع المجتهدين فى أى عصر بعدهم ، والإجماع سيكون هو القاعدة الأساسية التى ستبنى عليها نظريات أهل السنة فى الامامة[3] .

فقد أوجد الشافعى بذلك الأساس المتين الذى يمكن أن تستقر عليه الآراء وكانت قبله حائرة ، لأنه لم يكن لها من سند إلا الاستدلال بالأحاديث وكل فريق كان يروى من الأحاديث مايراه متفقاً مع مذهبه ، وكان هناك الميل

---

(١) ضحى الاسلام : ٢/٢٢٢ (٢) الإمام الشافعى لأبى زهره : ١٧٨

(٣) النظريات الإسلامية لمحمد ضياء الدين الريس : ٨٧/٨٨

إلى الكذب والادِّعاء ، كما أن الاستدلال العقلى المجرد — على سَنَن المعتزلة — لم يكن له من ضابط ، أما الشافعى فقد وجّه أنظار المجتهدين إلى أن يستمدوا استدلالاتهم من الواقع ، أى من واقع حياة الأمة الاسلامية فى عصورها الماضية ، وبوجه خاص من حياتها فى عصرها الذهبى وهو « عصر الخلفاء الراشدين » . فسينظر إليه الفقهاء إذن كالنموذج والمثال الذى ينبغى محاذاته والذى تتمثل فيه الروح الاسلامية الصحيحة ، ويستنبطون أحكامهم مما حدث فيه من أعمال ، وما اتفق عليه من مبادىء وما وضع من سياسة ، ثم مما أجمع عليه بعد ذلك فى عصر التابعين أو من بعدهم من أعمال ومن مبادىء أيضاً[1] .

مسلكه فى الإجتهاد :

أما خير ما نلخص مسلكه فى الإجتهاد ، فهو ما ذكره هو إذ قال : «الأصل قرآن وسنة ، فإن لم يكن فقياس عليهما ، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله (ص) وصح الاسناد منه فهو سنة ، والاجماع أكبر من الخبر المفرد ، والحديث على ظاهره ، وإذا احتمل معان فما أشبه منها ظاهره فهو أولى به ، وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسناداً أولاها ، وليس المنقطع بشىء ماعدا منقطع ابن المسيب ، ولا يقاس أصل على أصل ، ولا يقال للأصل لِمَ وكيفَ ، وإنما يقال للفرع لِمَ ، فإذا صح قياسه على الأصل صح وقامت الحجة[2]» .

وكان الناس قبل الشافعى فريقان : أصحاب الحديث ، وأصحاب الرأى ، أما أصحاب الحديث فكانوا عاجزين عن المجادلة والمناظرة ، عاجزين عن تزييف أصحاب الرأى ، فما كان يحصل بسببهم قوة الدين ونصرة الكتاب

---

(١) النظريات لمحمد ضياء الدين الريس : ٨٧/٨٨

(٢) ضحى الاسلام : ٢/٢٢٢

والسنة ، وأمـا أصحاب الرأى ، فـكان سعيهم وجهـدهم معروفاً إلى تقرير ما استنبطوه برأيهم ورتبوه بفـكرهم . . . . . . فجاء الشافعى وكان عارفاً بالنصوص من القرآن والأخبار ، وكان عارفاً بأصول الفقه وشرائط الاستدلال . . . . . وكان قوياً فى المنـاظرة والجدل . . . . . فرجع عن قول أصحاب الرأى أكثر أنصارهم وأتباعهم [١] .

ولم يسلم من تهجم بعض العلماء عليه فى حديثه ، كابن معين فقد أكثر فيه القول ، وقال فيه ابن عبد الحكم إنه كان يروى عن الـكذابين والبدعيين فروى عن إبراهيم بن يحيى ، مع أنه كان قدرياً ، وروى عن اسماعيل بن عليّة مع أنه طُعن فيه ، وقالوا : إن البخارى ومسلماً لم يرويا عنه شيئاً فى صحيحهما ، ولولا أنه كان ضعيفا فى الرواية لرويا عنه ، وأن مذهبه أن المراسيل ليست بحجة ، وقد ملأ كتبه من قوله : أخبرنا الثقة ، أخبرنى من لا أتهمه ، وقد دافع أصحاب الشافعى عن هذه الأقوال دفاعاً شديداً ، ومع هذا كله فقد كان الشافعى أقرب إلى المحدثين وهم إليه أميل ، ولئن فاقه بعضهم فى معرفة الحديث فقد فاقهم بفقهه فى الحديث [٢] .

أصحاب الشافعى :

كان للشافعى أصحاب فى العراق ، وهم الذين رووا كتبه القـديمة ، وأصحاب بمصر وهم الذين رووا كتبه الحديثة ، وكلهم من العلماء المشهورين والثقات المبرزين ، وقد كرسوا حياتهم فى خدمة هذا المذهب والدفاع عنه والتوسع فيه ، ولبعضهم آراء تختلف عن آراء الامام الشافعى روتها كتب الفقه إلا أنها ليست بأكثر من خلافات أصحاب كل من أبى حنيفة ومالك لهما ، ومن أشهر أصحابه فى العراق :

(١، ٢) الفخر الرازى : ١٤٨

١ — الإمام أبو ثور إبراهيم بن خالد اليمانى الكلبى البغدادى المتوفى سنة ٢٤٠ هـ (٨٥٤م) ، وقد صحب الشافعى وأخذ عنه ، وله مؤلفات كثيرة وبالأخص فيما يتعلق بوجوه الخلاف بين مالك والشافعى .

٢ — الإمام أبو على الحسين بن على بن يزيد الكرابيسى المتوفى سنة ٢٤٥هـ وقيل سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢م) .

٣ — الإمام أبو على الحسن بن محمد الصباح البغدادى الزعفرانى توفى سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤ م) .

ومن أشهر أصحابه فى مصر :

١ — أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى[1] المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، كان أكبر أصحاب الشافعى وخليفته فى حلقته وهو قرشى ، ويعتبر أول من حمل كتبه إلى بخارى ، وكان عابداً مجتهداً دائم الذكر كبير القدر ، قال الشافعى : « مافى أصحابى أعلم من البويطى » . مات بحبس بغداد لأنه لم يقل بقدم القرآن . ومن مؤلفاته (المختصر) إختصر فيه أقوال الإمام الشافعى .

٢ — الإمام أبو إبراهيم إسمعيل بن يحيى المزنى المصرى المتوفى سنة ٢٦٤ هـ ، كان ضليعاً فى المناظرة والجدل وكثرة التأليف ، ومن مؤلفاته حاشيته على كتاب الشافعى (الأم) .

٣ — الإمام أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى المصرى المتوفى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٤م) ، وكان مؤذناً بمسجد عمرو بالفسطاط ، ولذا سمى بالمؤذن ، وهو راوى كتاب (الأم) للشافعى .

---

(١) نسبة الى بويط وهى قرية فى صعيد مصر .

٤ — أبو حفص حرملة بن يحيي بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي المتوفى سنة ٢٤٣ ﻫ (٨٥٧م) .

٥ — يوسف بن عبد الأعلى بن موسى الصدفى المصرى المتوفى سنة ٢٦٤ ﻫ (٨٧٨م) انتهت إليه رئاسة العلم بديار مصر، وقد قال عنه الشافعى «ما رأيت بمصر أعقل من يونس» ، ويعتبر أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد ابن يونس المؤرخ المصرى المتوفى سنة ٣٤٧ ﻫ حفيده .

كتب الشافعية :

لقد خلف لنا الإمام الشافعى رضى الله عنه ثروةً كبيرة من رواياته وأقواله وقواعده فى أصول الفقه ، رواها لنا أصحابه العراقيون والمصريون ، « والعلماء يقسمون فقه الشافعى إلى مذهبين : قديم وجديد، فأما القديم فهو ما كتبه وقال به بالعراق ، وأما الجديد فهو ما كتبه وقال به فى مصر ، ذلك أنه لما جاء إلى مصر عدل عن بعض أقوالٍ له قالها من قبل ، وسببه أنه خالط علماء مصر وسمع ماصح عندهم من حديث ، وسمع تلاميذ الليث بن سعد ينقلون عنه آراءه وفقهه ، ورأى بعض حالات تخالف تلك التى رآها فى الحجاز والعراق ، فغير ذلك من مذهب الشافعى فى بعض أقواله وأطلق عليه المذهب الجديد »[1] .

الرسالة :

ومن أهم ما وصل إلينا من عمل الشافعى رسالته فى أصول الفقه رواها عنه تلميذه المصرى الربيع بن سليمان المرادى ، وقد تكلم فيها فيما يحتاج إليه المجتهد إزاء القرآن من العام والخاص ، والناسخ والمنسوخ ، وتكلم فى موقف المجتهد

---

(١) ضحى الإسلام : ٢٣١/٢ نقلا عن الرازى ص ١٠٠

من الحديث وناسخه ومنسوخه ، وما كان فيه من اختلاف ، وما يُقبل منه وما لا يُقبل ، ثم تكلم فى الإجماع وفى إثبات القياس والاجتهاد ، وحيث يجب القياس وحيث لا يجب ، ومن له أن يقيس ومن ليس له ، ونقد الاستحسان ورد على القائلين به .

ولقد كان الناس قبل الإمام الشافعى رضى‌الله عنه يتكلمون فى مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة ، وفى كيفية معارضاتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى رحمه الله أصول الفقه ، ووضع للخلق قانوناً كليا يُرجع إليه فى معرفة أدلة الشرع .. وقد صنف الشافعى رضى الله عنه كتاب الرسالة ببغداد ، ولما رجع إلى مصر أعاد تصنيفها ، وفى كل واحد منهما علم كثير ، والناس إن أطنبوا بعد ذلك فى علم أصول الفقه ، إلا أن كلهم عيال الشافعى فيه ، لأنه هو الذى فتح هذا الباب والسبق لمن سبق[1] .

الأم :

وهو المصدر الثانى الذى جمع لنا أقوال الشافعى وآراءه وفقهه ، وقد قام بجمعه الإمام البويطى السالف الذكر بالرواية عن الربيع بن سليمان المرادى الذى حمل الكثير من علم الشافعى وفقهه ، ويشتمل الكتاب على علوم كثيرة لم تأت فى الرسالة ، وهو من سبعة أجزاء ، وقد بوب على أبواب الفقه كما فعل مالك فى الموطأ ، ومن أهم مصادر المذهب الشافعى :

مختصر المزنى :

وقد قام المزنى الذى قال فيه الإمام الشافعى بأنه ناصر مذهبه ، وكذا

(١) ضحى الإسلام : ٢٣١/٢ نقلا عن الرازى ص ١٠٠

الربيع بن سليمان الذى قال فيه بأنه راويته ، بنشر نظريات الشافعى وأقواله وإخراجها للناس ، فألف المزنى كتابه (المختصر) على هامش (الرسالة) للشافعى فى الفقه وأصوله ، وعليه تفقه معظم فقهاء الشافعية فى مصر والعراق والشام ، أما فى اليمن فكان المعول عليه ، وله شروح كثيرة لعلماء الشافعية باليمن كما سيأتى بيان ذلك فى كلامنا عن (أعلام الشافعية فى اليمن) .

الرقائق :

تأليف عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨٠ هـ .

المهذب :

فى فقه الشافعية للشيخ الإمام أبى اسحق إبراهيم بن على الشيرازى الفيروزاباذى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ، أحد أعلام الشافعية البارزين ، وله مصنفات أخرى : كالتنبيه ، والنكت ، والخلاف ، واللمع وشرحه والتبصرة فى أصول الفقه ، والملخص ، والمعونة والجدل ، وطبقات الفقهاء ، قال الأستاذ فؤاد سيد فى تعليقه على (طبقات ابن سمره) : « ومن أجله شيد الوزير الجليل نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد ودرس بها من سنة ٤٥٩ إلى آخر عمره » .

المعتمد فى الخلاف :

لأبى نصر محمد بن هبة الله البنديجى المتوفى سنة ٤٩٥ هـ ، وهو من أشمل كتب الشافعية وأندرها وجوداً .

العدة :

للحسين بن على الشيبانى الطبرى المتوفى سنة ٤٩٥ هـ شرحاً لكتاب الإبانة للفورانى ، وهو من أصحاب أبى اسحق الشيرازى[1] .

(١) طبقات ابن سمرة : ١١٩

الشامل :

لأبى نصر عبد الله بن محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الصبّاغ المتوفى سنة ٤٧٧ هـ ، وهو من أجود كتب الشافعية ، وأصحها نقلاً كما وصفه ابن خلكان ، وقد اعتنى العلماء بشرحه والتعليق عليه ، ويقع فى حوالى عشرة مجلدات[١] .

البيان :

للإمام يحيى بن أبى الخير العمرانى اليمنى الآتى ذكره ، وهو من أهم كتب الشافعية وأوسعها ، ويقع فى نحو عشرة مجلدات ، ويوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٥) فقه شافعى ، وأخرى فى مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم (٦٧١)[٢] .

شرح التلخيص :

لأبى على السِّنجى من قرية سِنْج بمرو المتوفى سنة ٣٠٤ هـ . والسنجى من أكبر علماء عصره وعالم خراسان فى فقه الشافعية[٣] .

---

(١) المصدر السابق : ١٥١

(٢) المصدر السابق : ١٧٧

(٣) المصدر السابق : ١٧٦

(أعلام المذهب الشافعي في اليمن)

في أواسط القرن الرابع الهجري جاء دور فقهاء الشافعية الذين ارتحلوا إلى مكة وبغداد لدراسة فقه الشافعي على أيدي أصحاب الإمام الشافعي وتلامذتهم ، ثم عادوا إلى اليمن حيث عملوا على نشره في مختلف المدن والقرى ، وكانت مدرسة موسى بن عمران المعافري بمخلاف المعافر بالحجرية ، ومدرسة عبد الله بن زرقان المرادي بقرية (ذي أشرق) من مخلاف جعفر (إب)، ومدرسة الحسين بن جعفر المراغي بقرية (سهفنه)[1] من الجند هي المدارس الأولى التي تخرج منها فقهاء الشافعية ، وكانت قرية (سهفنة) أكثرها حظاً وأعظمها ازدهاراً لا سيما في أيام الإمام القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي القرشي علامة الشافعية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، والذي كان لفضله الكبير وعلمه الغزير ونشاطه الجبار فضل كبير في دعم المذهب ، وعلى يديه تخرج عدد كبير من علماء الجند والمعافر وزبيد وعدن ، وقد قسم ابن سمره فقهاء الشافعية إلى خمس طبقات ، ولكنا سنقتصر هنا على إيراد البعض من تراجم هؤلاء الفقهاء توخياً للاختصار .

موسى بن عمران المعافران :

قال ابن سمره إنه من أوائل من أظهر مذهب الشافعية بالمعافر ، وقد روى كتاب (المنتقى) من السنن عن مؤلفه أبي الوليد موسى بن أبي الجارود المكي راوي كتاب (الأمالي) عن الإمام الشافعي ، وأحد الثقات من أصحابه .

---

(١) قرية صغيرة بالقرب من القاعدة شمالا وتسمى الآن : (سفنه) .

عبدالله بن على بن زرقان المرادى:

سمع فى ذمار من أبى زيد المروزى الجامع الصحيح للبخارى ، وكان الجامع كما قال ابن سمره مع غيره من كتب المرادى موقوفة بذى أشرق . وكان هذا الفقيه يسكن الشعبانية والأجناد ثم الصردف . ارتحل إلى مكة فسمع فيها على أبى على الحسن بن الخضر الأسيوطى سنة ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) ، عن أبى جعفر أحمد بن محمد الطحاوى المصرى عن أبى إبراهيم اسمعيل بن يحيى المزنى عن الإمام الشافعى ، كما سمع من أبى العباس أحمد بن إبراهيم الكندى فى المسجد الحرام فى نفس السنة المذكورة ، وكان قد جمع من الحديث كثيراً .

الحسين بن جعفر المراغى :

سكن (سهفنة) بعد أن سمع من الحافظ محمد بن مظفر بن موسى البغدادى عن الطحاوى عن المزنى عن الشافعى وله تصنيف فى علم الكلام سماه (الحروف السبعة فى الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلال والبدعة) ، وله طريق فى مختصر المزنى قرىء بها عليه فى سهفنة عن الامام الحافظ عبد الله بن محمد ابن زياد النيسابورى ببغداد عن المزنى ، ويقال إن المراغى مات فى السُّرة أو فى القهنة من قرى الجَنَد، وكانت له ذرية عامة .

محمد بن يحيى بن سراقة العامرى :

تفقه بالبصرة بأبى الحسين بن اللبان الفرضى البصرى . توفى فى حدود سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) .

القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحى القرشى :

قال ابن سمرة : هو إمام أئمة الشافعية فى صنعاء وعدن الذى نفع الله به المسلمين وعضد به الدين ، كانت الشافعية وكتبها قبله غير مشهورة كثيراً باليمن،

وقد سكن (سهفنه) وبها توفى سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٦م) وهو الذى انتشر عنه مذهب الشافعى فى مخلاف (الجند) و (صنعاء) و (عدن) ، ومنه استفاد فقهاء هذا المذهب فى هذه البلاد ، وكانت مدرسته فى (سهفنه) ، فأخذ عنه شافعية المعافر ولحج وأبين وأهل الجند والسحول وأحاضة وعنّة ووادى ظُباء ، وكان تفقه القاسم وتعلمه بوسط المائة الرابعة ، ودخل فى بدايته (زبيد) إلى أبى بكر بن العزب حيث أخذ عنه مختصر المزنى وشيئاً من شروحه . . . كما تفقه أيضاً بالشيخ عبد الله بن على بن زرقان المرادى ، وسمع من عبد العزيز بن يحيى المعافرى ، وكانت للقاسم رحلة إلى مكة سنة ٣٨٨ هـ لقى فيها أبا بكر أحمد بن إبراهيم المروزى وأخذ عنه كتاب السنن لأبى داود ، واستصحب معه إلى اليمن جد القاضى مسلم بن أبى بكر المراغى إلى (سفهنه) حيث سمع منه مختصر المزنى بروايته له عن البرذعى عن النيسابورى عن المزنى ، وأخذ القاسم عن المراغى (سنن المزنى) و (سنن الربيع) وتواليفه فى علم الكلام ، وكان القاسم قد جمع مع الفقه والحديث والكلام وأصول الفقه علم القراءات ومعانى القرآن ... وكان فقيهاً عالماً ، جمع مجلسه القرباء والبعداء ، وأخذ عنه العلم خلق كثير منهم : إسحاق المشارى المعافرى ، وجعفر بن عبد الرحيم المخائى ، وعمر بن إسحاق المصوّع ، وابنه عبد الله ، ومن سوق ظباء : أبو الخير أيوب ابن محمد بن كديش ، وإبراهيم بن أبى عمران ، وعبد الملك بن أبى ميسرة ، وأسعد بن خلاّد ، ومحمد بن سالم بن عبد الله بن زيد ، وغيرهم من مشاهير أصحابه (١) .

جعفر بن عبد الرحيم المُخائى :

قال بن سمُرة : الإمام الزاهد ، أخذ الفقه وأصوله عن الإمام القاسم بن محمد القرشى ، وقد سكن (الظرافة) أولاً ثم انتقل إلى الجند ، وكان زاهداً

(١) المصدر السابق صحيفة : (٨٧ — ٩٠)

ورعاً تقياً ، وقد سأله علي بن محمد الصليحي عندما دخل الجند أن يلي القضاء له فقال له : است أصلح للقضاء ، فأعرض عنه الصليحي مغضباً ، ثم افتقُد في المجلس فلم يوجد : بل خرج من ساعته ، فأدركه جلاوزة الصليحي (حرسه) وهم خمسة عشر رجلاً ، فأدركوه طالعاً عقبة الغارافة فلما رآهم قد قصدوا قتله قام يصلي فضربوه بسيوفهم فلم تؤثر فيه بالقتل بل أغمى عليه ، كما حكى ذلك لبعض قرابته . وله كتاب في الخلاف سماه (الجامع) ، وكان يتقي من الصليحي هو وشيوخ أهل السنة ومات رحمه الله سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) .

أبو حفص عمر بن اسحق المصوّع :

تفقه بالقاسم بن محمد القرشي . سكن وادى ظُباء وصنف (المُذهب) و (الجامع) ، وابنه أبو محمد عبد الله بن عمر كان فقيهاً ظريفاً ذا مال وجاهٍ ، وكان يروم الإمارة في التعكر [١] والخروج على المكرم بن الصليحي، ولكنه لم يظفر به لسبق المفضل بن أبي البركات عامل المكرم إليه بعد قتل أخيه منصور بن أبي البركات ، وقد اغتصب المفضل أموال عبد الله بن عمر وسبا بيته بذي سفال وخرج بعض الفقهاء من ظُباء ونخلان بسبب تلك الحادثة [٢] .

أبو الخير أيوب بن محمد بن كُديس :

سكن سوق ظُباء ، وكان بعد القاسم بن محمد ، وهو أستاذه ، وهو الذى كان ينادَى له في الحرم من كل عام : من أراد الورَق والورِق والسماع العالى ، فعليه بأيوب بن محمد بن كديس في ظباء من أرض اليمن ، سمع من أبي ذر

---

(١) التعكر : جبل في ذي جبلة من أعمال (إب) ، وفي أعلاه قلعة حصينة كانت أحدى معاقل الصليحيين وبالأخص الملكة أروى .

(٢) طبقات ابن سمرة ص (٩٤) .

عبد الله بن أحمد بن محمد الهروى الحافظ فى المسجد الحرام سنة ٤٠٧ﻫ (١٠١٦م) ومن ذريته أسمر بن أبى الفتوح الذى قتله الأمير المفضل بن أبى البركات عامل الصليحى السالف الذكر[1] .

أبو بكر بن جعفر بن عبد الرحيم الخانى :

تفقه بأبيه جعفر بمختصر المزنى وشرحه (مجموع المحاملى) ، ويقال أنه كان يحفظ المجموع عن ظهر قلب ، وكان له فى كل عام رحلة إلى زبيد يناظر فيها القاضى محمد بن أبى عوف الحنفى ، وكان يستظهر عليه لشدة حفظه . وابن أبى عوف هذا هو مؤلف كتاب (القاضى) المشهور عند الحنفية كشهرة المهذب عند الشافعيه ، وكان أبو بكر رئيساً فى الدين والدنيا ، يصحب السلاطين ويقبل جوائزهم كجياش ابن نجاح ، والحسين بن المغيرة التبعى ، وأحمد بن عبد الله الكرندى ، لأن هؤلاء السلاطين أهل سنة ومجانبون لما عليه الصليحيون من السمعلة (أى الانتساب إلى الاسماعيلية) وكانت وفاة أبى بكر سنة ٥٠٠ ﻫ (١١٠٦ م)[2] .

إسحق بن يوسف بن يعقوب بن عبد الصمد الصَّردفى :

تفقه بجعفر بن عبد الرحيم ، وكان علاَّمة فى علم المواريث والحساب والفرائض ، وكتابه (الكافى) شاهد على ذلك ، ويقال أن أصله من المعافر ، ثم سكن السُّلف والصَّردف وسَير وصنف كتابه الكافى فى الفرائض والحساب بسَير ، فاستغنى بكتابه كافة أهل عصرنا عن الكتب القديمة ، وكان الفقهاء قبل ذلك يتفقهون فى المواريث بكتاب أبى بقية محمد بن أحمد الفرضى وبكفاية المبتدىء لمحمد بن يحيى بن سراقة العامرى . توفى على رأس الخمسمائة[3] .

(١، ٢، ٣) نفس المصدر : ص (٩٢) .

عبد الله بن يزيد العُنى الحرازى :

كان فقيهاً عارفاً خطّاطاً مجوِّداً ، له تصنيف فى أصول الدين وعلم الكلام يسمى : «السبع الوضائح فى أصول الدين على مذهب السلف الصالح» ، وله تصانيف أخرى مليحة . مات رحمه الله بعد الخمسمائة(١) .

زيد بن عبد الله بن جعفر اليفاعى :

قال عنه ابن سمُرة : هو أستاذ الأستاذين وشيخ المصنفين تفقه بصهره الشيخ إسحق الصَّردفى فى الفرائض والحساب ، وأبى بكر بن جعفر المخائى فى الفروع ، وارتحل إلى مكة مرتين : الأولى لقى فيها الحسين بن على الشيبانى الطبرى مصنف (العدة) وأبا مضر محمد بن هبة الله البنديجى مصنف (المعتمد فى الخلاف) والمتوفى باليمن سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م)، وكلاهما سبق الكلام عنه، فقرأ عليهما فى (المهذب) و (التبصرة) فى علم الكلام ، ثم رجع إلى اليمن فاجتمع الناس إليه للدرس فى حياة الإمام أبى بكر بن جعفر المخائى ، وكان يقرىء كل واحد طلب منه القراءة ولا يسئل عن نسبه وحسبه ، أما أبو بكر فكان لا يقرىء إلا من له منصب وحسب ونسب . وأصل الفقيه عبد الله من المعافر ثم سكن الجند ، وكانت مدرسته فيها ، وقد هاجر إلى مكة ومكث بها اثنتى عشرة سنة بسبب ما جرى بينه وبين أبى بكر بن جعفر بن عبد الرحيم من الاختلاف ، بسبب المكائد التى كان يثيرها بين الإمامين وأصحابهما أمير الصليحيين المفضل ابن أبى البركات ، حيث جعل منهما حزبين متعارضين متفانتين ، وذلك حفاظا على السلطة الصليحية،وقد عاد إلى اليمن سنة ٥١٣ بعد هلاك المفضل ، فاجتمع عنده من طلبة العلم وفقهاء المذهب المشهورين ما يربو على المائتين من فقهاء تهامة وأبين وحضرموت والسحول . توفى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م) (٢) .

(١ ، ٢) المصدر السابق

عبد الله بن أحمد بن محمد الهمداني : سكن زبران من بادية الجند ، وهو من تلاميذ اليفاعي ، وكان يفضله على أصحابه لمعرفته ، ومن أشياخه أبو بكر ابن جعفر بن عبد الرحيم ، وأكثر أخذه عن اليفاعي وابن عبذويه صاحب (الإرشاد) في أصول الفقه ، وسمع عليه قراءة المهذب وغيره وكان زاهداً ورعاً . توفى سنة ٥١٨ ﻫ (١١٢٤م) .

زيد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أبي أيوب الفائش : كان عالماً بعلوم كثيرة منها : علم القراءات بطريقة أبي معشر الطبري قرأه عليه بمكة ، والتفسير والحديث واللغة وغيرها ، وكان كثير الحج ، وربما جاور بمكة ، وله أشياخ كثيرون في مكة واليمن ، وبكثرة رحلاته في طلب العلم أحرز منه قسطا كبيراً ، وقد أحصى من كتبه التي كانت تضمها مكتبته فزادت على الخمسمائة كتاب ، وكان قوّاما بالليل ، يصلي بالسبع من القرآن كل ليلة في غالب أحواله وأكثر زمانه وصنف في مذهب الشافعي مختصراً مليحاً سماه : (التهذيب) ، وتفقه به خلق كثيرون من بلاد شتى ... الخ . توفى سنة ٥٢٨ ﻫ (١١٣٤ م) .

يحيى بن أبي الخير العمراني :

ولد في مصنعة سَير ودرس العلم على خاله أحمد بن عبد الله في كافي الفرائض للصّردفي ، وعلى موسى بن علي الصعبي (التنبيه) وعلى الإمام عبد الله الهمداني (المهذب) و (اللمع) لأبي إسحق و (الملخص) و (الإرشاد) لابن عبد ربه ثم ارتحل إلى (أحاضة) حيث أخذ عن الإمام زيد الفائش (التعليق) في أصول الفقه و (غريب الحديث) في اللغة و (مختصر العين) للخوافي و (نظام الغريب) للربعي ، وله شيوخ كثيرون ، وقد أطنب ابن سمرة في ترجمته فقال : الإمام الذي انتشر عنه الفقه في البلدان ، وجاوز علمه البحر والسودان ، وسارت بتصانيفه الركبان في اليمن والشام ، وقد كمل كتاب (الزوائد) وحج في سنة ٥٢١ ﻫ

ولقى الإمام الواعظ الشريف محمد بن أحمد العثمانى الديباجى فى مكة فتناظرا وتذاكرا فى مسائل الفقه والأصول، وعنه أخذ مشايخ الشافعية كتاب (التبصرة) لأبى الفتوح فى أصول الدين. ومن أهم مصنفاته: (البيان)، وقد سبق الإشارة إليه قبل هذا فى (كتب الشافعية) ويقع فى نحو عشرة مجلدات، وقد ذكر فيه مسائل تدل على علمه وفضله، وكان يحفظ (المهذب) عن ظهر قلب، وقد أقام رحمه الله فى (سَير) ثم انتقل منها إلى (ذيسفال) ثم إلى (ذى اشراق)، ثم عاد إلى ذيسفال حيث مات بها سنة ٥٥٠ هـ، وكان فى كل بلدة يقيم بها يجهد نفسه على التدريس والتأليف، ومما ألفه فى هذه الآونة كتابه: (الانتصار فى الرد على المعتزلة القدرية الأشرار) وذلك سبب فتنة أثارها قاضى الزيدية القاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام[1]، و (غرائب الوسيط)، وقد انتحل الشروح الكثيرة والدلائل المشهورة والمسائل المفيدة والأقيسة السديدة. إلى أن قال ابن سمرة فما أعلم فى أكثر هذا الخلاف فقيها مجوداً ومناظراً مجتهداً إلا من أصحابه وأصحاب أصحابه .... الخ، وفيه يقول الشاعر :

لله شيخ من بنى عمران مذ كان شاد العلم بالأركان

(يحيى) لقد أحيى الشريعة هادياً (بزوائد) و(غرائب) و(بيان)

هو ذروة اليمن الذى ما مثله من أول فى عصرنا أوثانى

توفى بذيسفال سنة ٥٥٨ هـ، ومن كبار أصحابه الذى تفقهوا به وسمعوا عنه: عمه محمد بن موسى بن عمران وابنه أبو الطيب طاهر صاحب كتاب (مقاصد اللمع) و (كسر قناة القدرية) و (مناقب الإمام الشافعى) و(مناقب الإمام أحمد بن حنبل) و (معونة الطلاب بفقه معانى كلم الشهاب)، وقد تولى قضاء جبله لعبد النبى بن مهدى، وهنالك من أصحابه وتلامذته من يزيد عددهم على المائتين، وقد ترجم ابن سمرة لخمسين منهم اكتفينا منهم بمن ذكرنا.

(١) سنأتى ترجمته وطرف من قصته مع العمرانى فى الفصل الأخير .

٢ — المذهب الإسماعيلي

تعددت الأقوال حول تسمية هـذا المذهب ، كما تعددت الأبحاث حول فلسفته وفقهه ومعتقداته ، فقد سميت الفرقة المعتنقة له بالاسماعيلية ، والباطنية ، والإمامية السبعية ، والفاطمية ، وإذا نظرنا إلى معتقداتها وأقوالهـا وجدنا أن هذه الأسماء تنطبق عليها ، فهى إسماعيلية لأنها تقول بإمامة اسمعيل بن جعفر الصادق ، وهى باطنية لأنها تفسر القرآن والسنة بتأويلات باطنية لم يقل بها غيرها من الفرق،مدعية بأن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر ، وهى عند الأذكياء رموز وإشارات على حقائق معينة لايعرفها إلا من ارتقى إلى عـلم الباطن ، وسميت بالفاطمية لأنها تحصر الإمامة فى أبناء فاطمة لا غيرهم .

والذى يفهم من مراجع هذا البحث المختلفة والمتعددة بأن اسماعيلية اليمن يمـكن أن يطلق عليها (الاسماعيلية المباركية) ، وهى إحدى الفرق الجعفرية ، لأنها زعمت أن جعفر الصادق نص على ولده اسمعيل بالإمامه من بعده، وجعل الوصية إليه ، لأنه كان أسن أولاده وآثرهم عنده فمات إسمعيل فى حياة أبيـه فانتقلت الإمامة إلى ابنه محمد ثم إلى ذريته من بعـده ، وقد سميت بالمباركية نسبة إلى زعيم لها كان يسمى (المبارك) . ويطلق على هذه الفرقة عند علماء الملل والنحل بالسبعيّة لأن محمد بن إسمعيل هو الإمام السابع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهنالك فرقة أخرى للإسماعيليـة ، وهى تتوقف عند إسمعيل بن جعفر وتوجب إمامته، وأنه لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا ، محتجة بقول جعفر الصادق : « ما كان الله ليداول علىّ فى إمامة إسمعيل » .

وكلا الفرقتين تدعى بأن إمامها هو المهدى المنتظر ، إلا أن الأولى تقول

بانتقال الولاية إليه بطريق الوراثة وأنه لا يخلو من وجوده عصر من العصور ، وإمامهم فى هذا العصر هو أغا خان الإسماعيلى الموجود فى الهند والذى تنتمى إلى هذه الأسرة لانحصار الإمامة فيه .

ويقول القاضى نشوان بن سعيد الحيرى فى كتابه (الحور العين) بأن الإسماعيلية المباركية قد افترقت هى الأخرى إلى فرقتين : الأولى : وتقول بأن محمد بن إسمعيل بن جعفر حىّ لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا ، وأنه القائم المهدى المنتظر عندها ، واحتجت بروايات لها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم «إن سابع الأئمة قائم» فالسبعة: على ، الحسن ، الحسين ، على بن الحسين ، محمد بن على ، جعفر بن محمد ، والسابع محمد بن إسمعيل بن جعفر .

الثانيـة : وتقول بأن محمد بن إسماعيل قد مات ، وأن الإمامة فى ولده من بعده .

وبالمقارنة بين هذه الأقوال وبالنظر إلى المراجع الموجودة بأيدينا الآن ، نجد أن إسماعيلية اليمن إحدى طائفتى الإسماعيلية المباركية التى تقول بإمامة محمد ابن إسماعيل الذى قد مات وأن الأمامة فى ولده من بعده، وهذه هى الفرقة التى كان ينتمى إليها الهادى المستور الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الذى سمى نفسه (ميمون القداح) والذى بعث داعيتيه إلى اليمن وهما الحسن بن فرج بن حوشب وعلى بن الفضل الخنفرى سنة ٢٦٨ هـ (٨٨٢ م) وأمرهما أن يدعوا إلى ابنه عبد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية وأول خلفائها ٢٨٠ — ٣٢٢ هـ (٨٩٣— ٩٣٤ م) .

وجاء فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى فى كلامه عن الإسماعيلية وعقائدهم: «وقد لزمهم لقب الباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذا على لسان قوم قوم ، فبالعراق يسمون الباطنية

والقرامطة والمزدكية ، وبخراسان التعليمية، وهم يقولون : نحن إسماعيلية لانميزنا من فرق الشيعة هذا الإسم وهذا الشخص » .

فرق الشيعة :

وبما أن الإسماعيلية ليست إلا فرقة واحدة من مجموع فرق الشيعة ، فإنه يلزمنا أولا ـ وقبل أن نبدأ الكلام عنهاوعن تاريخ ظهورها باليمن ـ أن نعرف قبل ذلك الفرقة الرئيسية التى تفرعت منها الاسماعيلية وغيرها من فرق الشيعة وما ينبغى أن نقف عليه من فقهها وعقائدها .

هنالك الكثير من الكتاب العرب والمستشرقين الذين كتبوا عن هذه الفرقة الكبرى ، فمن أهمهم: ابن خلدون فى مقدمته والشهرستانى فى كتابه الملل والنحل والسيد المرتضى فى كتاب (الأمالى) و (الملل والنحل) والبلاذرى فى كتابه (الأنساب) وابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة والمبرد فى (الكامل) وغيرهم من أهل السير والطبقات والأنساب ، وقد تشعبت الأقوال فيهم وفى فلسفتهم وعقائدهم ، فمنهم من يعزو بعض آرائهم إلى عبد الله بن سبأ بصفته مؤسس هذه الفرقة ومبتدع آرائها ومنهم من ينسبها إلى غير ذلك[١] .

ولكن معظم هؤلاء يجمعون على أن التشيع المجرد من الحزبية قد نشأ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان إسم التشيع يطلق على محبة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والحكم بأحقيته بالإمامة أو الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بصفتها ميراثاأدبى ، لقرابته أولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقته فى الإسلام ومكانته من المسلمين وحسن بلائه فى سبيل الله وسيرته التى لم تعرف العوج قط ، وشدته فى الدين ، وفقهه بالكتاب والسنة . . . . الخ [٢] ، وثانياً للأدلة التى وردت فيه ، وهى وإن

---

(١) راجع فضائح الباطنية للغزالى .   (٢) الفتنة الكبرى لطه حسين : ١٥٣/١

كانت لا تحمل نصاً صريحاً فى ولايته ، إلا أن بعض الصحابة — ومنهم علىٌّ نفسه — قد فهموا منها ذلك .

وبعد أن جنح على إلى مبايعة أبى بكر ثم عمر ثم عثمان جنح أولئك الصحابة معه، وذلك لما قاله الإمام على كرم الله وجهه : « للحفاظ على وحدة صف المسلمين وخشية منه إن لم ينصر الإسلام وأهله، بعد أن رأى راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محو دين محمد وأن يرى فى الإسلام ثلماً وهدماً تكون المصيبة به عليه أعظم من فوات الولاية التى إنما هى متاع أيام قلائل . . . . الخ »[1] .

وكان من بين هؤلاء الصحابة بعد أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم: سلمان الفارسى ، وأبو ذر الغفارى ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم من الصحابة الذين أحبوا علياً وناصروه فى حربى الجمل وصفين مناصرة فعالة ، مدفوعين فى ذلك بدافع الولاء والحب .

وعندما إزداد تذمر الناس من بطانة سيدنا عثمان رضى الله عنه ، وسخط عليه حتى بعض كبار الصحابة ، ومنهم طلحة والزبير وعائشة وأبو ذر الغفارى وغيرهم واشتدت معارضتهم له ، وإن كانت فى بعض الأحيان معارضة رفيقة لا تتجاوز حدود النقد والاستنكار تارة ، والنصح والإرشاد تارة أخرى ، فقد ساعد ذلك على تكوّن جبهة معارضة بدأت فى (مصر) بزعامة محمد بن أبى الحنفية ، وانضم إليها كما قيل عمار بن ياسر .

وكان سبب ظهور هذه المعارضة فى مصر بالذات هو حيث كان يوجد الاستياء الشديد من أعمال عبد الله بن أبى سرج عامل عثمان ، ذلك الاستياء الذى أذكاه محمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر تارة بواسطة النقد العلنى،

---

(١) راجع كتاب الإمام على إلى أهل العراق فى كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة (١٦١) .

ثم التشنيع المفتوح بالخليفة عثمان وعامله تارة أخرى ، الأمر الذى أوجد جبهة قوية ثائرة ، أفضت إلى المطالبة بخلع عثمان ثم إلى حصاره وقتله .

ولم تظهر هذه المعارضة فى مصر فقط فقد ظهرت بالعراق بصورة لا تقل عنها فى مصر سخطاً واستياء ، « ويكفى أن تقرأ كتاب مالك بن الحارث الأشتر إلى عثمان حين ردت الكوفة عامله سعيد بن العاص لترى سخط الناس والشباب منهم خاصة ، وبعد أن كتب اليهم يعظهم ويبصرهم . . . الخ »(١)

« من مالك بن الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطىء الحائد عن سنة نبيه النابذ لحكم القرآن وراء ظهره .

أما بعد فقد قرأنا كتابك ، فإنه نفسك وأعمالك عن الظلم والعدوان ، وتسيير الصالحين ، نسمح لك بطاعتنا وزعمت أنا قد ظلمنا أنفسنا ، وذلك ظنك الذى أرداك فأراك الجور عدلا والباطل حقا ، وأما محبتنا فإن تنزع وتتوب وتستغفر الله من تجنيك على خيارنا وتسييرك صلحائنا وإخراجك إيانا من ديارنا ، وتوليتك الأحداث علينا ، وأن تولى مصرنا عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعرى وحذيفة ، فقد رضيناهما ، واحبس عنا وليدك وسعيدك ، ومن يدعوك اليه الهوى من أهل بيتك إنشاء الله والسلام » .

فأنت ترى أن كلاً من زعماء المعارضة فى كل من مصر والعراق كانوا ممن ناصر علياً والتف حوله بعد مقتل عثمان ، ذلك لأنهم كانوا أكثر إحساساً وأشد استنكاراً .

التشيع فى دوره العقائدى :

يستنتج مما ذكرناه أن التشيع فى الإمام على كرم الله وجهه قبل توليه

(١) الفتنة الكبرى : ١٢٩/١ .

الخلافة كان من الصحابة كما قلنا مجردولا ومحبة وكذلك كان بعد توليه الخلافة، بصفته أولاً الخليفة الشرعى للمسلمين ، وثانيا لما هو معروف به من المكانة والفضل ، إلا أن ذلك الحب تطور بعد موته إلى الغلو من بعض العناصر التى أصبحت فيما بعد فرقاً،ولكن التاريخ لم يحسب لها بعد فى سجله أى حساب ، ولذلك سرعان ما انتهت واضمحلت ، ونعنى بهذه الفرق:السبئية والسحابية والغرابية والبترية والجارودية وغيرها .

أما قصة عبد الله بن سبأ التى جعل منها بعض المؤرخين أساسا لانتقاض الناس على عثمان وسببا للفرقة بين المسلمين ، فقد أنكر ذلك المنصفون من الكتاب المعاصرين ، ومنهم الدكتور طه حسين حين قال :

« ويخيل إلىّ أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ اسرافا شديدا . وأول مانلاحظه أنا لا نجد لابن سبأ ذكراً فى المصادر المهمة التى قصت أمر الخلاف على عثمان ، فلم يذكره ابن سعد حين قص ما كان من خلافة عثمان وانتقاض الناس عليه ، ولم يذكره البلاذرى فى أنساب الأشراف، وهو فيما أرى أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلا، وذكره الطبرى عن سيف بن عمر ، وعنه أخذ المؤرخون الذين جاؤا بعده فيما يظهر » .

« ولست أدرى أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن ، ولكنى أقطع بأن خطره — إن كان له خطر — ليس ذا شأن ، وما كان المسلمون فى عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارىء من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان ، ولم يكد يسلم حتّى انتدب لنشر الفتنة وإذاعة الكيد فى جميع الأقطار . ولو قد أخذ عبد الله بن عامر أو معاوية هذا الطارىء الذى كان يهوديا ، فلم يسلم إلا كائدا للمسلمين لكتب أحدهما أو كلاهما فيه إلى عثمان

ولبطش به أحدهما أو كلاهما ولو قد أخذه عبد الله بن أبي سرح لما أعفاه من العقوبة التي كان ينزلها بالمحمدين لولا خوفه من عثمان ، والذي يكتب إلى عثمان يستأذنه في البطش بابن أبي بكر وابن أبي حذيفة وعمار بن ياسر في بعض الروايات خليق ألا يعفي من عقوبته رجلا من أهل الكتاب قد اتخذ الاسلام وسيلة لإثارة الفرقة بين المسلمين ، وتشكيكهم في إمامهم بل في دينهم كله ، ولم يكن أيسر من أن يتتبع الولاة هذا الطارىء ومن أن يأخذوه ويعاقبوه ، وهم كانوا مهرة في تتبع المعارضين وإخراجهم من ديارهم وإرسالهم إلى معاوية أو إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد »(١) .

« ومن أغرب ما يروى من أمر عبد الله بن سبأ هذا أنه هو الذي لقن أباذر نقد معاوية فيما كان يقول من أن المال هو مال الله وعلّمه أن يقول إنه مال المسلمين . ومن هذا التلفيق إلى أن يقال إنه هو الذي لقن أباذر مذهبه كله في نقد الأمراء والأغنياء ، وتبشير الكانزين للذهب والفضة بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما أعرف إسرافا يشبه هذا الإسراف ، فما كان أبو ذر في حاجة إلى طارىء محدث في الإسلام ليعلمه أن للفقراء على الأغنياء حقوقاً ، وأن الله يبشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم . . . . فالذين يزعمون أن ابن سبأ قد اتصل بأبي ذر وألقى عليه بعض مقاله يظلمون أنفسهم ويظلمون أبا ذر، ويرقون بابن السوداء إلى مكانة ما كان يطمع في أن يرق إليها »(٢) :

التشيع في دوره السياسي :

كان لتتابع الأحداث الخطيرة والتصرفات التي اتخذها زياد عامل معاوية

---

(١) الفتنة الكبرى : ١/١٣٢ . (٢) نفس المصدر .

على الكوفة والذى ألحقه معاوية بنسبه أثرها البالغ فى اضطهاد الشيعة وقتلهم وتشريدهم وإخراج من بقى من ديارهم ، ثم جاءت فاجعة (كربلاء) بقتل الحسين بن على رضى الله عنهما ، وقتل معاوية لحجر بن عدىّ وأصحابه ثم قتل هانىء بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل الهاشمى بأمر زياد بن أبيه ، مما كان عاملاً آخر فى تعميق الأسى والحزن فى قلوب المسلمين ومضاعفة السخط والحنق على بنى أمية، الأمر الذى حفّز الشيعة تحفيزاً شديداً وجعلهم يتكتلون ويشكلون حزباً قوياً لم يكن له وجود من قبل .

وقد تمثل هذا الحزب بادىء الأمر فى ثورة التوابين بالكوفة سنة ٦٥ هـ ضد عاملها عبد الله بن زياد عامل مروان بن الحكم ، وكان شعارهم الأخذ بثأر الحسين ، وسُمُّوا بالتوابين لأنهم تابوا فى تقصيرهم بحق الحسين ، إلا أن ابن زياد تمكن من إخماد هذه الثورة فى أول معركة جرت بينهم وبينه فى مكان خارج الكوفة يدعى : « عين الوردة » ، بعد أن قُتل قائدهم سليمان ابن صُرد .

الكيسانية :

ولم يمض على هزيمة التوابين عام واحد حتى كان المختار بن عبيد الثقفى قد تمكن ثانية من تأليب أهل الحجاز على بنى أمية ، والتف حوله لفيف من المسلمين . وكانت سياسته تتركز على الدعوة باسم محمد بن الحنفية الذى سماه (بالمهدى) و (الوصى) ، بصفته ولى دم الحسين ووارث العلوم التى أوصى بها على عليه السلام .

وكان هذا المختار يسمى (كيسان) وإليه نسبت فرقة الكيسانية ، وقيل إن كيسان كان مولًى للإمام على على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل

مولى لمحمد بن الحنفية، ومهما يكن من شيء فقد أحرز هذا المذهب نجاحاً كبيراً أتاح للمختار — وفى خلال وقت قصير — تجهيز جيش جرار بقيادة إبراهيم بن الأشتر النخعى سنة ٦٦ هـ (٦٨٨م) لمناجزة عبيد الله بن زياد القتال، وقد التقى الجانبان على نهر (الخازن)، وأسفرت المعركة عن قتل ابن زياد مع عدد من أنصاره واستيلاء إبراهيم بن مالك على الكوفة.

وعلى إثر ذلك جاء المختار إلى الكوفة وقال لأهلها: «لقد بعثنى المهدى الوصى إليكم أميناً ووزيراً، وأمرنى بقتل الملحدين، والطلب بدم أهل بيته، والدفع عن الضعفاء». ثم أخذ فى تنفيذ هذا الأمر فقتل عدداً كبيراً من أعداء العلويين وممن اشترك فى قتل الحسين، وكان بلاؤهم بالمختار وقائده إبراهيم بن الأشتر — كما قال الأستاذ عباس العقاد فى كتابه «سيد الشهداء» — عدلا لا رحمة فيه، ولا نحسب قسوة بالآثمين سلمت من اللوم أو بلغت من العذر ما بلغته قسوة المختار ... الخ.

واستمر المختار فى مطاردة قتلة الحسين والتنكيل بهم، وساعده على ذلك التفاف كثير من الناس حوله وتأييدهم له قولاً وفعلاً، مما أحرز عدة انتصارات ضد الأمويين، لولا ما كان من قتله على يد مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله لغرض سياسى.

آراء الكيسانية:

والكيسانية أقدم فرق الشيعة، بل هى المحور الذى ارتكزت عليه فرقة التشيع كمذهب سياسى كان له شأنه العظيم فى التاريخ الإسلامى، وتتكون آراؤهم من خمس نقاط كلها ترمز إلى مبدئهم حول تدعيم إمامة محمد بن الحنفية وترسيخ الدعوة له.

وكان حرصهم الشديد على عودة الإمامة إلى أهل بيت النبي (ص) وعلى انتزاعها من أيدى الأمويين قد جرهم إلى انتحال بعض المعتقدات فى سبيل تقديس محمد بن الحنفية وتثبيت الإمامة الهاشمية ، وكان حبهم لأهل البيت النبوى وعداؤهم البالغ لبنى أمية هو الذى جرهم إلى ابتكار آرائهم ودفعهم إلى اختراعها دفعا . وأهمها ما يلى :

(١) القول برجعة الإمام المهدى محمد بن الحنفية ، ومنهم من يقول وهم الأكثر بأنه ما زال حياً بجبل رضوى عنده عسل وماء ، ومنهم الشاعر المشهور كثيِّر عزّة الذى يقول فى هذا الصدد :

ألا إن الأئمة من قريشٍ ولاة الحق أربعة سواء
علىٌّ والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمانٍ وبرٍ وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يتبعه اللواء
تغيَّب — لا يُرى — منهم زماناً برضوى عنده عسل وماء

(٢) عصمة الأئمة ووجوب تقديسهم .

(٣) تناسخ الأرواح ، وهو خروج الروح من جسد وحلولها فى جسد آخر ، ويعنى ذلك أن روح الإمام التى تحمل العصمة تنتقل إلى جسد الإمام الذى يليه .

(٤) الإيمان بالبداء ، وهو أنّ الله يغير ما يريد تبعاً لتغير علمه ، وهذا القول إن صح عن الكيسانية فهو مخالف تماماً لبقية فرق الشيعة التى تقول بأن البداء هو جواز تغير الأحكام بتغير المصلحة باعتبار الزمان والمكان.

(٥) أن لكل شيء ظاهراً وباطناً وهو العلم الذى آثر به الإمام على

ابنه محمد بن الحنفية ، ولا يصلح للإمامة إلا من أحرز علم الباطن ، لأنه ينتقل إليه بالوصاية ، ومن ثمة فهو دليل عندهم على صحة الإمامة .

فرق شيعية أخرى :

وقد جاء بعد الكيسانية فرق شيعية أخرى عددها نشون الحميرى فى كتابه رسالة الحور العين إلى إحدى عشرة فرقة ، أهمها فرقتان لا تزالان باقيتان حتى اليوم وهما :

(١) الإماميـة

(٢) الزيدية

وما عداهما ثمـان فرق مغالية قامت معظمها على تأليه الإمام على والمغالاة فى موالاته وحبه ، وهى التى قال فيها الإمام علىّ نفسه . « هلك فىّ اثنـان : قالٍ مبغض وغالٍ مفرط » وحصرها كما جاء فى الحور العين : السبئية ، السحابية،الغرابية ، الـكاملية ، الحريرية ، الجارودية ، الحسينية . وحيث أن هذه الفرق لم يبق لهـا أهمية فى كتب التاريخ الحديث فقد تركنا الـكلام عنها خشية الإطالة .

الإماميـة :

وسميت بالامامية لأن مؤسسى هذه الفرقة ركزوا سياستهم حول مركز الامامة ودعموها بآراء وتأويلات من القرآن والسنة شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من علماء الشيعة ، إلا أن الامامية وإن كانوا فرعاً من الشيعة فقـد أحدثت آراؤهم ضجة كبرى وأوجدت دوياً فى الميدان العلمى والفلسفى فى تاريخ الاسلام ، وكانت نظرياتهم قد اكتسبت الصبغة السياسية بصورة أقوى من

غيرها من فرق الشيعة الأخرى ، ذلك لأن الامامية وبالأخص الاسماعيلية منها كانت أكبر نشاطاً وأكثر دأبا فى تكوين الامامة ، ولا غرو فقد ساعدها الحظ فى بناء الدولة الفاطمية فى اليمن والمغرب ومصر لمدة دامت ما يقرب من ثلاثمائة عام (٢٨٠—٥٦٦ هـ) .

وعندما نتصفح تاريخ مصر فى عهد الدولة الفاطمية، نجد أنه كان أكثر ازدهاراً وأعظم حيوية من غيره ، فقد شاهدت مصر حركةً علمية ودينية وفنية تفوق كل الحركات السالفة من إخشيدية وطولونية ، كما شاهدت أيضاً فلسفة كلامية جديدة كان معظمها مقتبساً من آراء إفلاطون وأرسطو مع مزجها مزجاً دقيقاً بفلسفة الدعوة وعلوم التشيع فى إطار دعائى محكم يهدف إلى تثبيت الامامة الفاطمية وترسيخ أقدامها ، وقد جاء فى خطط المقريزى فصول مطولة أوضح فيها ما بلغ إليه الفاطميون فى مصر من إهتمام بالعلم بكافة أنواعه الفقهية والأدبية والفلسفية ، وما اشتملت عليه خزائنهم من الكتب النادرة وقال : إنه كان بقصر العزيز أربعين خزانة من جملتها خزانة فيها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة (الفلسفة والطب والالهيات وما إليها) .

أما المبادىء التى تفرد بها الامامية والتى تدور عليها عقائدهم وفلسفتهم فهى نفس المبادىء التى قال بها الشيعة مع اختلاف بسيط فى موضوع الأئمة ، وتتلخص فى النقاط التالية :

١ — القول بإمامة على عليه السلام باسمه وعينه ، لأن النبى (ص) نص بذلك ونصبه للناس إماماً وأظهر هذا الأمر على غيره من الصحابة ، وإن الأمة كفرت وظلت بصرفها الأمر إلى غيره ، وإن الخليفتين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما انتزعاها منه انتزاعاً ، ولذلك فهما ظالمان يجب على كل مسلم التبرؤ منهما .

٢ — القول بعصمة الأئمة — كالأنبياء — من المعاصى والكبائر والخطأ والنسيان ، لأن الإمام حافظ الشريعة .

٣ — القول بالرجعة، وهو اعتقاد رجعة إمامهم ، وقد افترقوا فى تعيين هذا الإمام إلى فرقتين :

الأولى : وتسمى الإثنا عشرية ، وتعتقد غيبة الامام الثانى عشر وهو عندهم الحسن بن على العسكرى المستور ، وهذه الفرقة أكثر الشيعة عدداً ، ويوجد معظمها فى العراق والشام وإيران .

الثانية : السبعية وهى الاسماعيلية ، وتعتقد إمامة محمد بن اسماعيل ابن جعفر حسبما سبق بيانه .

٤ — الايمان بالمعجزات التى يمتاز بها الأئمة لاثبات إمامتهم ، لأنهم كانوا أوصياء النبى (ص) وكما أن النبى له معجزة فكذلك الوصى له معجزة أيضاً .

٥ — القول بالتقية ، وهو أن للمسلم أن يظهر خلاف مايضمر عند الضرورة أو الخوف استناداً إلى قوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، وهى إحدى النظم السرية للشيعة كوسيلة لتنفيذ الخطة وإحكام تدابير الدعوة .

٦ — أن لكل ظاهر باطناً فى علوم الشريعة حسبما أسلفنا .

هذا ملخص أقوال الإمامية ككل ، وهناك آراء أخرى للإمامية الاسماعيلية تتعلق بالتأويل اعتبرها علماء الكلام آراء شاذة كانت عرضة لنقد الشديد من كثير من علماء الإسلام .

(النظريات الأساسية للمذهب الاسماعيلى)

إن الاسماعيلية — وهى جزء لا يتجزأ من فرق الشيعة — قد جعلت مسألة (الإمامة) شغلها الشاغل ومبدأها الأول حتى أصبحت مصدر آراء الاسماعيليين ومحور أبحاثهم ومستقى عقائدهم وفلسفاتهم ، ولم يختلفوا مع الامامية — كما قلنا — إلا فى تعيين شخص الامام ، فنهم — أى الامامية — من يقول بإمامة الامام الثانى عشر بعد الامام على كرم الله وجهه وهو الحسن العسكرى وهم الاثنى عشرية ، ومنهم من ذهب إلى إمامة اسماعيل بن جعفر وهم إحدى الاسماعيلية ، ومنهم من قال بانتقال الامامة إلى ابنه محمد السابع بعد الامام على كرم الله وجهه وهم السبعية الاسماعيلية موضوع حديثنا هذا .

وما من شك فى أن الامامة عند جمهور الشيعة لها شأن كبير وأهمية قصوى ، ويعتبرونها أس الايمان ونظام الاسلام ، وعليها — كما يقول الماوردى — المعول فى حراسة الدين وسياسة الدنيا وحفظ حوزة الملة . . . الخ ولكننا إذا أمعنا النظر فى تلك المراجع التى تنقل لنا النظريات الأساسية لمذهب الاسماعيلية ، لوجدنا أنهم توسعوا كثيرا فى علم التأويل ، وتفردوا بآراء هى غاية فى الغرابة وأهمها مسئلة (الحلول) وهى أن الله يحل فى جسم الخليفة — تعالى عن ذلك — فإذا أمر أو أنهى وجبت طاعته ، ويعتبرون ذلك ناسخاً فيما يخالف القرآن والسنة.

وما دمنا نجهل الكثير من نصوص الفرقة الإسماعيلية فى اليمن ، ولا نعرف أكثر مما أسلفنا عن تعاليمهم ومعتقداتهم ، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأنهم المقصودون فى تلك المؤلفات التى تضمنت الكثير من المعلومات عن هذه الفرقة بصورة عامة ؛ ونخص منها كتاب أبى حامد الغزالى : « فضائح الباطنية » والذى نشرته الدار القومية للطباعة والنشر مؤخراً ، لأنه خص فى مهاجمته الباطنية الاسماعيلية التى كانت خارج اليمن فى عصره .

وهنالك العديدمن المؤلفات اليمنيةوغير اليمنية التى تتحدث عن الباطنيّة ، فمن المؤلفات اليمنية :

(١) مشكاة الأنوار فى الرد على الباطنية ، للإمام يحيى بن حمزة .

(٢) الإفحام فى الرد على الباطنية الطغام ، للامام يحيى بن حمزة .

(٣) الرد على الباطنية للقاضى حميد الشهيد المحلّى .

(٤) القاطعة فى الرد على الباطنية لمحمد بن يحيى حنش .

(٥) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، لمحمد بن مالك الحمادى .

(٦) العلم الشامخ للقاضى صالح بن مهدى المقبلى وفيه عدة أبحاث فى الرد على الإسماعيلية ال[illegible]ية .

هذه بعض المؤلفات اليمنية التى تضمنت معتقدات الباطنية مع الرد عليها ، وأكثر مؤلفيها كما ترى هم من الزيدية الشيعة ، أما المؤلفات الأخرى التى كتبها غير اليمنيين فأهمها ما يلى :

(١) كشف الأخبار وهتك الأسرار فى الرد على الباطنية ؛ لأبى بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ ﻫ (١٠١٢م) .

(٢) كشف أسرار الباطنية لإسماعيل بن أحمد البستى المعتزلى المتوفى سنة ٤١٠ ﻫ (١٠١٩ م)

(٣) التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبى حسين الملطى المتوفى سنة ٣٧٧ ﻫ (٩٨٧ م) .

(٤) الفرق بين الفرق ، لأبى منصور عبد القاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ ﻫ (١٠٣٨ م) .

(٥) الملل والنحل للشهرستانى أبى الفتح محمد بن أبى القاسم ٤٧٠—٥٤٨ ﻫ (١٠٨٦—١١٥٣م)

(٦) فضائح الباطنية ، لأبى حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ ﻫ (١١١١م)

ولكنه مع الأسف لايوجد بين أيدينا حال تسطير هذا البحث غير أربعة من هذه الكتب ، اثنان يمنيان وهما كتابا الحمادى والقبلى ، واثنان من المؤلفات الأخرى ، وهما كتابا الشهرستانى والغزالى .

ونظراً لما تحدثنا عنه قبل هذا من النقاط الهامة التى يرتكز عليها مذهب الشيعة عموماً والاسماعيلية خصوصاً نرى أنه لالزوم للإتيان بأكثرما أوردناه سابقاً ، بل يكفينا — وبعبارة أصح يلزمنا — أن نورد طرفاً من آراء كل من الحمادى والقبلى بصفتهما كاتبان يمنيان ، مع احتفاظنا بالتوقف عن الجزم فى كل ما أورداه للسبب الذى أسلفناه ، لاسيما وأن الأول نص على فئات معينة لايستساغ إطلاقها على الآخرين ، بينما أجمل الثانى كما سترى إثر هذا :

رأى محمدبن مالك الحمادى :

أما محمد بن مالك فهو أحد أولئك الذين دخلوا فى مذهب الباطنية ، لارغبة منه فى ذلك ولكن ليقف على حقيقة ما ينسب إليه ، وقد وقفت على رسالة صغيرة منه محفوظة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء عنوانها : « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » ، وقد نقلت من جامع الجند ، وقد استهلها بقوله : « هذه الرسالة الناصحة للمسترشدين الفاضحة لأعداء الله المفسدين ، إعلموا أيها المسلمون عصمنا الله وإياكم من الآثام وحفظ علينا وعليكم دين الإسلام ، أنى كنت أسمع كما تسمعون من أخبار على بن محمد الصليحى من سيىء الإذاعة وقبح الشناعة ، فإذا قال القائل لى : هو كذا وكذا ، قلت له أأنت تشهدبهذا ؟ فيقول : ماشهدت ولا رأيت ، ولكن أقول كما يقول الناس ، وكنت أتعجب من ذلك وأحسن الظن بأهل القبلة ، وكنت أسمع من على ابن محمد يقول حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا ، فرأيت أن

أدخل فى مذهبه لأتيقن صدق ما أسمع ما ينسب إليه وأطلع على كذبه أو صدقه.فأول ما أشهد به أن له نواميسا يسميهم الدعاة المأذونين وآخرين يسميهم المكلبين تشبيهاً لهم بكلاب الصيد ، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن كل عاقل ويلبسّون على كل جاهل بكل كلمة حق يراد بها باطل، يحضون على شرائع الإسلام من الصلاة والصيام والحج والزكاة كالذى ينثر الحب للطير ليقع فى شركه . فيقيم أى الجاهل أكثر من سنة يمعنون به ويختبرون صبره ويتصفحون أمره، يخدعونه بروايات عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم محرفة وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم عن مواضعه ، فإذا رأوا ممن يرضونه الإقبال إليهم والركون عليهم والإعجاب فى جميع ما يعلمونه والانقياد لما يأمرونه ، قالوا له: إكشف عن السرائر ولا تقنع بما قنع به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ، واعرف معانى الصلاة وما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بالرموز والإشارة ، دون التصريح والعبارة ، فإن جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة ، للممثولات محجوبة ، فاعرف الصلاة وما فيها وقف على باطنها ومعانيها فان العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه ، فيقول المخدوع : عم أسأل ؟

فيقال له : قال الله تعالى : (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فالزكاة فى كل سنة مرة وكذلك الصلاة من صلاها مرة فى السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار وأيضاً فإن الصلاة والزكاة لها باطن لأن الصلاة صلاتان والزكاة زكاتان والصوم صومان والحج حجان ، وما خلق الله من ظاهر إلاّ وله باطن يدل على ذلك قوله تعالى : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه » ، « قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن» والظاهر ماتساوى به الناس وعرفه الخاص والعام والباطن هو ما قصر علم الناس عن العلم به ولا يعرفه إلا قليل فالله تعالى

يقول : « وقليل ماهم » ، « وقليل من عبادى الشكور . . . . . الخ »

« ومعنى الصلاة والزكاة : محمد وعلى ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة . . . . فإذا قبل منهم ذلك المخدوع قالوا له : قرب قربانك يكون لك سلماً ونجوى ونسأل مولانا أن يحط عنك الصلاة ويضع عنك هذه الآصار فيدفع إثنى عشر ديناراً فيقول الخداع : « يامولانا إن عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الاصر وهذه نجواه إثنى عشر ديناراً فيقول : إشهدوا أنى قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ عليه : « ونضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه ويقولون له : الحمد لله الذى وضع عنك وزرك الذى أنقض ظهرك . . . . الخ » .

« ثم يقول له الداعى : الآن قد عرفت الصلاة وأنا أرجو أن يبلغك الله أعلا الدرجات فاسأل وابحث ، فيقول المخدوع : عم أسأل ؟ فيقال له : سل عن الخمر والميسر فاعرف معناهما ، فان الدين لا ينال إلا بالعلم فإن الخمر والميسر الذين نهى الله عن قربهما هما أبو بكر وعمر لمخالفتهما علياً وأخذهما الخلافة دونه ، وأما مايعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام لأنه ممـا تنبت الأرض ، ويتلو عليه قوله تعالى « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا خالصة يوم القيامة » . وقوله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا . الآية » .

وهكذا وبعد أن يدفع النجوى وهى إثنى عشر دينارا يفسرون له الصوم بأنه (الـكتمان) ويتلون عليه قوله تعالى : « ومن شهد منكم الشهر فليصمه » ويؤولونه بكتمان أمر الأئمة فى وقت استتارهم خوفاً من الظالمين ،

ويستشهدون فى ذلك بقوله تعالى « إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا » .

«ثم يفسر له الطهارة قائلا : إن المؤمن طاهر بذاته والكافر نجس بذاته ، لأنه لا يطهره الماء ولا غيره ، وأن الجنابة معناها أضداد الأنبياء والأولياء وأهل الطاعة ، وكيف يكون المنى نجساً ، وهو مبدأ الانسان وعليه أساس البنيان ، ولو كان التطهر منه من أمر الدين لكان الغسل من البول والغائط أولى لأنهما نجسان ، وإنما معنى : وإن كنتم جنبا فاطهروا أى إن كنتم جهلة بالعلم الباطن فاعرفوا العلم الذى هو حياة الأبدان قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون » ، وقال تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق » ، فلما سماه الله بهذا الاسم دل على طهارته . . . . وبعد أن يتكمن الداعى من خدع المستجيب بهذه الأباطيل يأمره بدفع النجوى ، ثم يقول لسيده : يامولانا هذا عبدك فلان بن فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة وهذا قربانه ، فيقول : أشهدكم أنى قد أحللت له ترك الغسل من الجنابة » .

« ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعى : قد عرفت أربع درجات وبقى عليك الخامسة ، فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ويتلو عليه قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » فيقول هذا المنهمك : ألهمنى إليها ودلنى عليها ، فيتلو عليه قوله تعالى : « لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » فيقول له: هل تحب أن تدخل الجنة فى الحياة ؟ فيقول : وكيف لى بذلك ؟ فيتلو عليه قوله تعالى « وإن لنا للآخرة والأولى » ، « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق.الآية » .

«فالزينة هاهنا ماخفى على الناس من سرائر النساء التى لايطلع عليها

إلا المخصوصون بذلك والدليل عليه قوله تعالى «ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن» والزينة مستورة غير مشهورة ، ثم يتلو عليه : « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » ويقول له : من لم ينل الجنة فى الدنيا لم ينلها فى الآخرة ، لأن المخصوص بها ذوو العقول والألباب دون الجهال لأن المستجن من الأشياء ماخفى ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة ، وسميت الجن جناً لاختفائهم عن الناس والجنّة المقبرة ، لأنها تستر من فيها ، والمجنّ الترس لأنه يستتر به صاحبه ، والجنة هنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس الذين لا علم لهم ولا عقول ، فحينئذ يزداد هذا المخدوع المنحوس انهماكاً ، فيقول لذلك الداعى الملعون : تلطف بى فى حالى وبلغنى ما شوقتنى إليه ، فيقول له : إدفع إثنى عشر ديناراً تكون لك قرباناً فيمضى به فيقول: يا مولانا هذا عبدك فلان قد صحت سيرته وصفت سريرته ، وأصبح جديراً أن تبلغه حد الأحكام وتدخله الجنة وتزوجه الحور العين ، فإنى قد وثقت به وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابراً ولأنعمك شاكراً فيقول : علمنا صعب مستصعب لا يحمله إلا نبى مرسل أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان ، فإذا صح عندك فاذهب به إلى زوجتك فيقول سمعاً وطاعة لله ولمولانا ، فيمضى به إلى بيته فيبيت مع زوجته فإذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال : قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس،فيشكره ذلك المخدوع المدبور ويدعو له فيقول ليس هذا من فضلى بل فضل مولانا،فاذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة فلا يبقى منهم أحد إلا وبات مع زوجة المخدوع كما فعل هو . ثم يقول له الداعى : لابد أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا فادفع قربانك ، وبعد أن يدفع اثنى عشر ديناراً يمضى به إلى سيده ويقول : يا مولانا هذا عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه ، حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس وجمت الرؤوس وطالت النفوس أحضر أهل هذه الدعوة الملعونة حرمهم فيدخلن

عليهم وقد أطفئوا السرُج والشماع فيأخذ كل واحد منهم ما يقع فى يده . . .
ثم يقول الداعى بعد ذلك : هذا من فضل مولانا فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم من أوزاركم وحط عنكم من آصاركم ووضع عنكم من أثقالكم وأحل لكم بعض الذى حُرِّم على جهالكم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

ويختم محمد بن مالك مقالته بقوله : « هذا ما اطلعت عليه من فعالهم وكفرهم وجهلهم والله يشهد على ما ذكرته ، ومن تكلم عليهم بباطل لعنه الله لعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين وأخزى الله من كذب عليهم وحكى عنهم غير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته ، وهذه نصيحة للمسلمين كما أوجب الله على من حفظ هذه الشهادة فإن الله أمر بحفظها ومراعاتها وأدائها إلى من يسمعها قال تعالى : « ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » ، وقال تعالى : « ستُكتبُ شهادتهم ويُسألون» والله سبحانه وتعالى يوفقنا ويتوفنا مسلمين وأن لا ينزع عنا الإسلام بعد أن ألهمناه بمنه ورحمته إنه سميع الدعاء ، وصلى الله وسلم على محمد وآله أجمعين إلى يوم الدين » .

رأى المقبلى فى معتقدات الباطنية :

أما العلامة صالح بن مهدى المقبلى رحمه الله فقد تعرض للرد على معتقدات الباطنية أو من يسميهم أحياناً بالإسماعيلية وأحياناً بالروافض أو الإمامية ، فى غير موضع من كتابيه (العلم الشامخ) و (الأبحاث المسددة) ، وهو لم يعقد فى ذلك فصلا بل كان كلامه عنهم يتعلق بموضوعات كتبه ، وعندما يمعن القارىء النظر فى محتويات أبحاثه يجد أنه قد ركز انتقاده لهم على أسباب ثلاثة :

(١) لحكمه عليهم بإبطالهم العقل بقصد إبطال الشرع المترتب عليه

ووضع القواعد التى تجر إلى هدم الدين كالتعليم ، وعصمة الأئمة ، والغلو فى تقديسهم،وقولهم بالتقية [1] .

(٢) لتكفيرهم الصحابة والنيل منهم ، ولهذا قال إن مصيبتهم بالإسلام كانت أعظم من مصيبة الخوارج[2] .

(٣) لأقوالهم التى تتضمن الكفر بجميع الكتب والرسل[3] ، فقد قال فى معرض كلامه عن ابن عربى وأصحابه القائلين بوحدة الوجود متمثلا بقول ابن تيمية : « فانهم — أى الوجوديين — من جنس القرامطة الباطنية الإسماعيلية الذين كانوا أكفر من اليهود والنصارى ... الخ »

وقول المقبل فى أهل الوحدة أيضا :

« ولم أصف عشر ما يذكرونه من الكفر ، ولكن هؤلاء التبس أمرهم كما التبس أمر القرامطة الباطنية لما ادعوا أنهم فاطميون وانتسبوا إلى التشيع ، فصار المتشيعون مائلين إليهم غير عالمين بباطن كفرهم ، ولهذا كان من مال إليهم رجلان : إما أن يكون زنديقاً منافقاً ، أو جاهلا ضالا ... » .

«والرافضة يوجهون بحب أهل البيت ، وإنما يريدون بأهل البيت جماعة كذبوا لهم وهم الأئمة الإثنى عشر وذلك تنفيذاً لجهالاتهم وأباطيلهم ، وهم أعداء سائر أهل البيت ، ولذا يكفرون من لم يكن على مذهبهم، وأهل البيت منزهون عن ذلك حتى الأئمة الإثنى عشر »[4] .

---

(١) العلم الشامخ ص ٤٩٣ (٢) ص ٣٢٣ (٣) ص ٤٩٣

(٤) الابحاث المسددة

(دعاة الإسماعيلية)

كان الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسمعيل بن جعفر — ويسمى بالإمام المستور — يقطن سراً فى الكوفة، متحيناً الفرص لنشر الدعوة وإخراجها من حيز التستر إلى حيز الإمامة الفعلية ، وقد رأى أخيراً أن اليمن والمغرب هما خير البلاد التى يمكن أن يستجيب أهلها والتى يجوز للدعوة أن تنتشر بين ظهرانيهم ، وذلك لبعدها عن أنظار الخلفاء العباسيين من جهة ، ثم لإمكان تأثر أهلهما بهذه الدعوة من جهة أخرى .

وكان الحسن بن فرج بن حوشب من كبار شيعته خير من يتوسم فيه الحسين للقيام بهذا الأمر ، وبينما كان يفكر فى انتدابه إلى اليمن إذ وصل إليه على بن الفضل الخنفُرى الحميرى، وكان قدقدم إلى العراق لزيارة قبر الإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، ورأى من تشيعه وبكائه فوق القبر ما يضمن نجاح الدعوة إن هو ضمه إلى الحسن بن فرج ، ولهذا تمكن من استمالته وتكليفه بالقيام بالدعوة والتعاون مع زميله الحسن بن فرج فى الدعوة باسم ولده عبيد الله المهدى .

الحسن بن فرج بن حوشب :

لقب بالمنصور وعرف بمنصور اليمن أو منصور حسن وقد وصل اليمن فى أول سنة ٢٦٨ هـ (٨٩١ م) مع رفيقه على بن الفضل حيث دخلاها من ميناء غُليفقة ، واستقر الحسن فى الجهة الغربية منها فيما يسمى (بمدن لاعة) من مقاطعة (حجة) .

أما على بن الفضل فقد توجه فور وصوله إلى بلده (يافع) ، ويُذكر

أن استقرار الحسن (بعدن لاعة) كان عن تعليمات من الحسين بن أحمد بعد أن نمى إليه تمسك أهلها بحب أهل البيت وإمعانهم فى التشيع أكثر من غيرهم من القبائل اليمنية الأخرى .

ويقال إن الحسين بن أحمد قد زودهما ببعض التوصيات التى تساعدهما على النجاح فى بث الدعوة ، وسرعة قبولها من الناس ، ومنها كما جاء فى افتتاح الدعوة للقاضى النعمان :

١ — إتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق المآرب .

٢ — التبشير بالمهدى .

٣ — لزوم الصوم والصلاة والتقشف .

٤ — إيهام الناس بأن لكل ظاهر باطنا ، وأن له أناسا يعلمونه إلا أن الوقت لم يحن بعد لإعلانه .

وكان مما قال لهما : « إن الله قسم لليمانية ألا يتم أمر فى هذه الشريعة إلا بنصرتهم »(١).

ومن أجل الوصول إلى الغاية المرجوة — كما قال القاضى النعمان — فقد أظهر الحسن بن فرج الصلاة والزهد والتقشف والورع ، وأخذ فى نشر الدعوة سرا ، ولم تحل سنة ٢٧٠ هـ حتى كان قد تمكن من احتلال جبل مسور(٢) وبناء حصن فى قمته بعد أن أسر عامل الحواليين فيه(٣) .

وعندما جهز الحواليون قوة لمناجزته القتال تمكن من دحر هذه القوة وردها على أعقابها ثم الاستيلاء على حصون أخرى ومنها: كحلان تاج الدين(٤)

---

(١) حور ١٩٨ (٢) جبل منيع بالقرب من حجة. (٣) حور: صحيفه ١٩٨

(٤) بين صنعاء وحجة يبعد عن صنعاء ٤٠ كم إلى الشمال الغربى.

وكوكبان[١] ، إلا أنه انسحب من كوكبان بعد ذلك لـكثرة الغارات التى شنها عليه الحواليون[٢] من شبام ، ومع ذلك فقد أحرز نجاحامعنويا آخر إلا أنه كان غير ذى أثر كبير بالنسبة لدولتى الحواليين والزياديين[٣]،وهكذا استمر الصراع حتى جاءت دولة الامام الهادى سنة ٢٨٤هـ وتمركزت فى صعدة، وكانت هذه الدولة سببا فى تحطيم ذلك النجاح الباهر الذى كان الحسن وعلى بن الفضل قد أحرزاه فى اليمن حسبما يأتى تفصيله .

« وقد ضعف أمر منصور بن حسن [أى المنصور حسن] بعد وقعة نغاش — سنة ٣٠٧هـ (٩٤٤م) — وهو مكان على مقربة من مدينة عمران[٤]—وكان من أسبابها أن الناس كانوا قد تضرروا من أصحاب منصور ابن حسن القرمطى الذى كان يحكم جبل مسور وبلاد (لاعة) وما حولها ، ولذلك تحرك الإمام الناصر لقتالهم ، وجمع جنوده وطلب رؤساء أصحابه وجعلهم أمراء على الجيش وقواداً له وهم : إبراهيم بن المحسّن العلوى العباسى ، والأمير أحمد بن محمد الضحاك الهمدانى ، وعبد الله بن عمر الخارفى الجبرى . وقام الإمام من صعده فى ألف وستمائة مقاتل ، واجتمعت القرامطة تحت لواء قائدهم عبد الحميد بن محمد المسورى صاحب جبل مسور وساروا إلى (حلملم) من ناحية الأشمور وهم زهاء سبعة آلاف ، مؤلفين من تهامة والشرف وحجة ولاعه وحفاش وملحان وسائر بلاد المغارب ، والتقى الجمعان فى (بيت الورد) واستمر القتال فى اليوم الأول من الظهر إلى المغرب ، وفى اليوم الثانى نهض جيش الإمام الناصر إلى (بيت الحمودى) بالقرب من (نغاش) ، وفى اليوم الثالث استمر القتال وأعمل الجيش الناصرى سيوفه فى القرامطة واستولى على

(١) جبل منيع يطل على مدينة شبام التى تبعد عن صنعاء غرباً ٦٥ ك.م ويعرف بكوكبان شبام.

(٢) و (٣) راجع بحثنا عن هاتين الدولتين فى (اليمن عبر التاريخ)

(٤) مدينة تاريخية تبعد عن صنعاء وشمالا ٧٥ ك.م تقريباً ، وقد جاء ذكرها فى بعض النقوش السبئية التى يعود تاريخها إلى القرن الخامس ق.م .

ما جلبوه من السلاح والـكراع ، ولم ينج من القرامطة إلا من فر منهم إلى جبل مسور ، وبعد هذه الواقعة تشتت شمل القرامطة ، ولم يبق لهم شأن ، وتتبع الإمام الناصر أثر القرامطة فى جيش عظيم حتى وصل (عدن أبين[1]) لتتبع أثر القرامطة ، وكان الناصر زعيماً عظيماً . قال الهمدانى عنه فى (صفة الجزيرة) إن إبراهيم بن الجدوية أحد شعراء صنعاء مدحه بقصيدة جاء فيها :

ناصر الدين لم تزل منصورا   شكر الله سعيك المشهورا[2]

ويظهر مما أورده كاتب سيرة الإمام الناصر الشيخ عبد الله بن عمرو أن معركة أخرى قد تلت هـذه المعركة بين الإمام الناصر والمنصور حسن وذلك فى سنة ٣٠٨ هـ (٤٩٥م) هى معركة (المصانع) بهمدان ، وقد هزم فيها جيش منصور هزيمة منـكرة ، ويضيف الـكاتب قائلا . « إن هذه المعارك قد فتّت من عضد الباطنية وبلغ القتلى منهم نحو الخمسة آلاف ، وذكر مثل هذا الجندى والخزرجى وصاحب أنباء الزمن .وفى ذلك يقول صاحب البسّامة[3] عند ذكره للإمام الناصر :

فدوخ اليمن الأقصى إلى (عدن)   من الجبال كبعدان[4] وكالشعر[5]

وكان بوم (نغاش) يوم ملحمة   على القرامط لم تبقِ ولم تذر

وعُدَّ سبعة آلاف مضوا عجلاً   حصائداً بين مرميٍ ومجتزر

وبـ (المصانع) أخرى منـه تشبهها   حلّت عُرى الشرك من كونىْ ومن قدرىْ

---

(١) وبهذا قال تاج الدين عبد الباقى فى كتابه (بهجة الزمن فى تاريخ اليمن) ، وأضاف أنه دخل مع الإمام الناصر (عدن) زهاء ٨٠ ألفاً من المقاتلين (ص ٤١) .

(٢) المقتطف لفضيلة القاضى العلامة عبد الله الجرافى حفظه الله ص (١٠٧ — ١٠٨) وأئمة اليمن لفضيلة السيد محمد زياره رحمه الله ص (٦٢)

(٣) سيأتى ذكرها مع غيرها من الـكتب فى الفصل الآتى من هذا الـكتاب .

(٤) و (٥) جبلان معروفان بالقرب من مدينة (إب) .

على بن الفضل الخنفرف :

أما على بن الفضل فإنه أمعن فى إحكام خطته التى أوصاه بتنفيذها ميمون القداح من التظاهر بالزهد والتقشف وكثرة الصلاة والصوم والتعبد ليلاً ونهاراً فى بطون الأودية حتى تمكن من استجلاب قلوب الرعاع من أهل (يافع) إليه، وكان عندما يأتونه بالطعام لا يأكل منه إلا يسيراً ، كما رفض السكنى معهم فى رؤس الجبال بادىء الأمر ، وأخيراً أجابهم إلى طلبهم بعد أن شرط عليهم أن يعاهدوه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعدم مخالفة أمره فأعطوه العهد بذلك .

وأبدى فى سيرته معهم مزيداً من الصلاح والعدل مما جعل الأهالى يقدسونه أعظم تقديس ويجمعون إليه الزكوات من كل الجهات المجاورة ، وكانت أول خطة يتخذها بناء حصن منيع على رأس جبل بيافع ، ثم مهاجمة أمير لحج وأبين ابن العلاء الأصبحى فى قوة من يافع ، إلا أن الأصبحى تمكن من رده على أعقابه بعد معركة عنيفة دارت حول مدينة (خُنْفُر) ولكن على ابن الفضل بعد أن تظاهر بالرجوع إلى معقله كرّ على الأصبحى فى الحال بعد أن عبأ جيشه وهاجم المدينة وأهلها آمنون فلم يشعروا إلا بدخول على بن الفضل عليهم فكانت الكارثة الكبرى على أهلها ومن جملتهم ابن العلاء وأصحابه ، فقد قتلوا جميعاً وانتهبت قصورهم وخزائنهم المليئة بالأموال ، وأطلق ابن الفضل لقواته العنان فى نهب المدينة واستباحة أهلها .

إحتلاله للمذيخرة :

كانت مدينة (المذيخرة) هى المركز الرئيسى لمخلاف جعفر ، والتى كان يسكنها أمير المخلاف جعفر بن ابراهيم بن أبى جعفر المناخى — وهو الذى

سمى المخلاف بكامله باسمه وكان له شهرة كبيرة فى اليمن — وقد رأى على بن الفضل أنه إذا سيطر على (المذيخرة) تمكن بعد ذلك من غزو المدن الأخرى (كذمار) و (صنعاء) ثم إدخال اليمن بأسره تحت نفوذه ، وكان قد أحرز بعض الشهرة بعد قتله لأمير لحج وأبين ابن العلاء الذى كان هو الآخر من مشاهير أمراء اليمن .

وظل ابن الفضل يتحين الفرص لغزو (المذيخرة) حتى كانت حادثة (دَلاَل) وهى إحدى عزل المخلاف ، حينما نكل بهم جعفر المناخى وقطع على صخرة بمدينة (المذيخرة) ثلثمائة يد كعقوبة على تمرد حدث منهم ، فانتهز ابن الفضل هذه الفرصة ، وكتب إلى جعفر يقول : « إنما قيامى لإقامة الحق وإماتة الباطل ، وقد بلغنى ما أنت فيه من ظلم المسلمين ، فادفع إلى أهل عزلة (دَلاَل) دية ما قطعتَ من أيديهم ، وإلا فأنا قادم إليك » ، فلم يجبه جعفر بشىء ، ثم جمع ابن الفضل جموعه وسار نحو جعفر والتقى الجمعان فى (نقيل البردان) فى ٨ رمضان سنة ٢٩١ هـ وجرت بينهما معركةٌ شديدة أسفرت عن هزيمة ابن الفضل وعوده إلى (يافع) .

ومكث ابن الفضل خمسة شهور يعمل جاهدا على إنشاء جيش ضخم قادر على قتال ابن المناخى حيث رأى أن سبب هزيمته فى معركة (البردان) كانت نتيجة لضعف قواته . وفى شهر صفر من سنة ٢٩٢هـ زحف بقواته نحو (المذيخرة) أما ابن المناخى فقد غادرها إلى (زبيد) بعد أن رأى عدم قدرته على الصمود أمام تلك القوات ، ولذلك تمكن ابن الفضل من دخول المدينة بدون حرب، ولكنه لم يمكث غير بضعة أيام حتى عاد ابن المناخى بجيش كبير أمدّه به أمير (زبيد) اسحق بن ابراهيم بن زياد (ت:٢٩١ هـ — ١٠٠١ م) وقد تلقاه ابن الفضل بجموعه فى (وادى نخلة) حيث نشبت المعركة الحاسمة

والتى أسفرت عن قتل جعفر المناخى وعدد كبير من أنصاره وجنـده ، وكان لهذه الواقعة أثرها فى اشتهار ابن الفضل واتساع نفوذه .

قال نشوان بن سعيد الحميرى فى كتابه (رسالة الحور العين) :

« وقد أعلن على بن الفضل الكفر ، وأحلّ جميع المحرمات ، وخرب الكثير من المساجد ، وكان يدّعى أنه نبى » ، وذكر القصيدة الآتى ذكرها ثم قال : « وابن الفضل أول من سنَّ القرمطة فى اليمن ، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة ، وصاحبها عندهم قرمطى ، وجمعه قرامط » . قلت : والأصح أن النسبة هو إلى مؤسس هذه الفرقة حمدان قرمط .

وقد اشتهر هذا الاسم فى أنحـاء اليمن ، ولم يُسمَّ به ابن الفضل فقط بل أطلق أيضـاً على المنصور حسن وأتباعه كما هو المعروف فى كتب التاريخ اليمنى .

وقال البهاء الجندى فى كتابه (السلوك) :

« ثم ادّعى على بن الفضل النبوة وأحلّ لأصحابه شرب الخمر ونـكاح البنات والأخوات ، ودخل مدينـة (الجنـد) فى أول خميس من رجب سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) فصعد المنبر وقال الأبيات المشهورة وهى :

خذى الدف يا هذه واضربى وغنّى هزاركِ ثم اطربى
تولّى نبىٌّ بنى هاشم وجاء نبىٌّ بنى يعرب
أحلّ البنات مع الأمهات ومن فضله زاد حلّ الصبى
لكل نبى مضى شرعةٌ وهذى شريعة هـذا النبى
فقد حط عنا فروض الصّلا ة وحطّ الصيام ولم يتْعب

إذا الناس صلّوا فلا تنهضى وإن صوّموا فـكلى واشربى
ولاتطلبى السّعىَ عند الصفاء ولا زورة القــبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسكِ المعزبــين من الأقربين مع الأجنبى
فمن أين حُلّلتِ للأبعدين وصرتِ محرمــةً للأب
أليس الغراس لمن أسّــهُ وسقّــاه فى الزمن المجدب؟
وما الخمـــر إلا كماء السماء حلالٌ فقدستَ من مذهب

هـذا وقد روى هذه القصيدة صاحب (أنباء الزمن) وصاحب (بهجة الزمن) وغيرهما وتـكلموا طويلا عن تصرفات ابن الفضل وفظائعه وانحرافيته الدينية والعقائدية.فليرجع إلى هذه المصادر من أراد التوسع فى البحث .

إحتلاله لذمار وصنعاء :

قال صاحب (أنبـاء الزمن) : « وفى المحرم من سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٦ م) توجه بجيشه نحو (ذمار) و (صنعاء) ، وعرج فى طريقه على مدينة (منـكث[١]) وأمر بهدمها ، ولـما قرب من صنعاء خرج له أسعد بن أبى يعفر الحوالى فقاتله قتالاشديداً حتى قتل من قومه ٤٠٠ رجل،ولـكن القرامطة تمكنوا من دخول صنعاء ليلامن جهة جبل (نقم[٢]) بمساعدة رجل يدعى مهلب الشهابى،وكان لأسعد مواقف مشرفة فى محاولة صدّهم ، وأخيراً عجز عن المقاومة فخرج منها وخرج بعـده أهل(صنعاء) هاربين ، قد غشيهم الخوف والوجل والرعب والفشل ، تاركين أموالهم ومنازلهم ، فاستباح القرامطة صنعاء ونهبوها . . . . » .

(١) قرية صغيرة جنوبى يريم على سفح جبل ظفار ـ يحصب ، يوجد بها العديد من آثار وأنقاض المبانى الحميرية ، بعضها مكتوب بالمسند ، وقد قمت بزيارة المنطقة سنة ١٩٦٥ ، أنظر الجزء الثانى من هذا الكتاب .

(٢) الجبل المطل على صنعاء من الجهة الشرقية .

ولما تمكن ابن الفضل من (صنعاء) أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشئوم وارتكب محظورات الشرع ، وادعى النبوءة ، ورقى على منبر جامع صنعاء وخطب خطبةً منكرةً صرح فيها بعقيدته الكفرية ، وحمل عليها من تابعه من الفرق الغوية ، وقد ذكر خطبته الكثير من المؤرخين ، وتركناها تنزيها لهذه الأوراق عن كلام هذا المارق اللعين ، وإن كانت شاهدة عليه بالكفر الصريح ، على أن فى أعماله ما يغنى عن التصريح ، فقد بالغ فى دحض الشريعة ، وأباح لتابعيه الخمور وإتيان الذكور ، وارتكاب المحرمات ونكاح البنات والأمهات ، وأسقط حج بيت الله الحرام ، وأتى بدين خالف فيه جميع الشرائع والمذاهب والأحكام . . . . . » .

وقال البهاء الجندى فى (السلوك) :

« وبعد وصول ابن الفضل إلى صنعاء حصل المطر فأمر بسد الميازيب التى ينزل منها الماء من سطوح الجامع ثم أطلع النساء اللاتى سُبين من صنعاء وغيرها وصعد إلى المنارة وأمر بإلقائهن فى الماء فمن أعجبته اجتذبها إلى المنارة وافتضها حتى افتض عدداً من العذارى . . . » .

وذكر أيضاً أفظع من هذه الأعمال عند نزوله (زبيد) واستباحته لها. ويُذكر أن ابن الفضل قد عاد إلى صنعاء واستباحها مرة ثانية فى سنة ٢٩٤ﻫ ولم يخرج منها إلا بعد ثلاث سنوات عندما عاد الى (المذيخرة) كما عاد إلى زبيد سنة ٢٩٧ ﻫ وأقام بها سبعة أيام ، وقد أفاض البهاء الجندى فى تاريخه بذكر ابن الفضل وتعداد أفاعيله التى فعلها وفظائعه التى ارتكبها ، وذكر شيئاً من فعاله بالمذيخرة فقال :

« إنهمك ابن الفضل على تحليل محرمات الشريعة وإباحة محظوراتها ،

وعمر داراً واسعة يجمع فيها غالب من تابعه نساء ورجالاً متزينين متطيبين ، ثم توقد الشموع بينهم ساعة ثم تُطفأ ويضع كل واحد من الرجال يده على أى امرأة ويقع عليها ولو كانت من محارمه ».قلت وهذا شبيه بكلام الحمادى السالف الذكر .

موت ابن الفضل مسموماً :

يستفاد من تاريخ القرامطة الباطنية فى اليمن أنه قد اشترك فى معاربتهم عدد من السلاطين وزعماء القبائل اليمنية ، ومن أبرزهم الأئمة الهاشميون والسلاطين من آل يعفر، وكان الإمام المرتضى وأخوه الإمام الناصر — إبنا الإمام الهادى — وأسعد بن أبى يعفر من أهم الشخصيات التى قاومت الحركة الباطنية وأخمدت نارها ، وقد استمرت هذه المقاومة حوالى نصف قرن من الزمن حتى كانت سنة ٣٠٣ هـ . قال الحمادي فى كتابه الآنف الذكر :

« وفيها أراح الله العباد بهلاك الطاغية على بن الفضل على يد شريف حسنى كان قد تعاهد مع أسعد بن أبى يعفر على قتل ابن الفضل ، وكان هذا ماهراً فى الطب والحجامة وفتح العروق ، وقد وُصِف لابن الفضل من بعض كبار جلسائه فاستُدعى إليه لإخراج الدم ، فدخل على القرمطى فسلم عليه ، وكان قد جعل كمية من السم بشعر رأسه ، وأمره ابن الفضل أن ينزع ثيابه ويلبس غيرها ، وأن يمص المبضع قبل استعماله ففعل كل ذلك ، وابن الفضل ينظر إليه ، ثم مسح برأسه فعلق به من السم حاجته . ثم فصده وخرج من ساعته وركب دابته ومضى هارباً . فلما أحسّ عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب فلم يوجد فلحقوا به إلى نقيل (صيد) بإزاء (قينان) فقتلوه[1] » .

---

(١) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٦٠ ص : ٦٥

ولما علم أسعد بن أبى يعفر بذلك استنفر القبائل اليمنيه واتجه بهم نحو (المذيخره) وحاصرها ورماها بالمجانيق حتى نزلوا على حكمه، فتسلم المدينة وسبى منها بنات على بن الفضل[1] .

قال نشوان الحميرى : « وظفر بهم فى شهر رجب سنة ٣٠٣ فقتل منهم خلقاً كثيراً وأخذ أموالاً عظيمة يقصر عنها الوصف ، وبيعَ من القرامطة ناس كثير ، كما أخذ ولدين لعلى بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة معه إلى صنعاء وأمر بهم فذبحوا جميعاً ، وطرحت أبدانهم فى بئر بالجبانة ، وأُخذت رؤوسهم فبقرت ووجهت فى أربعة صناديق إلى مكة فنُصبت هنالك أيام الموسم[2] »

هذا وصف موجز لقصة على بن الفضل داعية الاسماعيلية فى اليمن ، وقد روتها كتب التاريخ اليمنى بأجمعها وفى بعضها زيادات كثيرة لم نأت بها خشية الإطالة .

وقد ظلت الدعوة الباطنية بعد موت كل من على بن الفضل ومنصور اليمن تسرى فى إطار من الكتمان حتى أعلنها على بن محمد الصليحى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٥ م) حسبما يأتى .

ومن أهم الدعاة إلى المذهب الاسماعيلى بعدهما :

(١) عبد الله بن عباس الشاورى ، وقد قتل غيلةً على يد الحسن ابن منصور اليمن الذى خرج عن مذهب أبيه وعن طاعة الخلفاء الفاطميين فى مصر ودخل فى مذهب أهل السنة ، وأخذ فى محاربة خلفاء أبيه سراً وجهراً .

---

(١) بهجة الزمن : ص ٤٠ .

(٢) الحور العين : ص ٢٠٠ .

(٢) الداعى بن أبى الطفيل : وقـد قتله إبراهيم بن عبد الحميد خليفة الحسن بن منصور على مسور .

(٣) جعفر بن أحمد بن عباس (٤) هارون بن محمد بن رحيم
(٥) يوسف بن أحمد الأشج (٦) سليمان الزواحى

هؤلاء دعاة الاسماعيليين بعد على بن الفضل ومنصور اليمن ، أوردناهم عـلى التوالى ، وكلهم خلفاء منصور . أما على بن الفضـل فلم يأت أحد بعده ، فقد أباد اليعفريون كل أتباعه وأنصاره . وقد ظل هؤلاء الدعاة ينشرون الدعوة سراً فى مغارب اليمن ، ومما يجب ذكره أن منصور وأتباعه قد تبرؤوا من أعمال على بن الفضل وعدّوه بأعماله الشنيعة منحرفاً عن الدعوة ناكثاً للعهد ويذكر بعض المؤرخين أن منصوراً كان قد هم بمحاربة ابن الفضل ، لولا أنه خاف من جبروته وبطشه ، فرجع عن رأيه وقد أورد صاحب (عيون الأخبار) رسالتين كانتا قد تبودلتا بين منصور وعلى بن الفضل كدليل على ما ذكر .

على بن محمد الصليحى :

وينتمى إلى قبيلة (همدان) وكان والده أحد فقهاء الشافعية بقرية الأصلوح بحراز، وقد أوردنا ذكر نسبه ونبذة من أخبار دولته فى الفصل الرابع من كتابنا (اليمن عبر التاريخ) . ويعتبر الصليحى أقوى داعية للمذهب الاسماعيلى فى اليمن، وقد تعلم المذهب من أستاذه سليمان الزواحى ، الذى انتهى إليه أمر الدعوة الاسماعيلية السرية والذى كان استقراره بجبل (كوكبان) .

قال صاحب أنباء الزمن : « إن الزواحى قـد رأى من شهامة على بن محمد الصليحى وسمو نفسه ما يكفل قيامه بأمر الدعوة فال إليه

وكشف له عن باطن سريرته حتى غرس بقلبه محبة مذهب الباطنية الأشرار والفرقة التى موردها النار » .

وكما قلنا فى كلامنا عن الدولة الصليحية فى كتابنا (اليمن عبر التاريخ) إن على بن محمد الصليحى قد سلك طريقاً جديدة فى إبراز الدعوة فى إطار دينى محض ، وكانت طريقة الحج التى سلكها لمدة خمسة عشر عاماً هى الوسيلة الوحيدة فى إبراز شخصية متحلية بالنسك والتقوى والصلاح طمعاً فى استجلاب قلوب الناس إليه .

وبعد أن نجح فى خطته هذه رأى فى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٥ م) أن الوقت قد حان لإظهار الدعوة ، بعد أن استولى على قمة جبل (مسار) وهو أعلى جبل فى حراز ، فأعلن قيامه بالدعوة بعد أن جاءته الولاية من المستنصر العبيدى عطفاً على الناس ذلك له من الزواحى . وقد أجابته بادىء الأمر بعض قبائل همدان وحراز .

وبفضل السياسة الحكيمة التى انتهجها فى إرساء قواعد دولة صليحية كان لها شأنها فى سجل التاريخ اليمنى فقد تمكن من استجلاب مودة مناوئيه من أمراء اليمن كالأمير جعفر بن الإمام القاسم العيانى ، وأبى النور بن جهور ، وجعفر بن العباس الشاورى، وغيرهم ممن كانوا قد أعلنوا عليه الحرب وخرج من قتاله معهم خروج الغالب المنتصر.

ولم تمض مدة قصيرة حتى استولى على (صنعاء) بعد معركة (صوف) [١] الشهيرة بينه وبين السلطان يحيى بن أبى حاشد ، والتى تعرف عند أهل صنعاء بـ (قَتْلَةْ صُوفْ) ،وقد قتل فيها السلطان وألف شخص من أصحابه .

---

(١) هى قرية فى بنى سوار تقع بين الحيمة وحضور .

ومما ساعد الصليحى على تأسيس دولته هو أن دولة الأئمة الهاشميين كانت فى ذلك الوقت بالذات قد أصابها بعض الفتور بعد موت القاسم العيانى وقتل ولده المهدى الحسين بن القاسم فى واقعة (ذى عرار) فى معركة نشبت بينه وبين همدان ، وضاعف من فتورها الخلاف الذى جرى بين الامام أبى الفتح الديلمى والأمير جعفر بن القاسم من جهة ، ثم بين الامام وبين السلاطين ابن أبى الفتوح وابن أبى حاشد من جهة أخرى بسبب إخراب الامام لدور بعض بنى الحارث وبنى مروان ، وبهذا تمكن الصليحى من الاستيلاء على صنعاء ثم تعقّب الامام إلى (عنس) وقتله فى نيف وسبعين رجلا من أصحابه فى مكان يدعى (نجد الجاح) بالقرب من رداع وذلك سنة ٤٤٦ هـ ، بعد أن خذله أصحابه وتفرقوا من حوله .

ومهما يكن من أمر الوقائع التى جرت والحروب التى قامت والدماء التى سفكت فقد تمكن الصليحى من إقامة دولة ثابتة الأركان خضع لها اليمن بأسره ، لولا ما أصابها من الضعف بعد قتل الصليحى كما يأتى .

وكان إلى جانب ما اشتهر به الصليحى من الخصال الرفيعة كالشهامة والوفاء فقد كان مقداماً حازماً كريماً يجل العلماء ويقرب الشعراء ، شأنه فى ذلك شأن ولاته من الخلفاء الفاطميين الذين رأوا فى هذه الطبقة خير وسيلة للاشادة بهم وتثبيت الدعوة على أكتافهم .

ومن أبرز هؤلاء الشعراء والأدباء الحسين بن على القمّى وعمرو بن يحيى الهيثمى والحسن بن أبى عقامة والحسن بن على الحجورى والقاضى عمران ابن المفضل الهمامى وغيرهم ، ولكل من هؤلاء مدائح فى الصليحيين يطول شرحها .

---

(١) يسميه بعض المؤرخين بالقم .

فمن شعر الهيثمى على لسان الصليحى من قصيدة طويلة رد فيها على الشريف الحسينى (شكر السليمانى) أمير مكة :

دم الأبطال فى اليوم العبوس مدامى لا شراب الخندريس
ولهوى بالنشيج إذا تلاقى الـوشيج بمعرك حامى الوطيس
أحبُّ إلىّ من نغمات عود وصادحة تغرد عيطموس
ولولا فضل من صلّى ولبّى (معدٍّ) ذى الندا الغمر المسوس
لكنت حليف إقتار حبيساً بدار صريع أفيون شريس
أفِقْ عن عيب أجدادى ومجدى فما بأسى بمفلول الضُروس
ولا يبتى (بهمدان بن زيد) بمجهول القروع ولا القنوس
أنا ابن حماتها وذرا قناها أنا ابن عنابس الحرب الضروس
أنا ابن سراتها الحكام فيها ذوى الإفضال مرضى المسيس
نمانى كل أغلب حاشدىٍّ عدو للخنا عنه شموس
بنَوا ، وأتم مفخرهم بنائى وقوّى حبل مجدهم فريسى
وكم ملك أسرت وكم خميس أباد سراته قتلاً خميسى
وكم نقع أثارته رعالى فخيل الجو منه فى سدوس

ومنها :

بنى حسن ألا تنهون (شكراً) عن استمطاره سحب النحوس
أتانى السب عنه وقال : إنى إذا أقسمت أحلف بالمجوس
ألِى قسم بغير أبى تميم ؟ وأسرته البدور من الشموس [1]

(١) يعنى المستنصر العبيدى ، وهذه الابيات الخمسة الاخيرة تمثل العداء الذى كان قائماً بين الفاطميين الحسينيين ودعاتهم، وبين الفاطميين الحسنيين ، وهو عداء عقائدى أثارته الاهواء وجسمته الاطماع .

متى أذن الإمام بحرب (شكر) أتتهُ بالردى خيلى وعيسى
بنى حسن : حذار إذا أتتكم جنود الله بالخطب الشكوس

وللحسين بن على القمّى فى مدح السلطان أبى حمير سبأ بن أحمد الصليحى صاحب حصن أشيح :

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشيح أو أزرى بك الفقر فاستمطر بنان سبأ
ما جاءه طالب يبغى مواهبه إلا وأزمع منه فقره هربا
تخال صارمه يوم الوغى نهَرَاً تضرمت من دمٍ حافاته لهبا
بنى المظفر ما امتدت سماء علىً إلا وأُلفيتمُ فى أفقها شهبا

وله فى مدح سبأ أيضاً :

مليك يقض الجيش والجيش حافل ويخجل صوب المزن والغيث هاطل
سحاب غواديه لجين وعسجد وليث عواديه قنـاً وقنابل
توقى الأعادى بأسه وهو باسم ويرجو الموالى جوده وهو صائل

وله فيه أيضاً :

ولما مدحت المزبرىّ بن أحمد أجاز وكافانى على المدح بالمدح
فعوضنى شعراً بشعرى وزادنى عطاء فهذا رأس مالى وذا ربحى
شققت إليه الناس حتى لقيته فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح
فقبِّح دهر ليس فيه ابن أحمدٍ ونُزِّه دهر كان فيه عن القبح

وبالرغم من أن الدولة الصليحية قد قامت على سياسة جمع الأموال بشتى

الصور حتى على نصب العمال والولاة [1] ، فإن عددا من المؤرخين وفي مقدمتهم عمارة اليمني قد أشادوا بمناقب الصليحي ومساعيه التي قدمها في تأمين البلاد وبناء بعض الأماكن كمدينة (جبلة) وقلعة (تعز) والإنفاق في الأراضي المقدسة في تأمين الحاج وصرف الصدقات وإكساء الكعبة المشرفة ، والعمل على جلب الأقوات إلى مكة وترخيص الأسعار ، إلا أن الطريقة التي سلكوها في تحصيل الأموال مما كانوا يطلقون عليه (الخراج) و (القرابين) ، وإقطاع بعض الأسر الصليحية خراج بعض الأقاليم ، من ذلك على سبيل المثال منح خراج (عدن) للسيدة أروى كصداق لها عند زواجها بابنه المكرم وكان خراجها — وهو مبلغ ١٠٠ ألف دينار — يساق إليها سنويا بواسطة بني معن ، وسيطرة سبأ بن أحمد بعد موت الصليحي على خراج (زبيد) ، كل هذا قد أوجد ثغرة لمعارضي الدولة الصليحية تمكنوا بها من التشهير بهم والتنديد ببذخهم وإسرافهم ، ولهذا سرعان ما ضعف أمر هذه الدولة وتقلص ظلها .

وممن نهض لمحاربة الصليحي من أئمة اليمن حمزة بن أبي هاشم الملقب بالنفس الزكية — لشدة زهده ونسكه — وقد قام بالإمامة على جهة الاحتساب . قال زبارة في تاريخه : « كان إماما خطيرا شهما شجاعا فاتكا لا يهاب الجحافل ولا تروعه النوازل ، ولما عظم أمر علي بن محمد الصليحي باليمن بعد قتله للإمام أبي الفتح الديلمي ومطاردته لسائر الأمراء قام داعيا إلى جهاده في سنة ٤٥٢ هـ . وفي سنة ٤٥٩ قصده عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي — وهو من أكابر أمراء الصليحي — في ألف وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل فالتقاه الأمير حمزة

(١) ذكر الجندي في كتابه السلوك أن الصليحي عندما بدأ في بث ولاته وحكامه في اليمن كان قد أقسم ألا يولي التهائم إلا من يوزن مائة ألف دينار ، ثم ندم على ذلك حينما أراد أن يوليها أسعد بن شهاب فوزنت له زوجته أسماء عن أخيها فقال لها الصليحي : يا مولاتنا أنى لك هذا ؟ فقالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فتبسم وعرف أنه من خزائنه فقبضه وقال : هذه بضاعتنا ردت إلينا ، فقالت له : ونمير أهلنا ونحفظ أخانا .

فى نحو ثمانيـة آلاف مقاتل والتقيا بوادى (المنوَى) من بلاد (أرحب) ، وكانت الملاحم الشديدة العديدة وثبت الأمير حمزة فى تلك المعارك يقاتل ويقول :

أطعن طعناً ثائراً غبـاره طعن غلام بعـدت أنصاره

وانتزحت عن قومه دياره

ثم أخذ الزواحى وجماعته طرفا مضيق الوادى وحاصروهم فيه ورموهم بالنبل والحجارة فقتل منهم ثمانمائة رجل ، ووقف منهم سبعون شيخاً من همدان يجالدون دون الأمير حمزة حتى قتلوا جميعاً ومعهم الأمير حمزه » وفى ذلك يقول الإمام عبد الله بن حمزة :

أو ليس جدى حمزة نعش الهدى بحسـامه وبعـزمه الوقاد

فمشى إلى أن ذاق كأس حمامه وسط العجاجة والخيول عوادى

لم يرتدع فى حربه عن عامرٍ من فرط إبراق ولا إرعاد

ولحزةٍ سبقٌ إلى طرق العلا يرويه كلُّ أخى تُقىً وسداد

وقال صاحب البسّامة :

وحمزةٌ رُوِّت (المنوى) له بدمٍ وفرقت منه بين الرأس والقصر

سَمرٌّ الزواحىٌ والأصلوح مصرعه وقد ثأرنا به منهم على الأثر

بعـامرٍ وبمنصـور وأسرته فـا التقى رائح منهم بمبتـكر

قتـل الصليحى :

روى المؤرخون أن على بن محمد الصليحى كان قـد استمد الأذن من

المستنصر العبيدى لأداء فريضـة الحج ومواصلة سفره إلى مصر لزيارته ، ولـكن المستنصر لم يوافقه على الوصول إلى مصر بل اقتصر فى رده عليه بالأذن له بأداء فريضة الحج فقط ، وبموجبه توجه الصليحى سنة ٤٥٩هـ (١٠٦٧م) إلى مكة مستصحباً معه خمسين من أمراء اليمن ورجالها ممن كان قد استبقاهم لديه بصورة مستمرة خشية انتفاضهم عليه إن هو أعادهم إلى أوطانهم ، وقد ناب عنه ولده المـكرم ، وسار حتى كان بضيعة أم الدُهيم من قرى المهجم ، وكان معه من أسرته وبنى عمه مايزيد على مائة وخمسين شخصاً ولـكنهم كانوا قد تقدموه بمسافة طويلة، ولم يبق معه فى الركب غير نفر قليل من خاصة أسرته ومحارمه ، وفيهم أخوه عبد الله وولداه الموفق ومهنأ ، وزوجته أسماء بنت شهاب .

وانتهز سعيد الأحول النجاحى الذى سبق أن فرّ من زبيد بعد إستيلاء قوات الصليحى لهـا هذه الفرصة وهاجمه وصحبته عدد من الفرسان النجاحيين بعد أن تواطأ مع بعض عبيد الصليحى ، وأسفر الهجوم عن قتل الصليحى ومن معه ، وسيقت زوجته أسماء وغيرها من الصليحيات إلى زبيد حيث بقين تحت الأسر حتى أنقذهن المـكرم سنة ٤٦٠هـ

وقام بعد الصليحى إبنه المـكرم بعد أن عهد اليه المستنصر العبيدى بذلك واستمر سلطانه إلى سنة ٤٧٠هـ حيث أصيب بالفالج وقامت زوجته السيدة أروى بتدبير الملك إلى أن ماتت سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨م) حسبما فصلنا ذلك فى كتابنا (اليمن عبر التاريخ).

ومما قيل فى رثاء الصليحي وهى للشاعر عمرو بن يحي الهيثمى :

وأنشـأ الحج إلى مـكة ... يبغى رضى الله وآل البتول

فصار بـ (المهجم) فى عصبـةٍ ... من قومه غالته دهيـاء غول

كالليث فى الغـابة دبّت له　　رقطاء ـ ليلاً ـ ذا شخص ضئيل
فإن يـكن نيـل على غرةٍ　　فالبـدر لا بد له من أفـول

ومن قصيدة للحسين بن على القمّى يرثى الصليحى ويستثير بها قحطان :

أقحطان هزى البيض واعتقلى السمرا　　وردّى العوالى من دماء العداء حمرا
ولا تهتـكى ثأر المظفـر إنه　　بنى لـكم مجداً وشاد لـكم فخراً
سرى نحو بيت الله ، لله طائعاً　　يروم من الله المثـوبة والأجرا

وقد تمـكن المـكرم فى الشطر الأول من ولايته من ضبط الأمور ، وساعده على ذلك وقوف الـكثير من أنصار أبيه إلى جانبه . وأول عمل أجراه هو إنقاذ أمه أسماء بنت شهاب من أسر سعيد الأحول النجاحى بعد معركة دارت بزبيد انهزم فيها النجاحى وفر إلى جزيرة دهلك .

ولما أصيب المـكرم بمرض الفالج قامت زوجته أروى بنت أحمد الصليحى بتدبير شئون الملك ، وكانت على جانب كبير من الـكمال وحسن التدبير ، وقد عملت على قتل سعيد الأحول والأخذ بثأر الصليحى بأن دبرت مع أسعد بن شهاب الذى كان عاملا للصليحى على زبيد — وكان يتمتع بمكانة لدى النجاحيين لحسن سيرته وعدله فى أهل تهامه — جلبَ النجاحى إلى الشِعر(١) بعد أن كتب إليه أسعد بضرورة وصوله مع قواته للزحف على مدينة (ذى جبله) مقر السيدة أروى ، وقد بادر إلى الشِعر دون أن يفطن للمكيدة ، ولم يـكد يدخل الشعر حتى أحاطت به قوات السيدة أروى الـكثيفة وتمـكنت من أسره وسيق إلى السيدة حيث أمرت بقتله .

---

(١) جبل معروف بلواء أب .

ومنذ سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) تقريباً بدأت أحوال الدولة الصليحية فى الضعف والاضطراب لأسباب أهمها نشوء طبقة ارستقراطية تتكون من الأسر الصليحية ومشايعيهم كآل اليامى بهمدان وآل الزواحى بكوكبان وآل معن فى عدن ، مما أوجد شيئاً من التذمر لدى الطبقات القبائلية الأخرى ، ولا سيما فى شمالى اليمن حيث خرجت معظم القبائل عن طاعة الدولة الصليحية ، وبقيت الدولة محصورة فى مخاليف اليمن الجنوبية . وقد مهد هذا لقيام دولة قوية فى شمالى اليمن بزعامة الإمام الخطير أحمد بن سليمان وكان عالماً متبحراً ، وخطيباً مصقعاً ، ومقداماً باسلاً ، وفيه يقول الشيخ نشوان بن سعيد الحميرى مؤلف كتاب (شمس العلوم) :

سلام الله كل صباح يوم ... على خير البرية أجمعينا
على الغر الجحاجح من قريش ... أئمتنا الذين بهم هدينا
بنى بنت الرسول الأم كل ... يظن بكم من الناس الظنونا
فابلغ ساكن الأمصار أنا ... بأحمد ذى المكارم قد رضينا
بأكرم ناشىء أصلاً وفرعاً ... وأعلا قائم حسباً ودينا
رضينا بالإمام وذاك فرض ... نقول به ونصلن ما بقينا

ومن قصيدة أخرى يخاطب فيها الإمام :

فأنت تصلح للرايات تعقدها ... وللمواكب تحيى الدين والسننا
وللمنابر تنشىء فوقها خطباً ... تعيى اللبيب النجيب العالم الفطنا .. الخ

وبالرغم مما ذكرناه فإن السيدة أروى قد تمكنت من الحفاظ على الدولة الصليحية والدفاع عن كيانها بكل جدارة ، وظلت على وفائها مع الدولة العبيدية

وولائها للخليفة الفاطمى ، ثم للطيب المستور من بعده ، ولما أحست من نفسها الضعف ودنوّ الأجل ألقت مقاليد الدعوة إلى سبأ بن أبى السعود الزريعى .

وللشعراء المعاصرين لها عدة مدائح فيها ، من ذلك قول الخطاب بن الحسين الأسلى الحجورى فى مدحها :

كوحيدة الزمن الذى أضحى التقى وشعارها من محضه ودثارها
رضى الأئمة سعيها فتوطدت فى الأرض دولتها وقر قرارها
وتواصلت بركاتها ممدودةً منها حبائل ما استرم مغارها

وقد برز بعد موت الصليحى عدد من الشخصيات الذين كان لهم أثر كبير فى تأييد دولة المكرم ومن جاء بعده ، كما استمروا فى نشر الدعوة ودعمها سراً بعد سقوط الدولة الصلحية ومنهم :

القاضى لَمَك بن مالك الحمادى :

وقد جعله المكرم رئيساً للدعوة الفاطمية فى اليمن بناء على تعليمات المستنصر الفاطمى الذى سماه بـ (داعى القلم) كما أطلق على المكرم (داعى السيف)[١] ، وبهذا القاضى استعانت السيدة أروى فى تثبيت قواعد الدعوة ، وقد أطلقت عليه لقب : (داعى البلاغ) ، عندما فُصلت الدعوة عن الدولة . وقد زار القاهرة فى أواخر أيام الصليحى حيث انتدبه لبعض المهام ، ولبث لدى الخليفة الفاطمى خمس سنوات ، وخلالها وقف على علوم الدعوة وآدابها ، وكلفه الخليفة شخصياً بنشر الدعوة وجعله باباً من أبوابه ، كما أمره بتنفيذ سياسة معينة ، وقد اختار القاضى لمك بعد عودته نخبةً من التلاميذ الأفذاذ البعيدين عن أمور الملك ، أمثال ابنه يحيى والذؤيب بن موسى الوادعى ، وإبراهيم

(١) الصليحيون : ص ١٧٩

ابن الحسن الحامدى وغيرهم ، وسلم إليهم ما كان قد أخذه من علوم الدعوة أيام إقامته بمصر ، ولم يسمح من حقائق علمه إلا بالشيء القليل للداعى المكرم والحرة الملكة وذلك لاشتغالهما بشئون الملك والإدارة والحروب المستمرة ، فتحولت آداب الدعوة الفاطمية وعلومها بواسطة لمك إلى شيوخ العلماء الذى تفرغوا لدراسة هذا التراث العلمى الدينى[1] » .

الخطاب بن الحسين الحجورى :

كان شاعراً مجيداً متحمساً للدعوة الفاطمية ، وله عدّة قصائد يذكر فيها الآمر بالله الفاطمى والسيدة أروى، يشدو بذكرها ويتغنى بمدحهما ، ولم يعبأ فى ذلك بما نصبه له أعداؤه من المعارضة والعداء ، ومن جملتهم أخواه سليمان وأحمد ، ذلك العداء الذى دفعه آخر الأمر إلى قتل أخيه سليمان غيلةً ، ثم قتله كذلك أبناء أخيه سليمان أخذاً بثأر أبيهم . وكان يسكن قرية (الجريب) من ناحية أسلم فى حجور ، وكثيراً ما جاء ذكر (الجريب) فى شعره ، وله يفتخر بقومه حجور :

قومى حجور جناح لى أطير به ⠀⠀ وأهل عزمى من دون الورى قدم

لا يبدلون لرسمٍ حين أرسمه ⠀⠀ ولا أبدل رسماً غيره رسموا

ومن شعر له يذكر فيه موالاته للآمر والسيدة أروى :

حرام علىّ النوم غير غرار ⠀⠀ يلم بجفنى بعد طول نفار

---

(١) إلى آخر ماسرده الدكتور حسن الهمدانى فى كتابه :(الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن) ١٨ — ٢٦٨ . وكنا نود الوقوف على كنه هذه العلوم وذلك التراث وإتحاف القارىء بالمهم منها ، ولكن مع الأسف لم يصلنا منه شىء ولعله لا يزال حتى قرننا العشرين سر من الأسرار التى تتناقلها الباطنية من شيخ إلى شيخ ، وهذا هو ما اضطرنا إلى الاعتماد على المصادر التى تيسرت لنا والتى ذكرناها آنفا ، مع توقفنا عن الحكم فى شىء مما نقل حتى يتسنى لنا المجال الأوسع .

سأظهر أعلام الهدى مستطيلةً أشعة أقمارٍ بها ودرارى

وأظهر للمنصور مولاى دعوةً موطّدةً فى مسكنى وقرارى

وأعلنها كشفاً بغير تسترٍ وأكشفها جهراً بغير سرار

أمثلى يلهيه فيلهو بلذةٍ ؟ ترنم أوتارٍ وشرب عقار

ويرضى بما يرضى به من معيشةٍ من الناس فى دنياه كل حمار

فمن مبلغ مولاتنا ابنة أحمدٍ نهايتىَ القصوى وقطب مدارى

سلامى وإلمامى وزاكى تحيتى وإن بعدت دارى وشط مزارى

أمولاتنا حقت لديك نصيحتى حقيقة علم ليس فيه تمارى ؟

وماكان من كشفى القناع لمذهبى جهاراً فلم أخش العدا فأدارى

خطبت لمولانا وأظهرت سكةً عليها اسمه طارت بكل مطار

لدى معشر حبل الضلالة عندهم مغار وحبل الدين غير مغار

وفارقت أولادى وأهلى وماحوت جميعاً يدى من فضةٍ ونضار

ورمت رضى المنصور فيما أتيته إذا فارقت درى قشور محار

فهل لى يا مولاتنا منكِ عاضد ؟ معين به يضحى زنادى وارى

أمولاتنا لا تتركينى بقفرةٍ وحيداً لأعدائى تروم دمارى

وقومى بأمرى والحظينى بلحظة فلحظك غادٍ بالسعادة جارى

ولى غرض لا بد لى من مناله بلا رقبة منى ولا بحذار

سأمضى لها عزمى ، فإما منية تحين بفك من وثاق إسارى

وإلّا علت بى دعوة آمرية بها وإليها نسبتى وشعارى

٣ - المذهب الزيدى

سمّى أهله بالزيدية نسبةً إلى الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، والزيدية فرقة كبيرة من فرق الشيعة تتبع هـذا الإمام ، وقد ألحق أصحاب هـذه بالشيعة لسبب واحد فقط وهو تشيعهم فى الإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه وتفضيله على جميع الصحابة لأدلة صحّت عندهم ، ولا يوافقون الشيعة فى كثير من المعتقدات بل يرفضونها رفضاً . أما الصحابة فإنهم يعترفون بفضلهم ولا يمسون جانبهم بأى سوء ، ولهذا أطلقوا على أنفسهم إسم (صفوة الشيعة) ، وقد بنـوا مذهبهم على الاجتهاد والتحرر الفـكرى ، وبهذا اتسمت مؤلفاتهم فى علوم الـكلام والفقه والمنطق ، حتى صار مذهبهم — كما قال عنه الـكاتب القدير المعاصر الشيخ محمد أبو زَهرة — أكثر المذاهب الإسلامية نمـاء وقدرةً على مسايرة العصور .

وقبل أن نبدأ فى الـكلام عن هذا المذهب نرى لزاماً علينا أن نورد بعض أقوال المؤرخين عن التعريف به وبمؤسسيه ، وأسباب انتسابهم إلى الإمام زيد وما إلى ذلك :

قال القاضى العلامة أحمد بن صالح أبو الرجال فى مقدمة كتابه « مطالع البدور ومجمع البحور » : « والتحقيق أن الزيدية منتسبون إلى على بن أبى طالب وسبطيه وأمهما لإجماعهم على أن الحق معهم ، وإن انتسبو إلى زيد ابن على فما ذاك إلا أنها وقعت فترة بعد قتل الحسين بن على عليه السلام كادت تنسى أشهر صفات أهل البيت وهى الجهاد فى سبيل الحق ومحو الظلم ، فقام زيد بسنة آبائه — فى إنـكاره لأعمال هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى وخروجه عليه — فانتسب مَن وراءه إليـه لهذه الخصيصة ، كما قال الإمام

المهدى محمد بن عبد الله النفس الزكية : « فتح لنا والله زيد باب الجنة وقال : أدخلوها بسلام آمنين ، فلولا هذا لكان انتساب هذه الفرقة إلى على ابن أبى طالب كرم الله وجهه » .

وقال أحمد بن داود الحدّانى : « سمعت عيسى بن يونس يقول وقد سئل عن الرافضة والزيدية ، فقال : أما الرافضة فأول ما ترفضوا جاءوا إلى زيد ابن على حين خرج فقالوا : تبرأ من أبى بكر وعمر حتى نكون معك ، فقال بل أتولاهما وأبرأ ممن تبرأ منهما ، فقالوا : « إذاً نرفضك » ، فسمّوا الرافضة وأما الزيدية فقالوا : « نتولاهما ونبرأ ممن تبرأ منهما » فخرجوا مع زيد وسموا بالزيديه . ذكر ذلك فى تهذيب الكمال والنزهة لابن حميد»[١] .

وقال أحمد أمين فى « فجر الإسلام » : « ومذهب الزيدية أعدل مذاهب الشيعة وأقربها إلى أهل السنة ، ولعل هذا راجع إلى أن زيداً — إمام الزيدية — قد اتصل بواصل بن عطاء رأس المعتزلة[٢] فى البصرة واجتمع معه طويلاً وتجاوب معه فى معظم آرائه . وزيد يرى جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، فقال : كان على بن أبى طالب أفضل من أبى بكر وعمر ولكن — مع هذا — إمامة أبى بكر وعمر صحيحة . ونظر الزيدية إلى الإمامة كذلك نظر معتدل[٣] فليست هنالك إمامة بالنص ، ولم ينزل وحى يعين

---

(١) طبقات الزيدية . (٢) فرقة كلامية إسلامية ظهرت فى أخريات القرن الأول الهجرى ، وبلغت شأوها فى العصر العباسى الاول . يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل ابن عطاء مجلس الحسن البصرى لقول واصل بأن مرتكب الجريمة ليس بكافر بل هو فى منزلة بين المنزلتين . امتازت الفرقة بحرية الفكر والاعتداد بالعقل وقوة الحجة . تفرغ رجالها فى كل من البصرة وبغداد للبحث والمناظرة ، ثم انغمسوا فى السياسة . من أهم مبادئهم العدل والتوحيد ...الخ ١٧١٨ موسوعة .

(٣) أما الإمام فإنهم يتشددون فى انتخابه ولهم أربعة عشر شرطاً فى قبول الإمام كما سيأتى ذلك فى موضعه .

الأئمة ، بل كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخىّ قادر على القتال فى سبيل الحق يخرج للمطالبة يصح أن يكون إماماً ،ويشترطون فى الإمام الخروج على الأمراء والسلاطين يطالب بالإمامة ، ولهذا كانت الإمامة فى نظرهم عملية لا سلبية كما هى عند الإمامية تنتهى بالإمام المختفى ، وهم لا يؤمنون بالخرافات التى ألصقت بالإمام فجعلت منه جزءاً إلهياً ، وقد خرج زيد بن على على هشام بن عبدالملك الخليفة الأموى فقتل وصلب سنة ١٢١ هـ (٧٣٩م) وخرج بعده ابنه يحيى فقتل كذلك سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) ، ولا تزال الزيدية فى اليمن إلى الآن»[١] .

وقد جاء ذكر الزيدية فى غير موضع من « العلم الشامخ » لعلامة اليمن المجتهد المتحرر صالح بن مهدى المقبلى ، من ذلك قوله فى ردّه على بعض الأشاعرة الذى يقول : وأما الزيدية فلا ينبغى أن يُعدوا فرقةً مستقلة ، وإنما هم مقلدون للمعتزلة فى الأصول وللحنفية فى الفروع فقال المقبلى : « لكنه تعصب فى هذا الكلام وما أنصف بل خبط وجازف ، فكم فيهم من إمام نظّار وسابق لا يشق له غبار ، وأيضاً فليست موافقتهم للحنفية غالبة ، بل ذلك فى بعض أئمتهم ، وبعضهم يغلب على مذهبه مذهب الشافعى كالناصر الأطروش ، وليس الزيدية أحق بالتابعية وغيرهم بالمتبوعية كما زعم هذا القائل ، اللهم إلا إن أئمتهم أعلام الذرية النبوية وخلاصة السلالة المصطفوية[٢] وما زال فيهم قائم فى الأشراف وعوامهم يكادون يلحقون الإمام بالنبى يحاربون معه بلا جُعل ، لا كسائر الملوك ، ومن مذهبهم وجوب الخروج على الظلمة والجوَرة ، وأن يكون القائم عدلاً مقسطاً ، وهو على الإيمان ورضاء الرحمن، ومن مذهبهم تقديم على رضى الله عنه فى الإمامة ، بل هو أول الأئمة بعد النبى (ص) قام أو

---

(١) ص ٢٧٢ .

(٢) ص ٨ — ٩ .

قعد ، وتنحصر بعده فى الحسنين وولدهما إلى آخر الدهر مع كمال الشرائط عندهم،ويخصون الثلاثة المشايخ رضى الله عنهم بالتأويل ، ولا يتأولون لمعاوية ونحوه من المخالفين ، فكل باغ يجب الخروج عليه ، وهذا شىء معلوم فى الزيدية من قديم الزمان وبه انفصلوا عن سائر المذاهب ، وليس لهم كبير خلاف بعد ذلك بل يوافقون المعتزلة فى العقائد ، وأما الفروع فمنهم من يغلب عليه مذهب الشافعى موافقةً لا تقليداً ، ومنهم من لم يكن كذلك بل شأنهم شأن سائر المجتهدين،إنما يعظم الخلاف التعصب؛ألا ترى سجود السهو أصبح كالعلم لهم حتى ترى أهل المذاهب الأربعة يتركونه البتّة ، ما شهدناهم يفعلونه قط ، والسبب هو قوة تحرى الزيدية واحتياطهم فى كل شىء يتعلق بالدين ...الخ»(١)

وقال فى موضع آخر من كتابه : « ولعمرى لمقاصد أئمة الزيدية فى قيامها وسيرها أشبه بالصالحين من السلف وليس من مذهب الزيدية الرفض ، فهم شيعة غير رافضة ، هذا ما استقر عليه مذهبهم فأودعوه بطون كتبهم»(٢) .

« ولما كانت الأتراك قد عاثت فى اليمن وفعلت الأفاعيل بنفوسهم أولاً كالفجور وشرب الخمور ، وبالناس ثانياً من الفتك ونهب الأموال وغير ذلك حتى ألجأوا الناس أن يحجبوا البنين كما يحجبون البنات ، فقامت عليهم الزيدية الأطهار الذين هم شيعة آل المختار بحمية عربية ، حتى كان بعضهم يقيم التركى مقام الثور فى حرث الأرض فى بلاد الأهنوم وصار مسمى التركى علماً على ذلك أعنى الظلم وسائر الخبائث » (١) . قلت : وهذا هو شأنهم ومبدؤهم من قديم

---

(١) ص ٣١٨ — ٣١٩

(٢) ص ٣٢١

(٣) ص ٣٢٢

الدهر فلا يقوم داعى باطل فى بلادهم إلا أسكتوه ولا ترتفع راية ضلال إلا نكسوها ، وهو دليل على قوة شكيمتهم فى الحفاظ على الدين وشدة تمسكهم بمبادىء الإسلام ، وتاريخ اليمن حافل بجهادهم العظيم ونضالهم المقدس فى هذا السبيل .

ويقول المقبلى فى موضع ثالث فى وصف أئمة الزيدية الذين عاصرهم : «والزيدية أخذوا بطرف من الإنصاف ، ولقد سبنا سابهم بمخالفتنا لهم فيما تجب فيه المخالفة ، ولكن ذلك لا يحملنا على أن نفترى عليهم أو نعظم الحقير ونكبر الصغير من عيوبهم بل نقول : هم خيار الأمة وأعدلها مدى الدهر سيرةً ، وإن كان العدل لم يبق اليوم إلا اسمه [1] ، وهم مظنة الخير ومثنته وسرّ النبوءة سارٍ فيهم ولائح على أعمالهم ومكارم أخلاقهم بل على صورهم الحسية ، يرى غالب الناس الرجلين بديهة فيقطع أو يظن أن أحدهما من أهل البيت النبوى . ولقد كنا فى اليمن ما كاد يتخلف هذا علينا لصحة أنسابهم ، ولما وصلنا الحرمين ورأينا من أهل مصر والشام وغيرهم لم نجد ذلك فى كثير منهم ، مع أخذهم هذه العلامة وهى العمامة الخضراء أو خرقة خضراء فكان عدم العلامة هو العلامة ، وأحسن من قال :

جعلوا لأبناء النبى علامةً إن العلامة شأن من لم يُشهر
نور النبوءة فى كريم وجوههم يغنى الأريب عن الطراز الأخضر [2]»

وممن قام بدراسة مذهب الإمام زيد وإعطائه حقه من الدراسة والبحث الشيخ المعاصر محمد أبو زَهرة صاحب كتاب (الإمام زيد) ، ومما قاله عن هذا المذهب بعد أن أوضح أسباب انتشاره فى بلاد مختلفة ما يلى :

« ونتهى من هذه الإشارات التاريخية إلى تقرير أمور ثلاثة :

---

(١) ص (٢٣٠)   (٢) ص (٣٢٤)

أولها — أن المذهب الزيدى قد تفرق أئمته فى الأقاليم الإسلامية ، وأنه برز فى كل أرض حلّ بها باجتهادات واستنباطات تتصل بعلاج الأدواء الاجتماعية بالأرض التى عاش فيها ، وأنه فى القرن الرابع الهجرى قد أخذت الآراء كلها تُجمع وتدرس ، فجاء ناس وجمعوا بين آراء أئمة الجيل والديلم وأذربيجان وخراسان ، وآراء الكوفيين والحجازيين وأهل اليمن .

ثانيها — أن أكثر المجتهدين كانوا من أهل البيت وأكثرهم كانوا من أبناء الحسن رضى الله عنه وعن أبيه، وقليل منهم كانوا من ذرية الحسين رضى الله عنه ، لأن آل الحسن وجدوا فى المذهب الزيدى متسعاً لهم ولنشاطهم فى العلم والإمامة ، بينما المذهب الإمامى يقصر الإمامة على ذرية فاطمة من الحسين رضى الله عنهما ، فكان من أئمة الزيدية أولاد عبد الله بن الحسن ابن الحسن شيخ أبى حنيفة رضى الله عنه وغيرهم .

ثالثها — أنا نجد التلاقى بين المذهب الحنفى والمذهب الزيدى قد وُجد مرتين :

(إحداهما) : فى لقاء الإمام أبى حنيفة بالإمام زيد رضى الله عنهما وأخذه منه واعترافه بفضله .

(ثانيهما) عندما تلاقى المذهبان فى بلاد ما وراء النهر حيث نشطت الدعاية للمذهب الزيدى فى القرن الثالث الهجرى . . . . وأنه بملاحظة أصول الزيدية يتبين أنهم أخذوا من الأصول والمناهج أوسعها مدى ، وكلما كثرت الأصول كان المذهب أكثر نماء وأوسع رحاباً ، فإذا أضيف إلى ذلك فتح باب الاجتهاد والتخريج فى كل العصور ، وكثرة الأئمة الذين خرجوا واجتهدوا

واختاروا مع فتح الباب[١] للاراء فى المذاهب الأربعة وغيرها كان هـذا المذهب أكثر المذاهب الإسلامية نماء وقدرة على مسايرة العصور .

الإمام زيد مؤسس المذهب الزيدى :

هو الإمام الشهيد الولى السعيد ، وارث علوم آبائه الأكرمين ، وفاتح باب الجهاد لتشييد معالم الدين ، ومبلغ حجة الله إلى الناس أجمعين زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعاً »[٢] .

فجده الأعلى من قبل أبيه هو الإمام على بن أبى طالب فارس الإسلام ، وباب مدينة العلم ، وأقضى الصحابة وابن عم رسول الله (ص) وأخوه عند المؤاخاه ، وجده من قبل أمه محمدبن عبد الله وخاتم النبيين ، فهو بهذا ذو النسب الرفيع الذى لا يدانيه نسب ولا يقاربه شرف إذا تفاخر الناس بالأنساب ، ولكن محمداً (ص) قال لهم : يا بنى هاشم « لا يأتينى الناس بالأعمال وتأتونى بالأنساب » ، ولذلك ضمت العترة النبوية إلى ذلك النسب الطاهر العمل الصالح ، فكان نورهم يسعى بين أيديهم[٣]» .

وقد ولد زيد سنة ٧٥ هـ بالمدينة المنورة ، ونشأ فى حجر والده على ابن الحسين بن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، وبعد أن تشبع بعلوم القرآن والسنة وأصبح من أعظم الفقهاء والمحدثين رحل إلى البصرة ، وكانت ملتقى المتكلمين وعلماء الفرق الدينية ، ومنها فرقة المعتزلة بزعامة واصل ابن عطاء الذى اعتزل حلقة الحسن البصرى بسبب إختلافهما فى حكم مرتكب الكبيرة كما أسلفنا .

---

(١) ص (١٠٦ — ٥٠٨) .

(٢) الروض النضير : (٤٩/١) .

(٣) الإمام زيد : ص (٢٠٢) .

وتناظر زيد مع واصل ووافقه فى بعض نظرياته فى الاعتزال كالقدر، والمنزلة بين المنزلتين ، وغير ذلك مما يطابق معتقده ، كما خالفه فى البعض الآخر ، كتجويز الخطأ على الإمام على فى قتال الناكثين والقاسطين .

وكانت رحلته إلى (البصرة) من أهم الأحداث التى غيرت مجرى تاريخ حياته ، فكما تناظر مع المعتزلة تناظر مع غيرهم من الفرق ، وفيها عرفت أقواله حول الإمامة ، ولم يخرج منها إلا حاملاً أفكاراً سياسية ولا سيما حول القضية التى استشهد فى سبيلها جده الإمام الحسين رضى الله عنهما . وتقول بعض المصادر أن زيداً قد التقى ببعض زعماء الشيعة اللذين عرضوا عليه تأييدهم ومناصرتهم فى بث الدعوة باسم الهاشمية بدلا عن الأموية ولمس منهم إصراراً متزايداً حمله على عقد العزم فى الخروج على هشام بن عبد الملك .

خروجه واستشهاده :

جاء فى مقدمة الروض النضير أن هشاماً كان قد أمره أن يأتى يوسف ابن عمر عامله على الكوفة لإجابة دعوى وجهت إليه من خالد بن عبد الله القسرى ، زعم أن خالداً — وكان عامل هشام على العراق ثم عزله بيوسف وأمر الأخير أن يستخرج من خالد أموالا أو يبسط عليه العذاب — ادعى زيداً فى أموال أودعها لديه ، فقال زيد لهشام : ما كان يوسف صانعاً بى فاصنعه أنت ، فأبى هشام ، وكتب ليوسف: إن أقام خالد وعبد الله على زيد بينة فخذه به ، وإلا فاستحلف زيداً ثم خل سبيله ، فقدم زيد على يوسف فأبرق له وأرعد ، فقال: دعنى من إرعادك وإبراقك ، فلست من الذين فى يديك تعذيبهم . إجمع بينى وبين خصمى واحملنى على كتاب الله وسنة نبيه (ص) لاسنتك وسنة هشام ، فاستحيي يوسف وتصاغرت نفسه ، وعلم أن زيداً

لايحتمل الضيم ، فدعا خالداً فجمع بينهما فبرأه خالد فخلى سبيل زيد ، وقال لخالد : يا ابن اليهودية أفعلى أمير المؤمنين كنت تفتعل ؟ »[١] .

وروى صاحب الروض بالإسناد إلى زيد بن على رضى الله عنه قال : لما لم يكن ليوسف علينا حجة شخص بى إلى الحجاز ، وكان هشام قد كتب إلى يوسف بذلك وقال إنى أتخوفه ، وكنت أحب المقام بالكوفة للقاء الإخوان وكثرة شيعتنا فيها ، وكان يوسف يستحثنى على الخروج فاتعلل وأقول إنى وجع فيمكث ثم يسأل عنى فيقال له إنه مقيم بالكوفة ، فلما رأيت جِدَّه فى شخوصى تهيأت وأتيت القادسية فلما بلغه خروجى وجه معى رسولا حتى بلغ (العُذَيب) ، فلحقت الشيعة بى وقالوا : أين تخرج ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام وخراسان والجبال[٢] ؟ ، وليس قبلنا من أهل الشام إلا عدة يسيرة ، فأبيت عليهم ، فقالوا : ننشدك الله إلا رجعت ولم تمض ، فأبيت وقلت : لست آمن غدركم كفعلكم مع جدى الحسين وغدركم بعمى الحسن واختياركم عليه معاوية ، فقالوا : لن نفعل ، أنفسنا دون نفسك ، فلم يزالوا بى حتى أنعمت لهم ، ثم قال زيد رضى الله عنه لغلمانه : إعزلوا متاعى عن متاع ابن عمى ، فقيل : ولم ذاك ؟ فقال : أجاهد بنى أمية ، والله لو أعلم أنه تؤجج لى نار بالحطب الجزل فاقذف فيها ، وإن الله أصلح لهذه الأمة أمرها لفعلت ، فقيل له : الله الله فى قوم خذلوا جدك وأهل بيتك فأنشأ يقول :

فإن أُقتل فلست بذى خلود وإن أبقَ اشتفيتُ من العبيد[٣]

---

(١) ص ٧١ .

(٢) الجبال : عراق العجم (٣) ١ : ٧١ .

وللإمام زيد رضى الله عنه عدة مواقف مع هشام كشفت عن إباء زيد وشممه ، وترفعه عمّا يراد به من إمتهان وضيم ، وقد ذكر المسعودى دخول زيد بن على على هشام فى لقائهما الأخير ، بعد أن استدعاه إليه بالرصافة ، فلما مثل بين يديه لم يرَ موضعاً يجلس فيه فجلس حيث انتهى به المجلس وقال مخاطباً لهشام : ليس لأحد أن يكبر دون تقوى الله ولا أن يصغر دون تقوى الله فقال هشام : أسكت لا أم لك ، أأنت الذى تنازعك نفسك بالخلافة وأنت ابن أمة ؟ قال : إنّ لك جواباً إن أحببتَ أجبتك به وإن لم تحب أسكت ، فقال : بل أجب ، فقال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم اسمعيل أمة لأم إسحق ، فلم يمنعه ذلك أن بعثه نبياً للعرب وأخرج من صلبه خير البشر محمداً (ص) ، فتقول لى هذا وأنا ابن فاطمة وابن على وقام وهو يقول :

شرّده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حرّ الجلاد
منخرق الكفين يشكو الجوى تنكته أطراف مرو حداد
قد كان فى الموت له راحة والموت حتف فى رقاب العباد
إن يحدث الله له دولة يترك آثار العدا كالرماد

وروى ابن الأثير أنه لما خرج من عند هشام قال له هشام : أخرجْ ، فقال أخرجُ ولا أكونُ إلا بحيث تكره ، فخرج من عنده وسار إلى الكوفة ، فقال له محمد بن عمر بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولا تأت أهل الكوفة فإنهم لا يفون لك فلم يقبل وقال:

بكَرَت تخوفنى المنون كأننى أصبحت من عَرَضِ الحياة بمعزل
فأجبتها : إن المنية منهل لابد أن أُسقى بكأس المنهل

إن المنية لو تُمثَّل مُثِّلَتْ   مثلى إذا نزلوا بضيق المنزل

فاقنى حياءك لا أبا لك واعلمى   أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل »

وجاء فى الروض النضير عن المزّى بالإسناد إلى زيد بن على رضى الله عنه أن هشاماً قال له : بلغنى عنك كذا ، وذكر إشاعةً كان قد بثّها إبنُ لخالد القسرى على زيد بن على وجماعة أنهم أجمعوا على خلع هشام فقال زيد : ليس بصحيح قال هشام : قد صحّ عندى ، قال أحلف لك قال : لا أصدقك ، قال إن الله لن يرفع من قدر من حُلف له بالله فلم يصدق ، قال : أخرج عنى ، قال : إذاً لا ترانى إلا حيث تكره . قال المزّى : قلت : خرج منازلا وقتل شهيداً ، وليته لم يخرج .

وقد اتجه زيد سراً نحو الكوفة حيث يوجد أشياعه الذين يبلغون أربعين ألفاً ، وقد تسللوا إليه ، وبايعوه وكانت صيغة بيعته : « إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفىء بين أهله بالسواء ، ورد المظالم ، ونصرة أهل الحق .... الخ » وظل زيد أربعة عشر شهراً يعد العدة للقتال ، وكان موعد خروجه شهر صفر سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) . وفى خلال ذلك بلغ هشاماً هذا الإعداد فأمر عامله بالكوفة يوسف بن عمر قائلاً : « إنك لغافل ، وإن زيد بن على غارز ذنبه بالكوفة يبايع له ، فألحّ فى طلبه وأعطه الأمان ، وإن لم يقبل فقاتله » (١).

ومن أجل ذلك أخذ يوسف فى طلب زيد وأتباعه . أما الإمام زيد فقد أمر ببث النداء للمبايعين قبل حلول الموعد المحدد ، ولكن لم يجبه غير أربعمائة

(١) الإمام زيد : (٥٧) نقلا عن ابن الاثير (٥ : ٨٧)

رجل من مجموع خمسة عشر ألفاً ، وبالرغم من ذلك فقد صمم على المضى فى سبيله وعدم التراجع فيما عزم عليه ، بعد أن تيقن تراجع أهل الكوفة عنه ونكثهم لعهده وخذلانهم له ، ورأى أنه لا مجال له من مواجهة يوسف بن عمر مع جيشه الجرار بهذه الثلة القليلة ، وقبل نشوب المعركة قال : « أخاف أن يكونوا قد فعلوها حسينية ، أما والله لأقاتلن حتى أموت » (١) .

« وتقدم عترة النبي وحفيد على إلى الميدان ومعه عدد دون عدد أهل بدر أو نحوه . وجيش عدوه كثيف قوى يجيئه المدد فى كل وقت ، وقاتل بهذا العدد لضئيل فى الحساب ، ولكنه أقوى فى الميزان ، راجح الكفة فى الميدان ، فاقتتلوا ، وهزموا جناح جيش الأمويين ، وقتلوا منهم أكثر من سبعين قتيلا ، وعجز العدو بكثرتهم عن قتال أولئك المؤمنين الصابرين بالسيف ، فاستعانوا بالرمى ، يرمون بسهامهم أصحاب زيد رضى الله عنه وعنهم ، ولم ينالوا منهم إلا بالسهام ، ونال زيداً سهم فى جبهته ، وعند انتزاعه منها كانت منيته ، وبذلك لم يستطيعوا أن ينالوا منه إلا بالطريق التى نالوا بها جده الحسين رضى الله عنهم ، لأن أحفاد على لا يلاقيهم أحد فى الميدان إلا صرعوه » (٢) .

وروى الإمام المهدى فى (المنهاج الجلى) والسيد أبو طالب فى أماليه بالاسناد إلى زيد بن على أنه قال عندما نصح من بعض قرابته ومنهم عبد الله بن الحسن ابن الحسن وجعفر الصادق : « أأسكن وقد خولف كتاب الله تعالى وتحوكم إلى الجبت والطاغوت ؟ وذلك أنى شهدت هشاماً ورجل عنده يسب رسول الله (ص) ، فقلت للساب : ويلك يا كافر ، أما والله إنى لو تمكنت منك لاختطفت روحك ، وعجلت بها إلى النار ، فقال هشام : مه عن جليسنا يا زيد ، ثم قال: فوالله لو لم يكن إلا أنا ويحيى ابنى لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى » (٣) .

---

(١) الروض النضير : ١ : ٦٥   (٢) الإمام زيد ص ٥٩   (٣) الروض النضير ١ : ٧٣

ولقد كان صنيع هشام فى جثته هو عين صنيع يزيد وابن زياد فى جده، الحسين عليه السلام ، فقد مثَّل بها بعد أن دُفن ، ولقد كان ابنه يحيى حريصاً على أن يدفن أباه بحيث لا يعلم بموضعه فدفنه فى ساقية وردمها ، ووضع عليها النبات لكيلا يعلم أحد بمكان جثمانه الطاهر ، ولكن أحد الذين عرفوا ذلك أنبأوا الأمويين فارتكبوا إثماً كبيراً فوق آثامهم : نبشوا القبر وأخرجوا الجثمان ومثلوا به ونصبوه بكناسة الكوفة بأمر هشام بن عبد الملك ابن مروان »[١] .

وإن الحرب من جانب الأمويين كانت حرباً فاجرة ، ليس فيها شيء من القيم الإنسانية بمحترم ، فإنه ليذكر أن رجلاً من جند الأمويين على فرس رائع أخذ يشتم فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) شتماً قبيحاً ، لعنه الله ولعن من أيدوه وأرسلوه ، فبكى الإمام زيد حتى ابتلت لحيته ، وجعل يقول : أما أحد يغضب لفاطمة بنت رسول الله (ص) ؟ ، أما أحد يغضب لرسول الله (ص) ؟ أما أحد يغضب لله تعالى ؟ فاستتر أحد رجال زيد ، وسار وراءه وقتله ورماه من فوق فرسه الرائع وركبه ، فشدد الأمويون على ذلك القاتل الفاضل، فكبر أصحاب زيد وحملوا عليهم حملة شديدة ، واستنقذوا من ثأر لكرامة بنت الرسول (ص) ، ولقد طابت نفس زيد رضى الله عنه بهذا ، فجعل يقبِّل ما بين عينى الرجل الذى ثأر لكرامة الرسول (ص) ولكرامة الإسلام ويقول : أدركت والله ثأرنا ، أدركت والله شرف الدنيا والآخرة وذخرها »[٢] .

ولقد سلط الله على هؤلاء الظلمة من الأمويين من أبادهم وطارد من بقى منهم فى الآفاق وهم العباسيون حتى جرّهم سوء الانتقام إلى أن نبشوا قبورهم

---

(١) الإمام زيد:٥٩

(٢) الإمام زيد : ٦٠ نقلا من مقاتل الطالبيين ص ١٤١

وأحرقوا رفاتهم ، وهكذا فإن الدنيا كادت تـكون دار جزاء ، وإن الله يسلط الظالمين بعضهم على بعض ليعتبر المؤمنون ويتعظ المتقون .

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سـيُبلى بأظـلمِ

ولقد كان مقتل الإمام زيد وابنه يحيى من بعـده سبباً من أسباب نجاح الدعوة العباسية مع دقة التدبير واحكام الاستخفاء ، وتلك نقمة الله تعالى أنزلها بمن استباحوا حرمات آل البيت ، وإن الشعور بالظلم المحسوس الملموس يؤلب القلوب أكثر ما تؤلب الأقوال والمؤامرات ، فذلك دعوة عامة صارخة إلى الثورة وإزالة الطغيان(١) .

قال القاضي الحسين بن أحمد الحيمي السياغي في مقدمة كتابه (الروض النضير شرح مجموع الفقه الـكبير) للإمام زيد رضي الله عنه :

«لقد كانت دعوة الإمام زيد إلى الله وإلى جهاد أعدائه تمهيداً لقواعد الدين بهذه العصابة المباركة التي اهتدت بهديه الصالح ونالت ذلك المتجر الرابح ، ولم يزل منهم إمام بعد إمام في منابذة الظالمين وإخافة القاسطين ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنـكر ويقيمون شرائع الدين وأحكامه على مرّ الدهور وتعاقب العصور ، كله ببركة هذا الإمام السعيد وسعيه الصالح الحميد ، فمن ذلك قيام الإمام الهادي إلى الحق وإبادته للقرامطة ، ثم من دعا بعده من الأئمة في قطر اليمن إلى يومك هذا ، وكذا الإمام الناصر للحق الحسن بن علي في الجيل والديلم وإسلام الجماهير من المشركين على يديه ، وما عقبه من الأئمة هنالك وما نشروا من العلوم الدينية ، وما استقام عليه فريقهم من العصابة المرضية ، كما شهد به من أنصف من علماء الأمة كالدامغاني وغيره . ومن هنا يظهر أن

---

(١) المصدر السابق .

ما ذكره الذهبي فى ترجمة الإمام زيد عليه السلام بقوله : خرج على هشام وليته لم يخرج غباوة عن مدارك الحق ، وبناء على أصل منهار ، وهو تحريم الخروج على الظالم المتغلب،وفساد هذا المذهب أوضح من أن يقام عليه الدليل ، وهو مبسوط فى موضعه ... وما ذلك إلا كقول من أطلق التخطئة للحسين بن على عليه السلام فى الخروج على يزيد ، ولم يزل اعتقاد ذلك سهلا عند بعض من انتحل العلم ، حتى قال قائل منهم أنه قتل بسيف جده فإنا لله وإنا إليه راجعون »(١).

أما خصاله الشريفة وفضائله المنيفة فهى كثيرة جداً لا يتسع المجال لذكرها وقد عقد لها مؤلف (الروض النضير) فصلا كاملًا أودع فيه أقوال رجال الحديث كالذهبي وغيره ، وهى تدور حول علمه الغزير وشجاعته ونسكه وتواضعه وبلاغته ويكفيه فى ذلك قول أخيه محمد الباقر رضى الله عنه بأنه سيد أهل بيته . وقال فيه ابن أخيه جعفر الصادق رضى الله عنه : كان والله سيدنا ، ما تُرِكَ فينا لدين ولا لدينا مثله .

شيوخه :

وأول شيوخه أبوه السيد الكبير والإمام المتأله الشهير أبو الحسين على زين العابدين والابن الوحيد الذى نجا من قتل الأمويين فى حادثة كربلاء الأليمة التى قتل فيها أبوه الحسين السبط وأخوه على وبعض رجال البيت النبوى ، والسبب فى ذلك كما قال الذهبي فى كتابه (النبلاء) أنه كان يومئذٍ متوعكاً فلم يحضر كائنة كربلاء ، ولم يكن معه غير ٢٣ سنة ، ولم يتعرض له يزيد بعد ذلك عندما أحضر مع بقية آل البيت إلى دمشق بل أكرمه ورده إلى المدينة .

---

(١) الروض النضير ١ : ٧٤ .

وقد حدث عن جده مرسلاً وعن صفية أم المؤمنين وذلك فى الصحيحين ، وعن أبى هريرة وغيرهم . قال حماد بن سلمة : سمعت على بن الحسين — وكان أفضل هاشمى — يقول : يا أيها الناس ، أحبونا حب الإسلام ، ولا تحبونا حب الأصنام ، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً . وكان أفضل أهل زمانه ، ويقال أن قريشا رغبت فى أمهات الأولاد بعد الزهد فيهن حين نشأ على ابن الحسين ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، لأن أمه كانت من سبايا الفرس من بنات يزدجرد اللاتى سبين فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل أنه ما أكل بقرابته من رسول الله (ص) درهماً قط . روى أبو معشر قال : وقع حريق فى بيت فيه على بن الحسين وهو ساجد ، فجعلوا يقولون : يا ابن رسول الله : النار ، فما رفع رأسه حتى أطفئت ، فقيل له فى ذلك فقال : ألهتنى عنها النار الأخرى . وعن إبراهيم بن محمد الشافعى عن سفيان : حج على ابن الحسين ، فلما أحرم إصفر لونه وانتفض ولم يستطع أن يلبى ، فقيل له : ألا تلبى ؟ ، فقال أخشى أن أقول لبيك ، فيقول : لا لبيك ولا سعديك ، فلما لبّى غشى عليه وسقط من راحلته فهشم . قال مصعب بن عبد الله عن مالك: بلغنى أن على بن الحسين كان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات ، وكان يسمى زين العابدين . وقد سئل كيف كانت منزلة أبى بكر وعمر عند رسول الله (ص) ، فأشار إلى القبر وقال : بمنزلتهما منه الساعة . قال الذهبى : قيل كان على بن الحسين إذا سار فى المدينة على بغلته لم يقل لأحد : الطريق ، ويقول : هو مشترك ليس لى أن أنحّى عنه أحداً ، وكان له جلالة عجيبة وحق له والله ذلك فلقد كان أهلا للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله .

وحكى المزى فى (تهذيب الكمال) ترجمته بنحو ما ذكره الذهبى فى (النبلاء) ، وفيه بعد أن حكى قصة الذين قدموا المدينة من العراق فسبّوا

أبا بكر وعمر ، فقال لهم رضى الله عنه : أخبرونى أأنتم من المهاجرين الأولين الذى أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ؟ . قالوا : لا ، قال أفأنتم من الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ؟ قالوا : لا ، فقال لهم : أما أنتم فقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله فيهم « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذى سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا » قوموا ، لا قرب الله داركم فإنكم متسترون بالإسلام ولستم من أهله .

وذكر المزى أيضاً فى (تهذيب الكمال) والذهبى فى (النبلاء) والحافظ السخاوى فى (التذكرة) وأبو عبد الله الكنجى فى (كفاية الطالب) بأسانيدهم إلى عبيد الله بن محمود بن عائشة ، قال : أنبأنا أبى وغير ، قالوا : حج هشام ابن عبد الملك فى زمن أبيه عبد الملك بن مروان ، فطاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر عليه ، فنُصب له منبر وجلس ينظر إلى الناس ومعه أهل الشام ، إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم ، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس عنه حتى يستلمه ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة ؟ قال هشام : لا أعرفه ، قال ذلك مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضراً ، فقال : لكنى أعرفه ، قال الشامى : من هو يا أبا فراس ؟ فقال :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته — والبيت يعرفه والحلُّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم — هذا التقىُّ النقىُّ الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها — إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يُغضى إلى ذروة العز التى قصرت　　عن نيلها عرب الإسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته　　ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

بكفه خيزران ريحه عبقٌ　　من كف أروع ، فى عرنينه شمم

ما قال « لا » قط إلا فى تشهده　　لولا التشهد كانت لاؤه نعم

منشقة من رسول الله نبعته　　طابت عناصره والخيم والشيم

ينجاب نور الهدى عن نور غرته　　كالشمس تنجاب عن إشراقها الغيم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله　　بجده أنبياء الله قد ختموا

مَنْ جدُّه دان فضل الأنبياء له　　وفضل أمته دانت لها الأمم

عم البرية بالإحسان فانقشعت　　عنها الغواية والإملاق والظلم

كِلتا يديه غياث عم نفعهما　　تُستوكفان فلا يعروهما عدم

سهل الخليقة ، لا تخشى بوادره　　يزينه اثنان : حسن الخلق والشيم

لا يخلف القول ، ميمون نقيبته　　رحب الفناء ، أريب حين يعتزم

من معشر حبهم دين وبغضهمُ　　كفر وقربهمُ منجى ومعتصم

يُستدفع السوء والبلوى بحبهمُ　　ويُستزاد به الإحسان والنعم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهمُ　　فى كل حكم ومختوم به الكلم

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم　　أو قيل من خير أهل الأرض قيل هموا

لا يستطيع جواد بعد غايتهم　　ولا يدانيهموا قوم وإن كرموا

هموا الغيوث إذا ما أزمة أزمت　　والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم　　خِيم كرام وأيدٍ بالندى هضم

لا ينقص العدم بسطاً من أكفهمو　　سيّان ذلك ، إن أثروا وإن عدموا

فليس قولك : من هذا ، بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم

قال : فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعُسفان بين (مكة) و (المدينة) ، وبلغ زين العابدين فبعث إليه بإثنى عشر ألف درهم وقال : أعذر يا أبا فراس ، فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به ، فرده الفرزدق وقال : يا ابن رسول الله ، ما قلت إلا غضباً لله عز وجل ولرسوله (ص) ، وما كنتُ لأرزأ عليك شيئاً فقال : شكر الله لك ذلك ، غير أنا أهل بيت إذا أنفذنا أمراً لم نعدْ فيه ، فقبلها ، وجعل يهجو هشاماً وهو فى الحبس فكان مما هجاه به :

أيحبسنى بين المدينة والتى إليها قلوب الناس يأوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيدٍ وعيناً له حولاء باد عيوبها[1]

هذا وكل أحاديث الإمام زيد التى جاءت فى كتابه (المجموع) — وهو المصدر الأول لفقه الزيدية — قد رواها عن أبيه عن جده ، أما فى الفقه فإن آراءه تتفق مع آراء الكثير من فقهاء التابعين ، مما يدل على أنه قد اتصل بعدد من علماء المدينة وأخذ عنهم .

ولو تتبعنا الاستنباطات الكثيرة التى استنبطها لوجدناها تدل على أنه رضى الله عنه كان يدرس العلم ويطلبه فى مظانه أياً كانت هذه المظان . يدرس الفقه مع أهله ويذاكرهم فيما يختلف فيه معهم ، لا ينى عن طلب الحق أنى يكون وفى أى مكان ، وكان فى مهد العلم يعيش بالمدينة المنورة وهى مدينة الرسول (ص) منزل الوحى ومقام الصحابة والتى كان يأرز إليها علم الإسلام

---

(١) انتهى مختصراً من الروض النضير .

والتى اعتبر الإمام مالك ما عليه أهلها حجة فى الدين ، ولما شب عن الطوق أخذ يطوف الأقاليم طالباً العلم أنّى يكون ومن أى شخص يكون رضى الله عنه وعن آله »(١) .

وعلى الجملة فقد كان زيد شامة أهل زمانه وجوهرة أقرانه وإمام أهل بيت النبوءة فى وقته عليهم السلام ، يُعرف فى وقته بحليف القرآن ، له فى الزهد والكرم ومحاسن الأخلاق ما ليس لغيره من أهل زمانه . فتح الله عليه بالعلم بعد أن أخذ منه على جماعة من فضلاء الأمة كأبيه الإمام زين العابدين على ابن الحسين عليهما السلام وجابر بن عبد الله الأنصارى الصحابى ومحمد بن أسامة ابن زيد وغيرهم من أبناء الصحابة رضى الله عنهم ، وفتح الله عليه بأعظم مما أخذ عن الثقات حتى قال أخوه الباقر عليه السلام : « والله لقد أوتى أخى زيد علماً لدنيا فاسئلوه فإنه يعلم ما لا نعلم » (٢)

تلامذته :

أما تلامذته فهم : أولاده السادة الأبرار : عيسى ومحمد وحسين ويحيى ، وقد أخذ عن محمد جماعة كبيرة ، منهم : منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمى الكوفى المتوفى سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) وهو ممن روى عنه البخارى ومسلم ، وقيس بن الربيع ، والأجلح بن عبد الله الكندى ، وأبو الجارود زياد بن عبد الله الخارفى العابد ، وسليمان بن محمد ، والأعمش رأس المحدثين ، وسفيان ابن الصمت ، وقد روى له الترمذى وإسحق بن راهويه وابن المدينى وهو الذى

---

(١) الامام زيد : ٩٣

(٢) الروض النضير ١ : ٦١ .

روى مناظرة زيد بن على عليهما السلام للزنديق عند هشام بن عبدالملك،وغيره كثيرون يزيدون على المائتين أورد أسماءهم القاضى الحسين بن أحمد السياغى رحمه الله فى كتابه : « الروض النضير » .

وممن روى عن الإمام زيد : أبو خالد عمرو بن خالد الواسطى راوى (مجموع) الإمام زيد الآتى ذكره ،وعطاء بن السائب فى تفسير غريب القرآن وقطعة فى التفسير رواها عنه ابن العلى والرسالة فى إثبات الوصية رواها عنه خالد ابن محمد وروى عنه خالد بن صفوان مدح القلة وذم الكثرة ، وقد جمع الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن على الحسنى — الذى أثنى عليه الذهبى فى (النبلاء) وغيره — أسماء التابعين الذين رووا عن الإمام زيد ، وذكر حديث كل راوٍ فجاء كتاباً مفيداً . وممن روى عن الإمام زيد جماعة من أهل البيت ، منهم : إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وأخوه الحسن ، والحسن بن زيد بن الحسن وأخواه الحسين بن على بن الحسين بن على وعمر بن على بن الحسين على ،وأخوه محمد أبو جعفر الباقر بن على بن الحسين وزيد،وعبد الله بنى الحسن بن الحسن[1] .

ومن تلامذته أيضاً الإمام أبو حنيفة النعمان مؤسس المذهب المعروف باسمه ، كما روى ذلك السيد الحافظ الحسين بن المؤيد بالله محمد بن القاسم ، وكان مدة قراءته عليه سنتان ، ويؤيد ذلك ما نقل عن القاسم بن عبد العزيز والشريف أبى عبد الله الحسنى كما ذكر ذلك صاحب طبقات الزيديه ، وأخرج بإسناده إلى أبى حنيفة قال : سمعت زيد بن على يحدث عن أبيه عن جده أن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان يرى أن يغتسل من غسل ميتاً ، وهو من أحاديث المجموع[2] » .

(١،٢) الروض النضير ١ : ٦١ — ٦٤

وكان الامام أبو حنيفة يوافقه فى مبدئه وهو الخروج على الظلمة وأهل الجور ، وجاء أنه قد أمده بمال إثر خروجه على هشام ، وقال له : إستعن به على ما أنت فيه[١] » .

وإن هـذه الـكثرة من التلاميذ قـد نقلت فقه الإمام زيد فى الأقاليم الإسلامية ، ذلك أنه بعد مقتل الإمام زيد رضى الله عنه لم يكن من المعقول أن يبقى تلاميذه فى المكان الذى تركهم فيه ، لأنهم يكونون عرضة للأذى الشديد ينزل بهم ، فإن بنى أمية تتبعوا الذين ناصروه ، وأخذوهم بالعذاب إن تمكنوا منهم حتى أن الإمام أبا حنيفة نزل به الأذى والضرب ، وفرّ بعد ذلك إلى الحجاز ، ولم يعد إلى العراق إلا بعد أن استولى العباسيون على الحكم الإسلامى ورحب بهم فى أول الأمر[٢] .

وقد كان فرار هؤلاء التلاميذ إلى بلاد الإسلام المختلفة سبباً فى نشر الآراء الزيدية فى العلوم الإسلامية عامة وفى الفقه خاصة ، فطائفة نشرته ببلاد خراسان ، وأخرى بالمدينة ، وثالثة باليمن ، وكثرت البلاد التى انتقل إليها حتى عد ذلك من تكريم الله للإمام زيد ، فقد جاء فى مقدمة شرح المجموع : « ومن كراماته ظهور مذهبه فى أقطار البلاد الاسلامية على تعاقب العصور » ، وهكذا كان أذاه سبباً فى نشر نوره وعموم عرفانه رضى الله عنه [٢] » .

مجموع الامام زيد :

هو من أقدم الكتب الاسلامية التى وضعت فى صدر الاسلام إن لم يكن أولها ، ونعنى بذلك ماجمع من الفقه الاسلامى والحديث ، وقد قام بوضعه

---

(١) الروض النضير ص ٥٥

(٢ و ٣) الإمام زيد : ٢٣١

أبو خالد الواسطى[١] ، ويشتمل على قسمين : المجموع الفقهى والمجموع الحديثى أما القسم الفقهى فيحتوى على عدد ضخم من المسائل الفقهية التى كان يجيب عليها الامام زيد على أبى خالد الواسطى وغيره من السائلين . وأما القسم الحديثى ، فيشمل الأحاديث التى رواها الامام زيد عن أبيه عن جده عن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى (ص) .

وقد قام أبو خالد بتدوين مرويات الامام زيد وآرائه الفقهية كل باب على حدة ، بحيث كان يروى الحديث ثم يتبعه بفقه الامام زيد وما استنبطه منه .

و (المجموع) متلقى عند جمهور الزيدية بالقبول ، كما ذكر ذلك بعض أئمتهم ، كالهادى عزالدين بن الحسن والمهدى محمد بن المطهر وأبى طالب وغيرهم ويعتبرون إسناده أصح الأسانيد ، وقد قال عنه أحد شراحه القاضى العلامة الحسين بن أحمد الحيمى السّياغى فى مقدمة شرحه المسمى (بالروض النضير) نقلا عن مقدمة السيد أحمد بن يوسف :

« أما بعد ، فإن مجموع الامام الأعظم ، البحر الزاخر الخضم ، أبى الحسين زيد بن على بن الحسين عليهم السلام كتاب جليل وسفر نفيس ، حوى مع

---

(١) هو الشيخ الحافظ المحدث أبو خالد عمر بن خالد الواسطى الهاشمى بالولاء الكوفى، أصله بالكوفة ثم انتقل إلى واسط ، روى عنه مجموع الامام زيد وتفسير الغريب وكتاب الحقوق توفى سنة ١٥٠ هـ ، وأخرج له أئمة آل البيت وأجمعوا على عدالته ، كما روى ذلك السيد صارم الدين بن الوزير فى كتابه « العلوم » ، ودحضوا كل المطاعن التى قيلت فى روايته ، وقد فندها شارح المجموع جميعاً فى مقدمة شرحه « الروض النضير » وأبطلها من عدة وجوه فى كلام طويل ، وقال إن أبا خالد ممن تمسك بولاء أهل البيت نشر فضائلهم وروى أحاديثهم وانعزل عن الظالمين وباينهم ، ولم يخالط العلماء الذين يغشون أبوابهم ويلزمون أعتابهم ، الأمر الذى دفعهم إلى التحامل عليه والحط من شأنه . وقد أورد الأحاديث التى طعن فيها عليه مع أسانيدها وطرقها المختلفة وهى لا تزيد على سبعة أحاديث ، ومن ثمة اتضح أن له فى كل منها متابع أوشاهد .

صغر حجمه من أحاديث الأحكام المرفوعة إلى النبي (ص) والموقوفة على أمير المؤمنين على عليه السلام . . . . إلى أن قال فهو جدير بأن يرقم بسواد العيون وأن يرجع إليه أعلام العترة المتقدمون والمتأخرون ، وكيف لا يكون كذلك وهو مخرج من طريق الامام زيد القانت الأواه البائع نفسه من الله ، مَن زينت بذكره المنابر والصحائف ، وأجمع على جلاله الموافق والمخالف ، عن أبيه زين العابدين على بن الحسين أفضل هاشمى فى وقته على وجه الأرض ، عن أبيه أبى عبد الله الحسين سبط رسول الله وأحد ريحانتيه من الدنيا وأحد سيدى شباب أهل الجنة وخامس أهل الكساء ، عن أبيه أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أخى رسول الله (ص) ووزيره وابن عمه وأخيه ، وباب مدينة علمه ، عن خيرة الله من خلقه وصفوته من بريته ومجتباه لرسالته وخاتم رسله» .

ثم أخذ القاضى الحيمى فى سرد أسماء الذين أسندوا المجموع ، بادئاً بالقاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام (١) وشيخه أحمد بن أبى الحسين الكنى وسندهما المتصل بالإمام زيد ، كما بين طريق الإمام الهادى عن أبيه عن القاضى زيد عن على خليل صاحب (مجموع الإمام زيد) الذى يعرف عند الزيدية بمجموع على خليل وهو من الكتب التى قدم بها القاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام إلى اليمن ، وممن ذكر فى سند على خليل لمجموع الإمام زيد الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الماروني وغيره من أئمة الزيدية فى الجيل والديلم الآتى ذكرهم إنشاء الله (٢) .

وقام بشرح المجموع عدد من أئمة وعلماء الزيدية منهم : الإمام المهدى محمد بن المطهر ت:٧٢٨هـ (١٣٣٧م)فى كتابه المعروف بـ«المنهاج الجلى»ويشتمل

(١)(٢) راجع الفصل الأخير « طبقات الزيدية وأعلامها »

على جزءين وهو يرجح فى الغالب مذهب الإمام زيد ويؤيده بالأدلة القوية . ويوجد منه نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

والقاضى أحمد بن ناصر المخلافى شرح له فى جزء واحد بلغ فيه إلى سجود السهو قال عنه صاحب (الروض) :« وهو شرح نفيس،سلك فيه متابعة مذهب الإمام زيد حذو النعل بالنعل ، مستظهراً على ذلك بأدلة من العقل والنقل ، ولو تم لكان شرحاً شاملاً وسفراً بالفوائد حافلاً » ، ثم قال : « وكان حيّ السيد العلامة المحدث الناقد الحافظ أحمد بن يوسف قد شرع فى شرح بسيط جمع فيه بين تخريج الأحاديث وسرد متونها ، واستنباط أحكامها وتهذيب فنونها ، والتكلم على رجالها جرحاً وتعديلاً وتصحيحاً وتعليلاً ، وكان رحمه الله تشد إليه الرحال لمعرفته بأحوال الرجال ،ولكن لم يساعده المقدور إلا على شرح ورقة من أول الكتاب وقدم قبل ذلك مقدمةً فى ترجمة أمير المؤمنين الوصى كرم الله وجهه وتراجم من بعده فى السند إلى أبى خالد الواسطى رحمه الله أورد فيها غرر الفوائد ودرر القلائد ... الخ » .

ويعتبر شرح القاضى الحسين بن أحمد السياغى المتوفى سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) ، المسمى بـ (الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير) الذى أشرنا إليه مراراً قبل هذا أعظم شرح وصل إلينا ، وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ وأخرج إخراجاً حسناً ، وقد استهلّه بمقدمة مبسطة رائعة عرّف فيها بالمجموع وصاحبه الامام زيد بن على عليه السلام وراويته أبى خالد الواسطى وتكلم بإسهاب عن عدالته وطرق روايته واسناده وصحتهما من عدة وجوه، ويقع فى أربعة أجزاء، وهو أحد المصادر التى اعتمد عليها الشيخ العلامة محمد أبو زَهرة فى دراسته لمذهب الامام زيد ووضع كتابه عنه .

نشوء المذهب الزيدى وأسباب إنتشاره :

عندما نلقى نظرةً عامة على تاريخ المذاهب الإسلامية وأهمها باعتبار الأقدمية الزمنية : الزيدى ، الحنفى ، المالكى ، الشافعى ، الحنبلى ؛ نجد أن الإمام زيد — وهو مؤسس المذهب الزيدى — قد أعلن بقوةٍ رأيه حول أهم قضية كانت تشغل الفكر السياسى للإسلام ، ألا وهى « الخروج على الظلمة والجائرين » ، ولم يكتف بمجرد القول بها فقط ، بل قام بتطبيقها عملياً فى ثورته على هشام ابن عبد الملك ، اقتداء بجده الحسين بن على عليهما السلام الذى سبق له أن ثار على يزيد بن معاوية ، كما أنا نجد أن كثيراً من أئمة الإسلام — وفى مقدمتهم الإمام أبو حنيفة — قد تابع الامام زيد وأيده فى هذه الفكرة الثورية المتحررة ، لما تحمل فى طياتها من مغزى إسلامى عظيم .

وحينما نتناول آراء الإمام زيد بالدرس والتأمل حول أهم مشكلة سياسية شغلت الفكر الإسلامى وهى (الزعامة العامة) نجد أنها قد فتحت باباً جديداً فى ميدان الحركة السياسية ، وفى نفس الوقت ساعدت هذا المذهب على التكوُّن والانتشار فى كثير من الأقطار الإسلامية كالعراق والشام وخراسان وإصبهان والرىّ والجيل والديلم والحجاز واليمن ، حاملا تلك الفكرة السامية التى كان لها أثرها فى النضال ضد الظلم والاستبداد ، وفى بيان سبيل الحق والرشاد .

أما بالنسبة للآراء الأخرى التى جاء بها حول الإمامة فإنا إذا قارنا بينها وبين الآراء الأخرى التى كانت قد ظهرت حينذاك وأهمها آراء الكيسانية التى كانت تقول بالوراثة والعصمة والتقديس والرجعة والمعجزة والتقية وفكرة المهدى المنتظر وتخطئة الصحابة وغير ذلك مما سبق الكلام عنه ،

وجدنا أن الإمام زيد قد جاء بأقوال هى غاية فى الإنصاف والاعتدال ، فهو يحارب الوراثية ويرجع الزعامة العامة للمسلمين إلى اختيار الأمة للأصلح فيها ، ولا يمنع قيام المفضول مع وجود الفاضل إذا رأت الأمة أن فى ذلك مصلحة ، وبهذا القول سد أفواه الرافضة الذين قدحوا فى إمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وهذا لا يعنى عدم تفضيله للامام على كرم الله وجهه على سائر الخلق بعد رسول الله (ص) نظراً لمكانته المعروفة ، ولا يقول بعصمة الإمام ولا بوجوب تقديسه بل يقول بوجوب الخروج عليه إذا ظهر منه أدنى جور ومحاربته وقتله إذا اقتضى الأمر ذلك ، أما المهدوية والتستر فإنه يرفض قبولها أو الاعتراف بهما .

هذه هى الآراء التى تمسك بها جمهور الزيدية ، ووضعوا عليها نظمهم وقوانينهم حول موضوع الإمامة ، ولم يشذ عنهم إلا القليل كالجارودية ، وهم أصحاب أبى الجارود بن المنذر العبدى ، فقد خالفوا منهج الإمام زيد وضللوا الصحابة فى اختيارهم غير الإمام علىّ رضى الله عنه ، كما رفضوا إمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ولذلك اعتبرت فى نظر جمهور الزيدية متطرفة ورافضة ، أما البترية والسليمانية فهما أكثر اعتدالاً فى نظر الزيدية لعدم تخطئتهما الصحابة ، إلا أنهما اشترطتا شروطاً حول الإمامة لا يقرونهما عليها .

ومما ساعد على انتشار المذهب — كما قال أبو زهرة — فتح باب (الاجتهاد) ، وكذا اتفاق آراء الإمام زيد مع آراء المعتزلة الذين حملوا على كواهلهم مسئولية الدفاع عن مبادىء الإسلام وسخروا ألسنتهم وأقلامهم فى النضال عنه ضد الزنادقة والملحدين ، وقام أتباع واصل بن عطاء رئيس المعتزلة بدراسة آراء الإمام زيد الفلسفية والفقهية ، ووجدوا فيها خير منهاج لأداء مهمتهم وتنفيذ رسالتهم والتغلب على معارضيهم من أعداء الإسلام، وكان

من أعلام المعتزلة الذين وافقوا الإمام زيد وسلكوا نهجه فى الإلٰهيات والأصوليات والطبيعيات والمسائل السياسية وتكلموا على ما تفرع منها : أبو على الجبائى[١] ، وأبو الفضل بن العميد[٢] . والصاحب ابن عباد[٣] ، وقاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد[٤] ، وأبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى[٥] ، وعمرو بن بحر الجاحظ[٦] ، وغيرهم من رجال المعتزلة ومفكريهم ممن يجلهم الزيدية ويفخرون بمؤلفاتهم ويستشهدون بأقولهم.

---

(١) نسبة إلى جبى من أعمال خوزستان وهو شيخ أبى الحسن الأشعرى إمام أهل السنة . كان زعيم المعتزلة ، وقد رد على ابن الراوندى. مات سنة ٣٠٣ هـ ، وإلى ابنه أبى هاشم تنسب الفرقة (البهشمية) من فرق المعتزلة .

(٢) كان والياً للدولة البويهية على إقليم الرى ، وكان مولعاً بالأدب وله فيه أسلوب خاص كان يعتبره الناس المثل الأعلى ولهذا قيل : بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد. توفى سنة ٩٦٩ م .

(٣) صاحب المعجم فى اللغة المسمى (المحيط) فى سبعة مجلدات . كان من أعظم مناصرى المعتزلة لأنه معتزلى . وكان وزيراً للبويهين وله مؤلف فى إمامة على بن أبى طالب كرم الله وجهه . توفى سنة ٧٧٥ م .

(٤) عينه الصاحب بن عباد قاضياً للقضاة بالرى وقزوين وقم ، وله مؤلفات كثيرة فى الاعتزال منها (شرح الأصول الخمسة عند المعتزلة) وقد وقعت بينه وبين الشريف المرتضى نقيب الطالبين ببغداد مناظرات يطول شرحها ومعظمها يدور حول الإمامة ومسائل تتعلق بالصحابة أوردها بالتفصيل ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة .

(٥) صاحب (الكشاف) فى التفسير . كان مجاوراً بمكة ولهذا سمى جار الله ، وكان من أنصار الاعتزال ، وله مؤلفات أخرى كأساس البلاغة و (الفائق) فى غريب الحديث و (المفصل) فى النحو وغير ذلك من المؤلفات التى كان لها شهرتها عند المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتنوع مشاربهم (ت : ١١٤٤ م) .

(٦) هو أبو عثمان الكنانى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ أخذ علم الكلام عن النظام وتثقف الثقافة العربية عن المبرد واليونانية عن طريق علم الكلام والفارسية من كتب ابن المقفع ، واتصل بالوزراء أمثال ابن الزيات وكتب فى كل موضوع تقريباً وله أسلوب خاص فى الكتابة لا يعرف إلا به وهو أسلوب متحرر .ويعتبر من أعلام الأدب العربى وله مؤلفات كثيرة فى علم الكلام منها كتاب (خلق القرآن) وكتاب فى الرد على المشبهة وكتاب فى الرد على النصارى وكتاب فى (الاعتزال) وكتاب فى (الإمامة) وله عدة كتب ورسائل فى الأدب والأخلاق والسياسة والنبات والحيوان ككتاب (البيان والتبيين) و (الحيوان) ، وله مواقف مشهورة فى نصرة مذهب (الاعتزال) والرد على مخالفيه .

قال أبو زهرة : «والعبرة التى نستخلصها من هـذا الاضطهاد الذى أصاب زيداً واستشهد فى سبيله ثم ما أصاب من بعده أتباعه وأشياعه وآل البيت الذين نادوا بمثل ندائه ترتب عليه أمران جليلان فى تاريخ الفقه الزيدى :

أولهما — إنتشار آراء الإمام زيد فى البقاع الإسلامية كلها تقريباً ، وهى آراء مشبعة بروح التسامح والقبول لـكل الآراء ما دام لهـا ملتمس من هدى النبى (ص) أيا كان طريقه ، وإنا نجد فى كل مذهب تعصباً من معتنقيه خصوصاً فى القرنين الرابع والخامس ، إلا المذهب الزيدى فإنا نجد من معتنقية قبولاً لـكل ما يكون له مستند من الشرع ، وفى الوقت الذى كانت المناظرات على أشدها فى القرنين الرابع والخامس الهجرى فى بلاد ما بين النهرين — بين المذهب الحنفى والمذهب الشافعى — نجد المذهب الزيدى فى تلك البلاد وغيرها يسير هادئاً كالنمير العذب يأخذ مجتهدوه خير ما فى المذهبين إذا انقدح فى نفوسهم سلامة منطقه ، وفى الوقت الذى نجد فيه الفتن فى العراق تقع بسبب الخلاف بين الشافعية والحنفية نرى المذهب الزيدى هادئاً كالبحر الساجى يحمل فى سفائنه خير ما فى الـكنوز الاسلامية من فقه .

ثانيهما — إتساع آفاق المذهب وكثرة الآراء فيه ، ففى كل بلاد من البلاد التى حل فيها كان له اجتهادات تتناسب مع حاجات هذا البلد وتتفق مع العرف فيها وإنتاج أحكام لمـا يجدُّ فيها من أحداث ، فإنه يجد للناس فيها من الأقضية بمقدار ما يوجد لهم من أحداث ، فـكان تنوع الأحداث فى البلاد الاسلامية ، ثم اجتماع هذه كلها إلى مذهب واحد فيه نمـاء لهذا المذهب أى نمـاء »[1] .

---

(١) الإمام زيد : (٤٨٩ — ٤٩٠).

(أصول المذهب الزيدى)

يقوم المذهب الزيدى على عنصرين هامين هما دعامتاه اللتان يرتكز عليهما ، ومادتا علومه اللتان من حياضهما يترع ومن نميرهما العذب يستقى ، ويبذل الزيدية اهتماماً كبيراً فى دراسة علوم هذين الأصلين ، ولهم فيهما أبحاث مستفيضة وتآليف يضيق بها مجال هـذا الـكتاب ، ولـكننا سنشرع فى بيان هذين الأصلين بإيجاز إذ المراد هو إعطاء القارىء صورة كافية عن نصوص المذهب وقواعده التى فرضوا على أنفسهم وجوب معرفتها ولم يجوزوا التقليد فيها ، لأنها — كما قالوا — ممـا يشترط فيه العلم فلا يكفى الظن .

أما (أولهما) فهو علم أصول الدين ويسمى عندهم بـ « علم الـكلام » أو « علم التوحيد والعدل » ويعتبرونه كما قال الإمام القاسم بن محمد[١] فى كتابه « الأساس » : « من أجلّ العلوم قدراً وأعظمها حظاً وأكبرها خطرا وأعمها وجوبا وأولاها إيثاراً وأولهـا صدراً » ، وذلك لأن معرفة العلوم الاسلامية مترتبة على معرفة الشارع لهـا ، وهو الله سبحانه وتعالى ، عملاً بقوله (ص) وقد سأله أعرابى عن غرائب العلم : « وماذا صنعت فى رأس العلم ؟ » فقال الأعرابى : وما رأس العلم يا رسول الله ، فقال : أن تعرف الله حق معرفته ، بلا ندٍ ولا شبيه ولا مثل » .

---

(١) مؤسس الدولة القاسمية فى اليمن ويكنى بالمنصور بالله حكم اليمن (١٠٠٩ — ١٠٢٩ هـ (١٥٩٨ — ١٦٢٠م) ، ويعتبر من أعلام أئمة اليمن ومؤلفيهم وله مواقف مشهورة ضد الاحتلال العثمانى لليمن حتى أجلوا فى أيام حكم ولده المؤيد ١٠٢٩ — ١٠٥٤هـ (١٦٢٠ — ١٦٤٤ م)، وللزيدية عدة مؤلفات فى (علم الـكلام) إلا إنا اخترنا «الأساس» واعتمدنا فى أكثر أبحاثنا المتعلقة بأصول الفقه عند الزيدية عليه لأنه أحدثها عهداً وأعظمها إيجازاً ، وسنذكر أهم مؤلفات الزيدية الأخرى فى هذا الفن فى آخر الفصل .

ثم عرفه بقوله : « علم الكلام هو بيان كيفية الاستدلال على تحصيل عقائد صحيحة جازمة يترتب صحة الشرائع عليها » .

وأما (ثانيهما) فهو علم أصول الفقه ، وقد عرفه القاضى العلامة محمد ابن يحيى بهران [١] فى مقدمة كتابه « الكافل » بقوله : « أصول الفقه هو علم بأصول يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية » ولنبدأ الآن فى الكلام على الأصل الأول :

١ — أصول الدين

(ا) التوحيد

حكم العقل :

ويبتدىء الزيدّية كلامهم فى التوحيد عن (العقل) لأهميته لديهم وحجيته القوية عندهم ويعرفونه بقولهم : « والعقل عَرض ركبه الله فى قلب الإنسان يدرك به المدركات ، كالبصر عرض فى الحدقة » . وهو يقرب من تعريف المعتزلة ، وفى ذلك خلاف لبعض الفلاسفة الذين يقولون بأنه جوهر بسيط و بعضهم بأنه جوهر نصف ، وغيرهم كالاطر فيه أنه القلب ، أما الطبيعيون فيقولون بأنه من جنس الطبيعة ، ومنهم الماديون الماركسيون .

ويستدل الزيدية فى عرَضية العقل بزواله عند النوم والإغماء والسكر ، وعوده عند نقيض ذلك ، إذ لو كان جوهراً لم يزل ، أما دليلهم فى أن محله القلب فهو قوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها » .

---

(١) ستأتى ترجمته مع غيره من أعلام المذهب الزيدى فى نهاية الفصل الأخير : (طبقات الزيدية وأعلامها) .

ويستقل العقل بإدراك الحُسن والقبح فى الأعمال ، وهما ذاتيان ، فالصدق — مثلاً — فيه حسن ذاتى تميل الطباع إليه ، والكذب فيه قبح ذاتى تنفر عنه، وهذا ماعليه الحنفية والمعتزلة والحنابلة ، أما الأشعرية والشافعية فإنهم قالوا : لايدرك العقل فيها — أى الأعمال — لاحسناً ولا قبحاً ، جرياً على قاعدتهم أن العبد غير مختار فى فعله .

ويترتب على رأى الزيدية أن الإنسان مكلف قبل ورود الشرائع أو إذا لم تبلغه دعوة الرسل بما يدل عليه العقل ، فهو مكلف بشكر المنعم ، ومكلف بمكارم الأخلاق ، ولو لم يصل إليه شرع فى ذلك ، ودليلهم على ذلك أن الناس كانوا قبل ورود الشرائع يتحاكمون إلى العقل ويتجادلون به ، ولو لم يكن فى الأشياء حسن وقبح ذاتيان لأفحمت الرسل وما استطاعوا الدعوة لأنهم يطالبون الناس النظر إلى الأشياء بعقولهم ، وذلك مصداق قوله تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » بما ركب فيها من العقول الهادية إلى الرشاد . وللمقبلى بحث مسهب فى الموضوع أورده فى كتابه (العلم الشامخ) قرر فيه ماذهب إليه الزيدية .

وللزيدية أقوال واستدلالات أخرى تؤكد حجية العقل البشرى ، لأن قيمة الانسان ليست إلا بعقله وبما يحسنه من أعمال ، ولا شك أن فيمن ذهب إلى القول بعدم استقلال العقل فى تمييز الحسن والقبح إنما يهدف إلى مسخ هذا الانسان وجعله آلةً فى يد القدر يتصرف به كيف يشاء ويعصف به كما يريد .

النظـر :

وهو إجالة الخاطر فى شيء لتحصيل اعتقاد نحو التفكير فى ذات الله تعالى

وعرّفه صاحب (الغاية)[١] بقوله : « هو الفكر المطلوب به علم أو ظن » وأورد فيه بحثاً طويلاً هاماً ، والنظر عند الزيدية واجب عقلاً وسمعاً وهو عند الشيعة والمعتزلة كذلك خلافاً للتعليمية والقرامطة ، وهما فرقتان من الباطنية كما سبق إيضاحه ، وكذا الصوفية لأنهم يبطلون النظر ويستبدعونه .

ودليل الزيدية فى ذلك قوله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت الآيات » . وغيرها من الأدلة القرآنية ، وأما منطقياً فإن عدم معرفة المنعم تستلزم الإخلال بشكره [٢] .

والنظر الموصل إلى معرفة الله تعالى فرض عين يجب على جميع المكلفين ، ولم يجوز الإمام القاسم التقليد فيه خلافاً لجده القاسم بن إبراهيم الذى يجوز فيه تقليد المُحقّ ، واحتج على ذلك بقوله « لم يكن الله تعالى مطلقاً لكل اعتقاد حتى يجوِّز التقليد فى معرفته ، لا سيما وقد عُلم اختلاف أهل المذاهب فى عقائدهم لأن المخطىء فى اعتقاده جاهل بالله والجاهل به تعالى كافر إجماعاً ، وتقليد الكافر فى كفره كفر إجماعاً » ويضيف قائلاً : « لا يحصل العلم بالحق إلا بعد معرفة الحق لقول الإمام على كرم الله وجهه : إن الحق لا يُعرف بالرجال وإنما الرجال يُعرفون بالحق » ولا يعرف الحق إلا بالنظر والاستدلال فيمتنع التقليد حينئذ .

وقد أورد شارح الأساس[٣] بعد هذا كلاماً طويلاً للامام يحيى بن حمزة فى كتابه الشامل يتضمن خمسة وجوه كتأييد لما ذهب إليه صاحب

---

(١) راجع : مؤلفات الزيدية فى أصول الفقه بعد هذا.

(٢) الأساس

(٣) هو السيد المجتهد أحمد بن محمد الشرفى الآتية ترجمته مع غيره فى الفصل الأخير من هذا الجزء بعنوان : (طبقات الزيدية وأعلامها) .

الأساس . واستطرد الإمام القاسم الكلام عن الدليل النظرى وأنواعه وما يصح به الاستدلال كالآيات المثيرة لدفائن العقول وهى زهاء خمسمائة آية ، كما أشار إلى القياس العقلى ، وعلق على ذلك أهميةً عظمى فى معرفة الصانع الحكيم لأنه كما قال يوصل إلى العلم اليقين،وضرب لذلك مثلا قوله : « ألا ترى أن من وجد بناء فى فلاةٍ فإنه يعلم أن له بانياً ... الخ » .

ولا شك أن الناظر فى نظام هذا الكون وخصائص مادته وهذه الأجرام ودقة نظامها وإحكام مدارها وهذه الأرض وما فيها من يابس وبحر وجبل وشجر وأرض وسماء وإنسان وحيوان يعلم يقيناً أن لها صانع عليم وقادر حكيم هو الله جلّ وعلا الذى وسع كرسيه السماوات والأرض وأحصى كل شىء علماً .. »

دليل الحدوث :

قال صاحب الأساس : « ولا مؤثر حقيقةً إلا الفاعل ، وهو إما الله سبحانه وتعالى أو العبد» وهذا ما أشار إليه محمد الغزالى فى كتابه عقيدة المسلم حيث قال : « إذا وقعت حادثة لم يُدر فاعلها قيل إن الفاعل مجهول ، ولم يقل أحد قط إنه ليس لها فاعل ، فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وربه ؟ إننا لم نكن شيئاً فكنا ، فمن كوّننا ؟ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » . وفى هذا رد على الفلاسفة الذين يقولون إن المؤثر فى العالم علة قديمة متذرعين بهذه العلّة لجعل صفات الله محدثة لحدوث مؤثره . قال الإمام يحيى ابن حمزة فى كتابه « الشامل » : « واعلم أن كل مادة الشكوك والشبهات فى جميع الملل والأديان الكفرية المخالفة لملة الاسلام هم الفلاسفة ، فهم منشأ كل زيغ وأصل كل ضلالة . وقال شارح الأساس : إن بعض المعتزلة قد وسّع

القول فى المؤثرات وصنّف فيها كتباً مستقلة واصطلح فيها على أشياء لا تعقل ولا دليل عليها من كتاب ولا سنة وفندصاحب الأساس بعض الأقوال الأخرى المتعلقة بالموضوع فقال : « وقد اصطلح أهل التوغل فى الفكر الخارج عن حدٍّ العقل غير ما تقدم ذكره كمؤثر الطبائعى[1] ، وكسب الأشعرى[2] ، وطفر النظام[3] ، ومزايا أبى الحسين[4] ، ومعان لا هى الله ولا غيره[5] ، وإثبات جوهر غير مانع للحيز من ثلاث جهات دون الرابعة[6] ، وثابت غير موجود ، وأمور لا توصف بالقدم ولا الوجود ولا العدم[7] ، « كمخض الماء ليس له إثاء[8] . ومطلع البيت : « وبعض القول ليس له عناح» .

حدوث العالم :

والعالم عند الزيدية محدث كما هو عند غيرهم من الطوائف الاسلامية،خلافاً للدهرية الذين يقولون بقدم الدهر قال فى الأساس : « والإمكان إما قديم أو محدث ، ليس الأول لأن الإمكان لا يكون إلا مع التمكن من الفعل والتمكن لا يكون إلا عند أن يصحّ الفعل ، والفعل لا يصح إلا بعد وجود

---

(١) أى الذى زعمه الطبائعيون وهو أن المؤثر فى العالم علة قديمة .

(٢) تقول الأشاعرة : إن الفعل من العبد مخلوق لله كسب للعبد .

(٣) إمكان وجود المخلوق فى مكانين دون مسافة لا فى الأرض ولا فى الهواء .

(٤) يعنى البصرى ، وهو من يثبت الصفة للبارى جل وعلا .

(٥) قول الأشاعرة فى الصفات .

(٦) وهو قول المعتزلة فى الجوهر الفرد .

(٧) قول بعض المعتزلة فى ذرات العالم وأنها موجودة فى القدم لا ثابتة فى العدم .

(٨) الإثاء : الزبد .

الفاعل ضرورة ، وما كان بعد غيره فهو محدث ، وبهـذا ثبت حدوث الإمكان وحدوث لازمه وهو السموات والأرض وما بينهما »

« ورجوعاً إلى الاستدلال بدليل آخر نقول : هما — أى السماوات والأرض ـ مختلفتان فى الشكل والهيئة والارتفاع والانخفاض،وكون إحداهما للنبات والأرزاق والمخلوقات،والأخرى مجرى للفلك والنجوم والشمس والقمر ونحو ذلك ، واختلافهما لايكون إلا لعلة إن فرضت أو لعدمها ،فليس الأول لأن العدم لا تأثير له عند العقلاء ، وليس الثانى لأن تأثير العلة تأثير إيجاب بزعمهم — أى أهل الطبيعة — ولو كان كذلك لوجب أن تـكون السماء أرضاً والعكس ، إذ ماجْعل إحداها أرضاً والأخرى سماء ونحوه بأولى من من العـكس لعدم الاختيار ، فثبت أنه لفاعل ولزم تقدمه ولولا ذلك للزم عدم اختياره وعدم صحة كونه فاعلاً » .

« وبدليل ثالث : أن حدوث العالم لا يخلو إما أن يكون لفاعل أو لغيره، أو لا لفاعل ولا لغيره،ليس الثالث لأن تأثير لا مؤثر له محال،فعرف من هذا بطلان زعم الملحدة أن الدجاجة والبيضة محدثتان ولا محدث لها وغير ذلك ، ولو كان كذلك للزم أن يوجد بنـاء بلا بان وهو محال ، ولا الثانى وهو كون المؤثر فى العالم علة أو نحوها ممـا زعم تأثيره إذ لا تأثير لغير الفاعل كما تقدم فى كلامنا على المؤثرات ، فثبت أنه لفاعل » .

وبمثل هذا الاستدلال البليغ ردّ الإمام يحيى بن حمزه فى كتابه « الشامل » على الملاحدة والدهرية وكذا الإمام المهدى فى كتبه الشهيرة ومؤلفاته الجليلة ومنها : « نـكت الفرائد فى معرفة الملك الواحد » وشرحه « غرر القلائد » و « الملل والنحل » وشرحه « المنية والأمل » ، و « رياضة الأفهام فى لطيف

الـكلام » وشرحه « دامغ الأوهام » وغيرها ، ففي هذه المؤلفات من الأقوال الناصعة والحجج الساطعة ما يدمغ أوهام الملاحدة والطبيعيين ويصم آذانهم ويخرس ألسنتهم .

الصفات :

« ولا بد أن يكون المحدث للعالم (موجوداً) إذ لا تأثير للعدم، (قديماً) أي لا أول لوجوده ، لأن المقارنة — لو فرضت — بين الصانع والمصنوع والمحدِث والمحدَث تُبطل كون المحدِث محدِثا لعدم الاختيار من الفاعل ، وللزم أيضا عدم حجة إحداثه ، لأنه ليس إحداث إحداهما للاخر بأولى من العكس» .

والفعل لا يصح إلا من « قادر » ضرورة « حيٍ » لأن الجماد لا قدرة له ضرورة ، « عالم » لأنا وجدنا العـالم محدثا محكما رصين الإحكام نحو إحكام خلق الانسان وتمييزه عن خلق الأنعام ، وذلك لا يكون إلا من عالم ضرورة ، وليس ذلك إلا الله سبحانه وتعالى ، وبذلك يُعرف بطلان دعوى الفلاسفة والطبايعية والباطنية والمنجمية ، إذ لا حياة للعلة والطبع لو عُقلا فضلا عن القدرة والعلم .

وصفات الله تعالى هي ذاته وفاقا لأبي الحسين البصري والرازي من المجبره، وغيرهما كأبي القاسم البلخي وأبي الأخشيد وسائر شيوخ البغداديين ، وهو ما عليه غالب أئمة الزيدية ، وخالف في ذلك بعضهم كالامام المهدى أحمد بن يحيى ابن المرتضى والشيخ الحسن الرصاص والفقيه يحيى بن حسين القرشي وأبو على والبهشمية إذ قالوا إن صفاته تعالى أمور زائدة لما تـكرر أن الله سبحانه وتعالى مخالف لغيره ، ويستحيل وقوع المخالفة بينه وبين غيره بنفس كونه ذاتاً، فيجب أن تـكون المخالفة بأمر زائد وراء كونه تعالى ذاتاً ، وليس ذلك إلا الصفة

التى نريدها . وقالوا أيضا : إذا علمنا الله تعالى أولاً ، ثم علمنا ثانيا أنه قادر فليس يخلو حال علمنا الثانى إما أن يكون متعلقا بذاته فقط أو بأمر زائد على ذاته ، والأول باطل ، لأنه لو كان متعلقا بذاته لوجب إذاً علمنا ذاته فى أول الأمر أنها قادرةٌ وهذا باطل ، فإنا نعلم ذاته ولا نعلمها قادرة إلا بأمر مستأنف ، فيبطل أن يكون عالماً بذاته ، وإن كان الثانى فهو المطلوب ، لأنا لا نريد بالصفة إلا أنها أمر زائد على الذات داخل فى حيز العلم بالذات .

وقد رد السيد أحمد محمد الشرفى شارح الأساس على هذا القول بكلام طويل مؤيداً ما ذهب إليه صاحب الأساس ويظهر أنه أكثر معقولية وأعمق منطقية . أما البصرية من المعتزلة فتقول أيضا بنحو ماذكره الإمام المهدى فى «النكت» وهو ماذكرناه آنفا ، واتفق أهل الجبر على أنه تعالى يستحقها — أى الصفات — لمعان إلا أنهم اختلفوا فى حكمها فقالت الصفاتية منهم أنه تعالى لا يوصف بقدم ولا غيره لأنها مجرد صفات وقال ابن كلاب بأنها أزلية ، وقال الأشعرى : قديمة ، واتفقوا فى أنها لا هى الله ولا غيره .

وكما اختلف الزيدية كما رأيت فى الصفات — وهدف الجميع هو تنزيه البارىء — اختلفوا أيضا فى « الإدراك » لأنه تابع لها فقال الإمام المهدى وهو ما عليه متأخرو الشيعة والبصرية من المعتزلة فى تفسير قوله تعالى « سميع بصير » بأنه حىٌّ لا آفة به لأن الإدراك عندهم أمر زائد على الصفات كما تقدم . أمّا الإمام القاسم وجمهور الزيدية والمعتزلة البغدادية فيفسرون ذلك بمعنى «عالم» مستدلين بقوله تعالى « أيحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم . الآية » .

والزيدية بإجماعهم ينزهون الله تعالى عن التشبيه والتجسيم ومخالفة الذات الإلهية بغيرها من المحدثات لأن الخالق لا يشبه مخلوقاته لا فى ذاته ولا فى صفاته ، استناداً إلى قوله تعالى « ليس كمثله شىء » .

وليس له تعالى مكان يشغله ويتمكن فيه كما تدعى المجسمه بأنه يحل في الكواعب الحسان ومن أشبههن من المردان تعالى عن ذلك علواً كبيراً . ويفسرون — أى الزيدية — الكرسى بأنه علم الله ، لأن الكرسى فى أصل اللغة : العلم،قال أبو ذؤيب : « ولا تكرس علم الغيب مخلوق » وقال غيره :

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة   كراسى بالأحداث حين تنوب

والعرش الذى ورد ذكره فى القرآن مجاز وهو عبارة عن الله وملكه ، ومعنى قوله تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » أنه يتحمل أمر ملكه سبحانه وتعالى من الحساب وغيره يوم القيامة ثمانية أصناف من الملائكة . والله سبحانه وتعالى لا تحله الأعراض ، ولا يجوز عليه البداء إذ هو فرع الغفلة ، ولا تحل إلا فى الأجسام ، وقد ثبت أنه تعالى ليس بجسم . واللوح عبارة عن علمه أيضا لأنه لا يحتاج إلى الكتابة والتقييد إلا ذو غفلة وسهو ، وهو تعالى منزه عن ذلك .

ولا يقولون بالرؤية لافى الدنيا ولا فى الآخرة لأن الله سبحانه كما يقول : « لا تدركه الأبصار » ، وقوله لموسى « لن ترانى » ، ولأن كل محسوس جسم أو عرض وهما محدثان والله سبحانه وتعالى ليس بمحدث لما مر ؛ وكل الأخبار الواردة عن النظر إليه يوم القيامة مقدوح فيها ، وإن صحت على سبيل الفرض فمعناها ستعلمون ربكم لأن الرؤية تستعمل كثيراً بمعنى العلم كقوله تعالى : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » و « ألم تر إلى الملإ من بنى إسرائيل » وقول الشاعر :

رأيت الله إذ سمّى نزاراً   وأسكنهم بمكة قاطبينا

وقول الآخر :

رأيت الله أكبر كل شىء   محاولة وأكثرهم جنودا

ولا يجوز على الله الفناء ، لأن الفناء لا يكون إلا بقدرة قادر ، والله سبحانه ليس من جنس المقدورات .

وقد أورد مؤلف الأساس وكذا الامام يحي بن حمزة فى كتابه «الشامل» فى هذا الباب عدداً من الأقوال والاستدلالات فى الرد على الوثنية والثنوية والمجوس وبعض النصارى ضمنها جميعا السيد أحمد محمد الشرفى فى شرحه للأساس ، وهى كثيرة ومختلفة باختلاف هذه الفرق وتعددها .

(ب) العـــدل

هو لغةً الإنصاف واصطلاحاً ما قاله الإمام على كرم الله وجهه لمن سأله عن التوحيد والعدل فقال : « التوحيد ألا تتوهمه والعدل ألا تتهمه » . قال شارح الأساس : وهـذا الـكلام من أفصح القول وأبلغه وأجمعه للمعانى وأوضحه ، ألا ترى كيف أحاط عليه السلام تحقيقه للتوحيد والعدل فى هـذا اللفظ القريب وأتى فيــه بأعجب عجيب إذْ لا توحيد ممن توهم الله سبحانه وتعالى ، ولا يوصف بعدل من اتّهمه جلّ جلاله » .

« والـكلام فى العدل راجع إلى أفعال الله سبحانه وتعالى ، ما يجوز منها وما لا يجوز ، والعدل فى أصل اللغة من أسمـاء الأضداد ، يقال : عدل أى أنصف وحكم بالحق ، وعدل بمعنى جار ومال عن الحق ، وفى عرفها إنصاف الغير بتوفير حقه ، واستيفاء الحق منه ، وترك ما لا يستحق عليه مع القدرة ، وفى اصطلاح المتـكلمين : تنزيه الله تعـالى عن فعل القبيح وأن أفعاله كلها حسنة ، فنقول : إن الله سبحانه وتعالى عدل ، منزه عن صفات النقص فى أفعاله ، فمن اعتقد أن الله سبحانه وتعالى على هـذه الصفة فهو من أهل العدل ، ولهذا

سميت العدلية بهذا الاسم لقولهم بذلك ، ويراد به فى حق المخلوق مَن لا يفعل القبيح ، ولا يخلُ بالواجب وفعاله كلها حسنة » .

قال مؤلف الأساس : «والحُسن ما لا عقاب عليه والقبح ضده . إذ الأصل فى مطلق الأفعال الإباحة بدليل ذم العقلاء للظالم والكذاب ، خلافاً لبعض الإمامية وبعض فقهاء الشافعية والحنفية والمالكية فيقولون : بأن الأصل فى مطلق الأفعال الحظر ، وهذا خلاف المعقول،إذلو كان ذلك لذمّت العقلاء من تناول الشربة من ماء غير مُحاز أو مشى فى الأرض أو تناول حجراً منها» .

أفعال العباد :

من قواعد الأصول عند الزيدية قولهم : « للعبد فعل يحدثه بإرادته » وهو قول جامع يرمز إلى حرية الإرادة للانسان فى كلما يفعله ، وهو معتقد جمهور الزيدية والمعتزلة ، خلافاً للمجبرة لقولهم بأن العبد مجبر أى مكره على فعله ولا اختيار له فيه وأن العبد مسير لامخير ، وقد اختلفوا فيما بينهم ، فقالت الصوفية والجهمية : ألّا فعل للعبد . ولكن الله خلقه فيه ، فالعبد عندهم كالشجرة التى تتحرك بتحريك الله على حدٍّ زعمهم ، وقالت النجارية والكلابية والأشعرية والضرارية إن فعل العبد فعله تعالى وللعبد منه « كسب »

ومن هنا نرى أن نظرية الزيدية ومن وافق أقوالهم فى هذا الأمر الهام ، وهو فعل العبد الذى يرتكز عليه بناء هذا الكون والحياة العاجلة والآجلة تقوم على أسس متينة ، وتهدف إلى معانٍ سامية منها ما يتعلق بالله وهو تنزيهه تعالى من الظلم لخلقه وعبثه بهم وأنه لا يريد بهم شراً ولا يكره لهم خيراً بل يحب ،ليترتب على ذلك الجزاء العادل الذى يستحقه العبد بما كسبت يداه ونزعت إليه إرادته الحرة إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وشواهد ذلك من

القرآن الـكريم كثيرة منها قوله تعالى : «إعملو ما شئتم» ، و «إعملو اصالحاً»، « وما ظلمناهم ولـكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

أما بالنسبة للعبد فإن حريته المطلقة لها شـأن كبير فى عمارة الحياة وإقامة مجتمع حر سليم من الظلم والإرهاق وتقييد الحريات ، يكون الفرد فيه مستقلا برأيه حراً فى نزعته وإرادته ،ولا شك أن القول بسيطرة البارى جل وعلا على إرادة عبده كما زعم المجبرة معناه نسـبة الظلم إلى الله تعالى وذلك محال فى جانبه فهو يقول «لا ظلم اليوم»،«وما ربك بظلام للعبيد»،«وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليـكفر » . وليس معنى هذا القول منهم إلا نسبة القبائح والمعاصى التى يرتـكبها العباد إلى الله تعالى وفيهـا الـكذب والزناء والسرق ونحوه ، أما مرتـكبوها فهم أبرياء مما جنوا منزهون عما ارتـكبوا ، قال شارح الأساس : « والمجبرون فى هذه المسئلة يكابرون عقولهم وينكرون الضرورة ، وقد رُوى أن الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السـلام لما دخل صنعاء إجتمع لمناظرته منهم سبعة آلاف فقيه ، ثم اختاروا سبعمائة وكبيرهم «النقوى» ، فلما حضروا للمناظرة قال « النقوى » للهادى : ياسيدنا ما تقول فى «المعاصى؟ » فقال الهادى عليه السلام : « ومَنِ العاصى ؟ » ، فلم يجبه النقوى بشيء وبقىَ متحيراً ، فلامَه أصحابه ، فقال : إن قلتُ « الله » كفرتُ ، وإن قلت « العبد » خرجتُ من مذهبى، ثم ثبت الحـكم فى صنعاء بعد ذلك بمذهب أهل العدل » .

أما ما يستدل به مخالفو الزيدية من قوله تعالى «والله خلقكم وما تعملون » فمعنى ذلك عندهم وعند غيرهم من المنصفين والله خلقـكم والحجارة التى تعملونها وتنحتونها أصناماً لـكم تعبدونها من دون الله ، فـكيف تعدلون عن عبادة الله

ربكم إلى عبادة الحجارة التى تعملونها أنتم بأيديكم ، وذلك بدليل أول الآية وهو قوله تعالى « أتعبدون ما تنحتون » ، إلى آخر ماذكره الإمام القاسم .

وهناك خلاف آخر بين الزيدية وبعض المعتزلة فى فعل العبد وإرادته فالمعتزلة يقولون — ومنهم الجاحظ — بأنه لا فعل للعبد إلا الإرادة وما عداها فمتولد بطبع المحل فهو فعله تعالى بواسطة ذلك الطبع الذى هو الصلوحية وان كلما خرج من محل القدرة لا تأثير للعبد فيه ، وأيدهم فى هذا القول صالح قبّة العالم المعتزلى ، أما بقية المعتزلة —ومنهم النظّام وثمامة بن الأشرس— فيقولون بأن الفعل حدَث لا محدث له ، أى أنه ليس من فعل الله ولا من فعل العبد ، وقد رد مؤلف الأساس على هذه النظرية بقوله : « قلنا لو كان كذلك ما جاز القصاص رأساً ولا العقاب أيضا إلا على الفعل الذى هو لا إرادة أو المبتدأ فقط ، وإن سُلِّم لزم استواء العقاب على من قتل زيداً ومن أراد قتل عمرو منهما وهو الاقتصاص منهما معا ، وغير ذلك من قتل بالمتولد من الأفعال وكذا من فعل فعلا غير متولد ولم يَقتُل به وذلك باطل . بهذه الإجابة الرائعة المدعمة بالاستدلال الشرعى والعقلى ردّ الإمام القاسم على كل من المجبرة والمعتزلة معا . أما الإمام يحيى بن حمزة فله فى كتابه الشامل بحث طويل فى الموضوع قال فى آخره : «ولا عجب من المجبرة القول بأن هذه الأفعال المتولدة من فعل الله مع قولهم بالجبر والتزامهم له ، إنما العجب من هؤلاء الجماهير من المعتزلة مع اعتزائهم إلى الفئة العدلية واعترافهم بالاختيار وكونهم خصوما للمجبرة فى كل مقام كيف قالوا بهذه المقالة ووقفوا فى عميقات هذه الجهالة ... إلى آخر كلامه » .

ومن هذا ترى أن المعتزلة وهم أساطين علم الكلام وفرسان ميدانه لم يسلموا من انتقاد الزيدية لهم وهجومهم عليهم لا فى هذه المسئلة فقط وإنما فى كثير من مسائل العدل ، ومن هنا يتجلى لنا صحة ما أشار إليه المقبلى فى كلامه

عن الزيدية ورفضه القول بأنهم تابعون للمعتزلة كما أسلفنا فى مطلع هذا الباب ، ومن قدِّر له الاطلاع على مؤلفات الزيدية العديدة ـ سواء فى أصول الدين أو الفقه أو فروعهما ـ وجد أنها تمتاز إلى حد بعيد بالتحرر الفكرى ودقة النظر وعمق التفكير وشجاعة التعبير ، وبهذا تعددت أقوال مجتهديهم وتفرعت مذاهبهم فى كثير من المسائل ، فترى أحدهم يعلن رأيه فى المسئلة بقدر ما أدّى إليه اجتهاده سواء وافق فيها غيره من أهل مذهبه ولو كان من آبائه المتبحرين أو أشياخه المدققين أم خالفهم ، وهو بهذا فى نظرهم غير متهم مهما عرف صحة اجتهاده وسلامة اتجاهه لأن كل مجتهد عندهم مصيب وكل متعمق فى البحث والنظر له مكانته السامية من التقدير والإجلال ، وبهذا صار المذهب الزيدى كما قال العلامة أبو زهرة « كالبحر الساجى يحمل فى سفائنه خير ما فى الكنوز الاسلامية من فقه » .

أفعال الله :

وقد أوجز الإمام القاسم فى كتابه الأساس الكلام عنها فى عبارة بليغة جامعة فقال : «هى أفعال قدرة ، وهى نفس المفعول عرضاً كان أو جسماً أو إفناء ، بخلاف أفعال غيره فإنما هى حركة أو سكون ، والقول الذى ذكره الله تعالى فى كتابه « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » عبارة عن إنشائه للمخلوق واحداثه له فى أسرع من طرفة عين وكذا فى إعدامه ، أما المتولد وهو مايسمى بالمسبب فإنه يختص بأفعال العباد التى هى أعراض ، لأنه لامتولد فى أفعال الله تعالى » .

وكافة العدلية يقولون إن القدرة غير موجبة للمقدور ، وقد خلقها الله للعباد ليوجدوا بها أفعالهم على حسب دواعيهم وإراداتهم ، أما الأشعرية فيذهبون إلى عكس ذلك ومعناه أن العباد لا يملكون الانتفاع بها لأنها عندهم موجبة

للمقدور ، والقدرة الموجبة للفعل هى قدرة الله بزعمهم . قال شارح الأساس : «إن إقرارهم بأن للعباد قدرة غير معقولة إنما كان فراراً عما لزمهم من إنكار الضرورة ، ولذلك رد الإمام القاسم عليهم بقوله « قلنا فلا فائدة إذاً فيها بل لا تسمى قدرة ، ولنا عليهم مامر من ثبوت الاختيار للفاعل » ، أما الجهمية والصوفية فتقولان بأن الله لم يخلق للعباد قدرة البتة بل إن الله يصرفهم ويفعل بهم ما يشاء ، لأنه لو فعل ذلك لكان فعل الفاعل منازعة لله تعالى فى سلطانه ، وقد رد الإمام القاسم على ذلك بقوله : « قلنا رداً عليهم إما أن يكون الله قادراً على أن يخلق لهم قدرة يحدثون بها أفعالهم كما هو المعلوم قطعاً ، أو غير قادر ، فليس الثانى لأن الله على كل شىء قدير ، وإن كان الأول فقد فعل سبحانه بشهادة ضرورة العقل وبشهادة صريح القرآن حيث يقول عز وجل : « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » ، ولا يعد منازعة لله تعالى فى سلطانه ، أما فى الطاعة والمباح فلا يكره الله ذلك ، وأما فعل المعصية فهو كفعل عبد قال له سيده لا أرضاك تأكل البُرّ (الحنطة) لمصلحة رأيتها لك ولا أحبسك عنه ، لكن إن فعلت عاقبتك ، ومن ثمة ففعل العبد ليس نزاعاً لله فى سلطانه لأن النزاع هو المقاومة » .

أما قول المجبرة بسبق علم الله بالمعاصى أن العاصى يفعل المعصية ولا يتمكن بذلك من تركها فقد رد عليه الإمام القاسم بقوله : « قلنا علم الله تعالى سابق غير سائق ، فلا ينافى العلم تمكن العاصى من الفعل » .

والزيدية على الإطلاق يخالفون المعتزلة فى تفسيرهم لأرادة الله بأنها الإرادة الحقيقية ويتهمونهم بالخبط والخرص فى ذلك ، ويقولون بأن الإرادة هى نفس الفعل ، وقد فصّل الامام يحيى بن حمزة ذلك فى كتابه « الشامل » حيث قال : « والمختار عندنا أن الارادة فى حقه تعالى هى علمه باشتمال الفعل

على مصلحة ، وإرادته لأفعاله تعالى هو علمه باشتمالها على المصالح فيفعلها ، ومعنى إرادته لفعل غيره هو أمره به ، وأما كراهيته فهو علمه باشتمال الفعل على مفسدة ، وكراهيته لفعل غيره هو نهيه عنه ، ويدل على ما قلناه هو أنا توافقنا ان الدافع للفعل فى حقه تعالى هو علمه باشتمال الفعل على مصلحة ، ولكن زعموا أنه لا بد من أمر زائد على هذا العلم يكون تابعاً له وهو الذى يعنونه بالارادة ، فنقول : إنّ كون الإرادة أمراً زائداً على الداعى ليس بُعقل إلا أن يكون ميلاً فى القلب وتشوقاً فى النفس وتوقاناً من جهتها إلى مرادها وهذا المعنى مستحيل فى حقه تعالى ، ولهذا قلنا إن معنى الإرادة ليس فى حقه تعالى أمراً زائداً على محل الداعى . . . الخ . »

أما تفسير المجبرة لبعض المتشابه من الآيات القرآنية كالهُدى والضلال والفتنة على غرار قواعدهم التى بنوا عليها مذهبهم الفاسد فى نسبة كل ذلك إلى الله ، فقد جاء فى الأساس ما يلى : والهدى بمعنى الدعاء إلى الخير ومن ذلك قوله تعالى « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » أى دعوناهم إلى الخير ، وبمعنى زيادة البصيرة وتنوير القلب بزيادة فى العقل ، ومنه قوله تعالى « والذين اهتدوا زادهم هدى » ومثله قوله تعالى « إن تتقوا يجعل لكم فرقاناً » أى تنويراً تفرقون به بين الحق والباطل ، وبمعنى الثواب ، قال تعالى « يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار » ، وبمعنى الحكم والتسمية قال الشاعر :

ما زال يُهدى قومه ويضلنا جهراً وينسبنا إلى الفجار

أى يحكم على قومه بالهدى ويسميهم به ويحكم علينا بالضلال ويسمينا به ، فيجوز أن يقال إن الله لا يهدى القوم الظالمين بمعنى لا يزيدهم بصيرةً ولا تنويراً فى قلوبهم لمّا لم يتبصروا ، ولا يثيبهم أو لا يحكم لهم بالهدى

ولا يسميهم به لا بمعنى أنه لا يهديهم إلى الخير ، وهذا ما عليه العدلية خلافاً للمجبرة ، وفيه ردّ لما علم من الدين ضرورة .

والضلال : بمعنى الهلاك ، قال تعالى : «أإذا ضللنا فى الأرض» ، وبمعنى العذاب قال تعالى : « إن المجرمين فى ضلال وسُعُر » وبمعنى الغواية عن أوضح الطرق قال تعالى : « وأضل فرعون قومه وما هدى » أى أغواهم عن طريق الحق ، والإضلال بمعنى الإهلاك والتعذيب والإغواء كما مرّ . وبمعنى الحكم والتسمية لقول الشاعر « ما زال يهدى قومه ويضلنا . البيت» ، فيجوز أن يقال إن الله يضل الظالمين بمعنى يحكم عليهم بالضلال ويسميهم به لمّا ضلوا عن طريق الحق ، وبمعنى يهلكهم ويعذبهم لا بمعنى يغويهم عن طريق الحق، خلافاً للمجبرة فإنهم جوزوا ذلك جرياً على منهاجهم الجائر من عدم التحاشى عن سبه تعالى ونسبة القبائح إليه تعالى عنها .

والإغواء : بمعنى الصرف عن واضح الطريق ، ويقال : أغوى الفصيل إذا أتعبه بحبسه عن الماء واللبن ، وبمعنى الحكم والتسمية فيجوز أن يقال إن الله أغوى الضُلاّل بمعنى حكم عليهم وسماهم به لمّا غووا عن طريق الحق ، ويغويهم فى الآخرة بمن تبعهم جزاء أعمالهم ، لا بمعنى صرفهم عن طريق الحق وهذا ما عليه العدلية خلافاً للمجبرة .

والفتنة : فى كلام العرب بمعنى المحنة كما قال (ص): « ستأتى فتن كقطع الليل المظلم فيظن المؤمنون أنهم هالكون عندها ، ثم يكشفها بنا أهل البيت. الخبر » وبمعنى الاختبار كقوله تعالى : « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا . الآية » ، أى اختبرناهم بالتكاليف والشدائد . وبمعنى الإضلال عن طريق الحق كما قال تعالى : « ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم » ، وبمعنى العذاب كقوله تعالى : « يوم هم على النار يفتنون ».

فيجوز أن يقال : فتن الله المكلفين بمعنى إختبرهم بالتكاليف والشدائد ، ويفتن المسخوط عليهم بمعنى يعذبهم لا بمعنى يضلهم عن طريق الحق وهذا ما عليه العدلية خلافاً للمجبرة » .

القدر :

والقدرية عندهم مجسوس هذه الأمة كما جاء فى الحديث الشريف وهم (المجبرة) لأنهم يقولون بأن المعاصى بقدر الله ، والزيدية ينفون ذلك ، والنسبة فى لغة العرب من الإثبات لا من النفى ، كثنوى لمن أثبت إلـهاً مع الله لا لمن ينفيه ، فإن قيل هو منسوب إلى القدرة قلنا فالنسبة حينئذ قُدُرى ، ومع هذا فإن اسم القدرية لا ينطبق إلا على من يقول بالقدر وهم « المجبرة » لا على من ينفيه وهم « العدلية » .

والله سبحانه لا يثيب أحداً إلا بعمله ولا يعاقبه إلا بذنبه ، بخلاف المجبرة التى تقول : يجوز أن يعاقب الله الأنبياء ويثيب الأشقياء كما يجوز أن يخلق حيواناً فى نار جهنم يعذبه ابتداء من غير استحقاق قالوا : وهو عدل منه تعالى لأنه مالك يفعل فى ملكه ماشاء ، وقد ردّ الزيدية على قولهم هذا بما جاء فى الأساس : قلنا من أهان وليه وأعزّ عدوه فلا شك فى سخفته والله سبحانه متعال عن ذلك ، كما أن ذلك شك فى آيات الوعد والوعيد لقوله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار الآية » وقالت الحشوية وفرقة من المجبرة : ويعذب الله أطفال المشركين بفعل آبائهم القبائح .. ، قلنا ذلك ظلم «ولا يظلم ربك احداً» .

الأجل :

قال مؤلف الأساس والأجل وقت ذهاب الحياة ، وهو واحد إن كان

ذهابها بالموت ، وهذا القول يتفق عليه جميع علماء الإسلام ، أما عند ذهابها بالقتل فهو أجلان عند بعض أئمة الزيدية ، أحدهما : خرم وهو الذى قتل فيه المقتول ، وسمى خرماً لأن القاتل خرم عمره أى قطعه بما مكنه الله من القدرة ولم يمنعه الله من ذلك بل خلاّ بينه وبينه لمصلحة الابتلاء والتمكين ، والثانى « مسمّى » أى مقدور ومفروض ، وهو الذى لو سلم المقتول من القتل لعاش حتى يبلغه ويموت فيه ، أما البعض الآخر من أئمة الزيدية كالمهدى وأتباعه كالقرشى والرصاص وغيرهم كقاضى القضاة عبد الجبار وأبو على والبهشمية فيقولون بأنه لايُقطع بأن المقتول لولم يُقتل لعاش ولكنهم سلموا بهذا التجويز بشرط أن يكون قبل وقوع القتل بمعنى أنه يجوّز موته وحياته لو سلم من القتل أما بعده فلا يجوّز إذ قد حصل موته بالقتل ، أما المجبرة والحشوية ومن وافقهم كأبى الهذيل فلا يجوزون حياته لا قبل الموت ولا بعده،قالوا لأنه لو لم يُقتل لمات قطعاً فى الوقت الذى قتل فيه.

وحجة الفريق الأول من الزيدية قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة » وهو نص صريح بأن القتل خرم إذ لو ترك المقتول القتل خشية القصاص من قاتله لعاش أى المقتول ، ولو ترك المقتص منه وهو القاتل القتل الموجب للقصاص لعاش قطعاً . قال الإمام الهادى رضى الله عنه فى معنى الآية : « هو ما يداخل الظالمين من الخوف من القصاص فيرتدعون عن ذلك إذا علموا أنهم بمن يقتلون يُقتلون وبإبادته بحكم الله يُبادون » .

ودليل الزيدية فى الأجل (المسمّى) قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام وقومه : « ويؤخركم إلى أجلٍ مسمّى إن أجل الله إذا جاء لايؤخر » ، فالمعنى إنْ هم أطاعوه أخرهم إلى أجل مسمى وهو أجل الموت الذى لايؤخر ، وإن عصوه اخترمهم الأجل ، وهكذا فإنهم لو آمنوا لما أغرقوا » .

فناء العالم :

ولا خلاف بين علماء الإسلام فيه وإنما اختلفوا فى كيفيته . وللامام الهادى رضى الله عنه قول مستفيض فى الموضوع أورده فى كتابه « البالغ المدرك » قال : « فلما تصرمت أعمال المطيعين ولم يثابوا وانقضت آجال العاصين ولم يعاقبوا وجب اطراداً للحكمة أن داراً بعد هذه الدار يُثاب فيها المطيعون ويعاقب فيها المسيئون وهذه أمور أوحتها الفطرة واستحقت بالإيمان وجاءت بها الكتب السماوية . . . الخ» . ومثله كلام الامام أحمد بن سليمان وغيره ، وروى أن عبد المطلب — وكان مقراً بفطرته بالله وبالبعث — كان يقول : لن يخرج من الدنيا ظالم حتى ينتقم الله منه ، فقيل له إن فلاناً ـ وهو أحد الظالمين ـ مات حتف أنفه فأطرق ساعة وقال : لابد من دار غير هذه الدار يُجزى فيها المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته . فهذا مما أوحته الفطرة التى أشار إليها الإمام الهادى عليه السلام .

أما كيفية فناء العالم فقالوا بإعدامه كأن لم يكن وقال الجاحظ،والكرامية المجبرة : محال إعدامه وإنما فناؤه عندهم بمعنى التمزق والتبدد أى بواسطة المؤثر، وقد ردّ الإمام الهادى عليه السلام على هؤلاء بقوله : « واحتجوا بأن انتفاء العالم لوصح فإنه لا يخلو من مؤثر أولا ، ومحال أن يكون انتفاؤه لا لمؤثر وذلك معلوم بالضرورة ، وإن كان انتفاؤه لمؤثر فلا يخلو إما أن يكون موجباً أو مختاراً ، ومحال أن يكون موجباً لأن ذلك الموجب ليس إلا طرف ضدّ وهو الفناء والقول به باطل ...الخ » وقال الإمام القاسم:«قلنا ردّاً على الجاحظ ومن تبعه : إنتفاء العالم إعدامه لمؤثر مختار هو الله سبحانه وتعالى ، فكما ابتدعه واخترعه لا من شىء كذلك يعيدهُ نفياً محضاً ولا شىء حينئذ إلا الله الواحد القهار كذهاب المصباح والسحاب ، فإن ذلك يصير نفياً محضا ، عدماً بعد

أن كان جسما ، وذلك مشاهد بالضرورة ، فإن قالوا إن أجزاء المصباح والسحاب لم تصر عدما وإنما تفرقت وتبددت فى الآفاق ، قلنا : هذا خلاف المعلوم ، وليس إرجاع الأجسام إلى العدم المحض بأعجب من خلقها من العدم المحض » .

وأورد دليلا على ذلك قوله تعالى : «هو الأول والآخر . الآية» فمعنى «الأول» أنه تعالى المتفرد بالألوهية أى كان ولا كائن غيره إتفاقا ، فكذلك يكون معنى قوله تعالى « والآخر » أى المتفرد بالآخرية والباقى بعد فناء كل شىء وإعدامه ،ولو كان الإفناء بمعنى التبديد والتفريق لما صدق عليه قوله تعالى الآخر أى المتفرد بالآخرية لأنه حينئذ قد شاركه فى هذه الصفة الأجسام المتبددة، ولا يُعقل معنى «الإعادة» فى قوله تعالى فى آية أخرى : «وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده » إلا بعد الإعدام النهائى ، وقول الامام على كرم الله وجهه فى خطبة له من خطبه التوحيدية : « فهو المفنى لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها ، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها » .

الرزق :

والوجه فى ذكره أنه من أفعال الله تعالى الدالة على عدله وحكمته ، وفيه مصالح الخلق ومنافعهم ، فهو من أصول النعم التى تفرد الله بخلقها ، ويعرفه الزيدية بقولهم « والرزق الحلال من المنافع والملاذ » وتقييدهم ذلك بالحلال لأنهم يقولون إن الحرام ليس برزق ، بخلاف المجبرة فيقولون إن الحرام رزق جريا على قاعدتهم فى الجبر ،ودليل االزيديه فى ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يسم رزقا إلا ما أباحه دون ما حرمه قال تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً » أى خمراً فلم يسمه رزقاً « ورزقاً حسناً » أى خلاً وعنباً وتمراً ، فسمّى كلما ينتفع به رزقاً وهو الحلال أما الحرام فلا ينتفع به .

والإجماع من الأمة على أن العاصى يملك ما كسبه من الحلال وأنه يحرم اغتصابه إلا بحق .

وكلما ورد الشرع بتحريمه فلا يحل تناوله عند الزيدية بخلاف ما ذهبت إليه الإباحية كالباطنية والثنوية وبعض الصوفية ؛ لأنهم يستحلون كلما علم من الدين تحريمه من الأموال والفروج وغير ذلك من سائر المحرمات كالزناء واللواط والتدفيف والغناء والزمر والرقص وغير ذلك إلا القتل فإنهم لا يجيزونه قالوا : لأن المال مال الله لا ملك للمخلوق فيه والعبد عبد الله فيحل لعبده تناول ماله ، وقالوا إن تناول النكاح من زناء وغيره يحبه الله لحلوله تعالى فى ذلك المنكوح بناء على أن الله يحل فى الصور الحسان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » .

وهؤلاء يتناولون الآيات الواردة فى تحريم ذلك ويؤولونها على ما يحبون ويطابق هواهم لأنهم باطنية ، فهم لا يتقيدون بشىء من الشرائع ، فهم فى الحقيقة من فرق الملحدين نحو تأويلهم قوله (ص) : « لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل » بأن الولى الذكر وشاهدى العدل الخصيتان ، وذلك منهم مجرد إلحاد وردٌ ما علم من الدين ضرورةً فهو تكذيب لله ولرسوله[1] » .

وما حيز من مباح أو بتكسب مشروع نحو الشراء والإتهاب والإجازة ونحو ذلك فهو ملك من حازه ، وقالت المطرفية : « لا ملك لعاص فيما حازه العاصى فهو مغتصب له ، لأن الله لم يأذن له فى تناول شىء من رزقه ، وقد رد الإمام القاسم على ذلك مستشهداً بآيات كثيرة منها قوله تعالى : « نحن نرزقكم وإياهم » وقوله تعالى : «ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم»

---

(١) الأساس

وهنا لا بد من الوقوف برهةً للنظر فى مفهوم اشتراط الزيدية الحلال من الرزق ، إذ المفهوم من عبارة « الأساس » وغيره أن ما جمع من الحرام أو الشبهات وغير ذلك من وجوه التكسب غير المشروع للخليفة مصادرته ولا شك فى وضوح فائدة هذا من الناحية الاجتماعية ، لأن جمع المال من المصادر الغير صحيحة كالرشوة والرباء والاحتكار والتحايل فيه نوع من الإخلال بالعدالة الاجتماعية وسبيل إلى الرأسمالية الطاغية التى تتعارض فى مبادئها وغاياتها مع مبادىء الإسلام وغاياته، لما ينشأ عنها من سيطرة الإنسان على أخيه الانسان وتسلطه عليه وتحكمه فى مصيره ، وإيجاد جوٍّ يسوده النفوذ المالى والجاه وتبادل المصالح الشخصية على حساب الضعيف والكادح .

وكثيراً ما أدى جشع الرأسماليين الذين تضخمت ثرواتهم من دماء شعوبهم ونازعتهم أنفسهم إلى ما هو أضخم وأكثر وهو إذلال تلك الشعوب وإثارة الويلات فيها والحروب ، وقديماً أطلق على أمثال هؤلاء « تجار الحروب » ، لأنه لا يهمهم من جثث القتلى وأشلاء الضحايا أكثر ما يهمهم من تضخم الدخل الشخصى وتنمية موارده .

وهذا فى نظرى أعظم خطراً على الأوطان والمجتمعات من الشيوعية والإلحاد ، لأن خطر هذين لا يمس إلا العقيدة ، وفى إمكان المجتمع الصالح أن يدرأ هذا الخطر ويتخذ له احتياطاته ، أما الخطر الرأسمالى فهو كالكابوس على رؤوس الجماهير والجاثم فى صدورهم لا يستطيعون منه حراكاً ولا يطيقون منه إفلاتاً ، إلا إذا فطنوا له قبل رسوخ أقدامه ، وتضامنوا على دفعه قبل استفحاله .

نظرية المذهب الزيدى حول الامامة :

قال العلامة الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » : « وأعظم خلاف

بين الأمة خلاف « الإمامة » ، إذ ما سُل سيف فى الاسلام فى قاعدة دينية مثلما سل على « الإمامة » فى كل زمان » .

وهذا القول يوحى — وكما ينبئنا التاريخ الاسلامى — بأن النزاع بين صفوف المسلمين قد نشأ منذ وفاة النبى (ص) حتى اليوم ، مما كان له أكبر الأثر وأعظم الخطر فى تاريخ الأمة الاسلامية ، ذلك لأن النبى (ص) مات ولم يوصِ أصحابه بشيء فى الموضوع ولم يرشح أحداً ليكون خليفةً له ، لئلا تكون كسروية أو قيصرية.

ولكن فرقة واحدة — وهى أول فرقة نشأت فى التاريخ الإسلامى وهى الشيعة — قد برزت إلى ميدان الصراع حول الامامة حاملةً الكثير من الأدلة العلمية والحجج المنطقية التى كان لها صداها العميق لدى غيرها من الفرق كالسنية والمعتزلة والأشعرية وغيرها ، مما فجر ينابيع الكلام لدى متكلمى الشيعة والمعتزلة ، وفتح الباب لأبحاث علمية واسعة ومؤلفات منطقية عديدة .

لقد قيلت فى الإمامة أقوال مختلفة ، وتناولها عدد من الكتاب القدماء والمعاصرين بالبحث العميق والدراسة الفاحصة وقد سبق إيضاح نظريات الشيعة الامامية فى الباب الثانى ، إلا أن نظريات الشيعة الزيدية ، وهى إحدى طوائف الشيعة الكبرى ، وعلومها تعتبر بلا شك من أهم التراث الاسلامى ، لم تحظ من الكتاب المعاصرين بأى بحث يوضح آراءهم عنها ونظرياتهم حولها .

ونحن وقد أوضحنا آراء الزيدية فى مواضيع أصول الدين كلها بقى هنالك فصل هام يعتبرونه كما قال شارح الأساس : « من أكبر مسائل أصول الدين وأهمها لأنه يترتب عليه طاعة الله وطاعة رسوله والقيام بالشرائع والجهاد والموالاة والمعاداة والحدود وغير ذلك ، ولذلك أوجبوا معرفتها على كل مكلف لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وقوله (ص) « من مات لايعرف إمامه مات ميتةً جاهليةً » ، وهذا

الخبر عندهم متلقى بالقبول ذكر ذلك الامام القاسم بن ابراهيم فى كتابه « نسب الإمامة » وروى الامام الناصر للحق عن ابراهيم بن الله عبد بن الحسن بن الحسن عليهم السلام أنه سئل عن معنى هذا الخبر فقال: أراد (ص) من مات ولم يعرف إمامه عادلاً فيتبعه أو جائراً فيجتنبه مات ميتة جاهلية . . . . إلى آخر ماذكره الشارح » .

بهذه الأدلة وأمثالها استدل الزيدية على أهمية الامامة وأوجبوا معرفتها على كل مكلف وأفردوا لها فصولاً خاصة فى مؤلفاتهم الكلامية، شأنهم فى ذلك شأن بقية الفرق الأخرى من الشيعة الذين قال فيهم الدكتور ضياء الدين الريّس فى كتابه : النظريات السياسية الاسلامية ما يلى :

« وهم أول من كتب عن الإمامة كتابةً علمية وأول من تصدّى إلى إثبات مذهبهم بالأدلة المنطقية سواء كانت الأدلة مبنيّة على أساسٍ «دينى» ثيولوجى أو «عقلى» ، فالشيعة لهم الفضل فى خلق هذا النوع من العلم المسمى بالإمامة ، هم الذين أوجدوه وأفردوا له مكاناً بين مباحث علم الكلام ، وإذا كان من المعروف أن علم الكلام فيما يختص بالعقائد الدينية ، إنما نشأ كنتيجة للمناقشة بين الشيعة والمعتزلة وأهل الحديث فكذلك مباحث الإمامة — وهى الجانب السياسى منه — إنما وجدت نتيجة للنقاش بين الشيعة ومخالفيهم من خوارج ومعتزلة وأهل سنة»(١) .

ولكنا عندما نقارن بين آراء الشيعة الإمامية ونميز بين الطابع الذى طبعوا عليه فلسفتهم حول الإمامة وبين فلسفة الزيدية فى ذات الموضوع نجد أن هنالك فارقاً جسيما وبوناً شاسعا بين كلا الطائفتين الأمر الذى جعل المهتمين بدراسات التاريخ الإسلامى أخيراً يولون آراء الأخيرة إهتماماخاصامن الناحية العلمية ، ذلك لأن هذه الآراء لم تخرج بعد إلى حيز النشر بسبب العزلة التى مُنيت بها اليمن منذ قديم الزمن .

---

(١) ص (٨١) .

ونظراً لما أوضحناه قبل هذا عن آراء الزيدية فى أصول الدين وما سنأتى به من آرائهم فى أصول الفقه نجد أن مسئلة الإمامة هى الموضوع الوحيد الذى ألحقت به الزيدية بالشيعة فى التسمية ، إلا أن جمهور الزيدية ينزهون معتقداتهم عن معظم معتقدات الشيعة إن لم نقل كلها من المبالغات والغلو وغير ذلك مما أسلفنا ذكره ، وهذا هو ما جعل الزيدية يطلقون على أنفسهم «صفوة الشيعة» وهذا لا يعنى إتفاق كل علماء الزيدية على رأى واحد ، كما رأيت قبل هذا وكما سترى حول الإمامة .

والباحث المدقق يجد أن الزيدية لا ينتمون أيضا إلى المعتزلة ولا يعتبرون أنفسهم طائفةً منها أو خريجى مدرستها كما زعم بعض علماء الفرق الاسلامية ، وذلك لما رأيت من مخالفتهم لهم فى كثير من مسائل الأصول الدينية .

ومن ثمة فيمكننا القول بأن مذهب الزيدية مذهب مستقل أوجد فيه الاجتهاد وتوسع النظر مسرحا واسعاً لتطور آرائهم العقائدية والفقهية ، ذلك التطور الذى يجعلنا نؤمن بأن تراثهم العلمى الاسلامى تراث حى ، جدير بعناية الباحثين .

شروط الإمامة :

إشتهر الزيدية بتشددهم فى إختيار الإمام ، ولذلك وضعوا لصحة الإمامة أربعة عشر شرطاً نذكر منها ما يلى :

(١) البلوغ (٢) العقل (٣) الذكورة (٤) الحرية (٥) المنصب وهو عندهم الانتساب إلى الإمام على كرم الله وجهه والحسنين وفى أهل البيت بعدهما، مستدلين بقوله (ص) « الأئمة فى قريش فى هذا البطن من هاشم » وإجماع أهل البيت على ذلك ، لأن إجماعهم حجة عند الزيدية كما سيأتى فى كلامنا

على (الاجماع) بعد هذا ، وهذا خلاف ماذهبت إليه المعتزلة جميعاً والأشعرية، فإنهم يقولون بأن منصبها كل قرشي لقوله (ص) « الأئمة فى قريش » ، وقوله (ص): «قدموا قريشاً ولا تقدموا عليها» . وهنا لك من يقول بأن الإمامة تصح فى جميع الناس كالنظّام ونشوان بن سعيد الحميرى وبعض الحشوية . (٦) الإجتهاد، وقد قال الامام يحيى بن حمزة من الزيدية بأن التقليد كاف عند عدم المجتهد للضرورة . (٧) الورع وحقيقته إتيان الواجبات واجتناب القبحات . (٨) الشجاعة ، وهى أن يكون له من رباطة الجأش ما يتمكن معه من تدبير الحروب عند فشل الجموع لئلا تتحطم جيوش المسلمين (٩) القدرة على القيام بثمرة الإمامة وهى صلاح العامة والخاصة ، ووضع الحقوق فى مواضعها ... الخ .

وأوجبوا على الإمام سبعة أمور وهى :

(١) إقامة الجمعات، والحدود، ونصب الحكام ، وتنفيذ الأحكام ، ونصب الولاة للمصالح والأيتام ، وغزو الكفار والبغاة إلى ديارهم وأخذ الحقوق كرهاً .

(٢) تسهيل الحجاب حتى يتصل به الضعفاء والمساكين لقضاء حوائجهم.

(٣) تقريب أهل الفضل وتعظيمهم واستشارتهم .

(٤) تعهد الضعفاء والمصالح .

(٥) ألا يتنحى ما وجَدَ ناصراً من المسلمين لا من غيرهم ، إلا لأنهض منه ، فحينئذ يجب التنحى له رعايةً للمصلحة .

(٦) أن يؤمِّر على السرية أميراً صالحاً لها .

(٧) تقديم دعاء الكفار إلى الاسلام قبل مقاتلتهم ، وتقديم دعاء البغاة إلى الطاعة فإن أبو اوجَبَ الحرب إن ظن الغَلَب .

ولا يصح إمامان فى وقت واحد لإجماع يوم السقيفة ، وقال المؤيد بالله الآتية ترجمته يجوز إذا تباعدت الديار فإن اتفقا سلم المفضول للأفضل .

وأجمعت الزيدية على أن معرفة الامام علىّ واجبة على كل مكلف ، أما فى حكم من تقدمه من الخلفاء الثلاثة فزيدية اليمن لا تنكر عليهم شيئاً فى ذلك لجواز قيام المفضول عند وجود الأفضل للمصلحة ولمبايعة الامام على لهم ، ومنهم من يوقف تخطئتهم على علمهم أى أنهم إذا كانوا غير عالمين باستحقاقه دونهم بعد التحرى فلا إثم عليهم — وإن أخطأوا — لأن كل مجتهد مصيب ، وإلا فخطيئتهم كبيرة ، وهذا هو قول الامام القاسم بن محمد فى كتابه الأساس . أما الجارودية والصالحية ـ وهما من فرق الزيدية ـ وقد ظهرتا بالعراق ـ فتقولان بأن الأمة ضلت وكفرت فى تركها بيعته ، ولم يخطئو أبا بكر وعمر لسكوت الامام على .

الزيدية مذهب ثورى :

يستنتج من الفصول المتقدمة أن أيدلوجية المذهب الزيدى تنطوى على أهداف أكثر تحرراً وثوريةً ، فقد قامت فلسفته فى دعم الاسلام ونشر الأحكام ومحو الظلم وتدمير الفساد ، على الثورة ، لأن الثورة وحدها هى السبيل إلى حياة الشعوب ، وإلى نشر العدل والمساواة بين أفراد المجتمع الاسلامى . ولهذا نجد آراء المذهب تهدف إلى الثورة فى كل شىء ، أولاً فى إنكار الجور أياً كان والخروج على الظلمة مهما كان نوعهم ، ثم إلى الديموقراطية الكاملة فى اختيار الامام ، بغض النظر عما يشترطونه من المنصب ، ثم إلى قانونهم فى وجوب البحث والنظر والاجتهاد وتخليص الفكر الاسلامى من التقليد والجمود .

وإذا ما قارنا بين قوانينهم فى الإمامة وبين النظم العصرية كالنظام الجمهورى — الشعبى الصحيح — مثلا وجدناها متقاربة نوعاً مّا مع اختلاف بسيط فى الأخير كان نتيجة التطور الزمنى مما صيره أوسع ديموقراطية وأكثر شمولاً ، فبينما تقتصر الزيدية فى صحة الإمامة على موافقة أهل الحل والعقد ،

فإن النظام الجمهورى جاء أكثر تشدداً باشتراطه موافقة الأمة كلها أو غالبيتها ، وبينما تقتصر الزيدية على إمامة الفاطمى فقط — والخلاف فى ذلك بين المذاهب كما قد رأيت — إذا بالنظام الجمهورى يتيح لكل فرد من أفراد الأمة فرصة رئاسة الأمة إن كان صالحاً بدليل قوله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ولأن الاسلام لم يفرق بين الناس إلا بتقوى الله ، لقوله (ص) « ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى » ، مع ميزات أخرى يعرفها كل من تخلص من أغلال العصبية والهوى ، على أنا لو أردنا الآن أن نطبق شروط الزيدية فى اختيار الامام لما وجدنا أى شخص على وجه الأرض يصلح أن يكون إماماً لتعذر إحرازه لبعض الشروط فضلاً عن كلها .

وبمناسبة تعرضنا لموضوع الامامة لا يفوتنى هنا أن أقول بأن الزيدية المتأخرين قد تساهلوا كثيراً فى تطبيق مذهبهم فى شروط الامامة ، وهذا فى نظرى أهم الأسباب التى أدت إلى ركود البلاد وتأخرها عن ركب الحياة الجديدة الذى بدأت الأقطار العربية والاسلامية تسير فيه ، ونعنى بالزيدية هنا أهل الحلّ والعقد الذين كان يقوم على عواتقهم مهمة اختيار الامام ؛ والذين شاركوا الامامة — إما بعامل الرغبة أو الرهبة — فى دهورة الوضع وتخلف البلد ، فبمقدار ما كان الانحراف من المسئولين يربو ويطفو إلى السطح كانت الميوعة والاستخذاء من العلماء وأهل الحل والعقد تسير بهم من سيّء إلى أسوأ ، وإن كان قد قيل إن الجسد لا يصلح مع فساد الرأس فلعمرى أن العكس مثله ، ولا غرو فإن المجتمع الرفيع أو ضده هو الذى يجمل زعيمه أو قائده إما صالحاً أو فاسداً ، مصداقَ قوله (ص) « كيفما تكونوا يول عليكم » .

ويبدو لى أن المسئولية فى ذلك تنصب على عاتق العلماء — إن كان هنالك علماء بالمعنى الصحيح — وإلا فإن صروح الظلم والظلام لا تقوم إلا على أكتاف محترفى

العلم ومدعى الفضل ومن ينطبق عليهم قول الشاعر :

صلاته القوس والتسبيح أسهمه　　وصومه سيفه والمصحف الدرقة

ولقد قرأنا فى الماضى أنّ كثيراً من علماء صنعاء كانوا لا يسمعون بقدوم أية حملة تركية لغزو اليمن إلا ويتسابقون للقاء قائد الحملة إلى (مناخة)[1] و (عصر)[2]، كما شاهدنا العديد من أكابرهم يرحل إلى الإمام أحمد من أجل أن يقدم له قصيدة أو يزف إليه تهنئة ، ثم يمثل بين يديه فى جلسة واحدة قابل فيها الناس بعد احتجابه الأسابيع والشهور فترى هذا العالم لا يخوض فى أية نصيحة أو يتكلم بأى كلام يعود بالخير على الأمة والصالح العام .

وهنا لا بد لى من تسجيل حقيقة واقعة تؤيد بعض ما ذكرناه، وهى أن بلغ الحال ببعض أولئك (الأعلام) إلى أن اتصل بى عدد منهم بعد صدور كتابى (اليمن عبر التاريخ) ، وكانوا يشكلون فريقين : فريق يستنكر تخطئتى لبعض الحكام السابقين ، لا لشىء ، ومع اعترافه قولاً وتشهيره بذلك إذاعةً وخطابةً ، أما الفريق الثانى فيستنكر إغماطى اللاحقين فى جهودهم وعدم الإشادة بتضحياتهم ، على حد قوله ، لا لشىء ومع وقوفه على حقائق ما يجرى ، ولكن لأنه استطاع ثانية بوصوليته وتزلفه من الدخول فى صفوف الأحرار والاختلاط بهم إختلاط المرعى بالهمل والخاثر بالزّباد ، وهكذا فعل غيره ممن كان كراعاً فصار ذراعاً ، وأصبح بلاء على الثورة والثائرين .

أما الفريق الأول فقلنا لهم : إن كلمة الحق وقول الصدق أبقى عند الله وعند الناس من كل شىء ، وهذا التاريخ لا يهاب جباراً عنيداً ولا متصرفاً بليدا.

وأما الفريق الثانى فقلنا لهم : إن هذا الكتاب نشر عقيب الثورة بشهر واحد وهو وقت لا يسمح بمعرفه بعض هؤلاء الأشخاص فضلاً عن التحدث

---

(١) مدينة تبعد عن صنعاء غرباً ٥٥ كم . (٢) قرية بضاحية صنعاء الغربية

عن جهودهم وتضحياتهم ، وهذا يتوقف على ما سيسجله التاريخ لأنه كاتب أمين وحاسب مدقق ، ولئن كنتُ فى يوم مَّا مغروراً بالدعايات ومستهوىً بكثرة الإدِّعات :

فلست أول سارٍ غرَّه قمر ورائد أعجبته خضرة الدِّمن

مؤلفات الزيدية فى علم الـكلام :

إلى هنا ينتهى كلامنا عن « أصول الدين » أو « علم الـكلام » عند الزيدية ، ومن أراد الاطلاع على المزيد من ذلك فليرجع إلى مؤلفاتهم الأخرى المطولة والمختصرة وهى كثيرة جدًّا وأهمها :

(١) البالغ المدرك (٢) إثبات النبوءة (٣) تثبيت الإمامة (٤) المرشد (٥) مسائل الرازى (٦) مسائل الطبريين (٧) الجملة والديانة — للإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين[1] .

(٨) الأصول فى العدل والتوحيد (٩) كتاب النبوءة (١٠) كتاب فضائل أمير المؤمنين (١١) كتاب الرد على الروافض (١٢) كتاب الرد على القرامطة أتباع على بن الفضل (١٣) كتاب الايضاح والنوازل للإمام المرتضى محمد بن الهادى .

(١٤) الأصول فى ثلاثة عشر مجلدات (١٥) الدامغ (١٦) التوحيد (١٧) التنبيه (١٨) مسائل الطبريين (١٩) كتاب الرد على القدرية (٢٠) كتاب الرد على الاباضية — للامام الناصر أحمد بن الهادى .

(٢١) التنبيه والدلائل (٢٢) الرد على الأباضية — للإمام القاسم العيانى .

(٢٣) كتاب المعرفة (٢٤) الحكمة الدرِّية (٢٥) الرسالة الصادقة — للإمام أحمد بن سليمان .

---

(١) ستأتى ترجمته مع غيره بعد هذا فى : «طبقات الزيدية وأعلامها» .

(٢٦) الشافى فى أربعة مجلدات (٢٧) المهذب (٢٨) كتاب زيادة الأدلة العقلية (٢٩) صفوة الاختيارات (٣٠) الجوهرة (٣١) الرسالة الفاصحة بالأدلة الواضحة فى مجلدين (٣٢) الدرة الثمينة (٣٣) الأجوبة الكافية (٣٤) الرسالة الرافعة للأشكال والفاتحة للأقفال (٣٥) الرسالة المثيرة فى ترك الاعتراض على السيرة — للامام المنصور بالله عبدالله بن حمزة .

(٣٦) العمدة (٣٧) النصيحة (٣٨) عقيدة الآل (٣٩) الوسيط (٤٠) الحسام (٤١) الردّ على الباطنية — لحميد الشهيد المحلى .

(٤٢) الجوهرة وشرحها للقاضى عبد الله الدوّاري الصعدى (٤٣) التذكرة للشيخ أحمد الرصاص (٤٤) العقد الثمين للشيخ محمد بن حاتم وشرحه للقاضى محمد بن يحيى مداعس (٤٥) الإرشاد إلى سوىّ الاعتقاد (٤٦) ينابيع النصيحة فى العقائد الصحيحة (٤٧) العقد الثمين فى معرفة رب العالمين (٤٨) المدخل (٤٩) الذريعة (٥٠) الضياء البادىء — للأمير الحسين صاحب الشفاء .

(٥١) الشامل ثلاثة مجلدات (٥٢) نهاية الوصول إلى علم الأصول . ثلاثة مجلدات (٥٣) التمهيد فى علوم العدل والتوحيد فى ثلاثة مجلدات (٥٤) التحقيق فى الإكفار والتفسيق (٥٥) المعالم الدينية (٥٦) الحاوى فى ثلاثة مجلدات (٥٧) المعيار (٥٨) القسطاس (٥٩) الاختيارات فى مجلدين (٦٠) القاطع للتمويه عما يرد عن الحكمة والتنزيه (٦١) الجوابات الوافية بالبراهين الشافية (٦٢) الرسالة الوازعة لذوى الألباب عن فرط الشك والارتياب (٦٣) عقد اللآلى فى الردّ على أبى حامد الغزالى — للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزه .

(٦٤) نكت الفرائد فى معرفة الملك الواحد وشرحها غرر القلائد (٦٥) الملل والنحل وشرحه المنية والأمل (٦٦) رياضة الأفهام فى لطيف الكلام وشرحه

دامغ الأوهام — للامام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى .

(٦٧) الأساس للإمام المنصور بالله القاسم بن محمدوشرحه(عدة الأكياس) للسيد أحمد ابن محمد الشرفى .

(٦٨) كفاية القانع فى معرفة الصانع (٦٩) كتاب الردّ على ابن العربى (٧٠) السيوف المرهفات على من ألحد فى الصفات ـ للسيد الهادى بن ابراهيم الوزير .

(٧١) الجواهر للسيدة دهماء بنت محمد بن المرتضى أخت الامام المهدى .

(٧٢) العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشايخ . (٧٣) الأبحاث المسددة فى فنون متعددة — للقاضى صالح بن مهدى المقبلى .

٢ ـ اصول الفقه

عرّفه صاحب (الغاية)[١] بقوله: هو علم يتوصل به إلى استنباط الأحكام

---

(١) غاية السئول فى علم الأصول للسيد الحسين بن القاسم . قال القاضى محمد بن على الشوكانى فى كتابه « البدر الطالع » فى ترجمته له : « وألف الغاية وشرحها الكتاب المشهور الذى صار الآن مدرس الطلبة وعليه المعول فى(صنعاء) وجهاتها . وهو كتاب نفيس يدل على طول باع مصنفه وقوة ساعده وتبحره فى هذا الفن . إختصره من مختصر المنتهى وشروحه وحواشيه ومن مؤلفات آبائه من الأئمة فى الأصول، وساق الأدلة سوقاً حسناً وجود المباحث واستوفى ما تدعو إليه الحاجة، ولم يكن الآن فى كتب الأصول من مؤلفات أهل اليمن مثله ومع هذا فقد ألفه وهو يقود الجيوش ويحاصر الأتراك فى كل موطن، ويضايقهم ويوردهم المهالك ، ويشن عليهم الغارات ، ولهم معهم ملاحم تذهل المشاهد لبعضها فضلاً عن النظر فى كتاب من كتب العلم فكيف به رحمه الله وهو قائد الجيوش وأمير العساكر فان بعض البعض من هذا يوجد تكدر الذهن وتشوشه ونسيان =

الشرعية من أدلتها التفصيلية كما عرفه صاحب (الفصول اللؤلؤية)[1] و (الكاشف)[2] ، بما يقرب من ذلك .

وقواعد الزيدية فى أصول الفقه لا تقوم على أساس مذهب معين كما هو شأنهم فى أصول الدين ، بل تقوم على « الاجتهاد » المحض ، ولذا فإنها أحيانا تخالف أقوال الإمام زيد بن على نفسه ولكن ذلك لا ينافى انتسابهم إلى مذهبه كما هو الحال عند الشافعية والحنفية وغيرهم . ويكتفى الزيدية فى إنتسابهم إلى الإمام زيد بأمور جوهرية سبق أن أوضحناها فى أول هذا الباب ، وأهمها الثورة فى وجه الظلم وقتال أهل الجور ، أما فى بقية الأحكام الأصولية فيمكن القول عنها بأنها استنباطات من الكتاب والسنة والإجماع والقياس قام بوضعها .

= المخطوطات فضلاً عن تصنيف الدقائق وتحرير الحقائق والمزاحمة لعضد الدين والسعد التفتازانى والاستدراك عليهما وعلى أمثالهما من المشتهرين بتحقيق الفن ، فما هذه إلا شجاعة تتقاعس عنها الشجعان ، ورصانة لا يُقعقع لها بالشنان ، وقوة جنان تبهر الألباب ، وثبات قدم فى العلوم لم يكن لغيره فى حساب ، وما زال رحمه الله مجاهداً وقائماً فى حرب الأتراك تحت راية أبيه الامام المنصور بالله القاسم بن محمد ناشراً للعلوم ، ومحققاً لحدودها والرسوم حتى توفاه الله فى ربيع الآخر سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م) بمدينة (ذمار) ودُفن بها فى قبته المشهورة ، ولهم نظم حسن . . . . ا هـ ص ٢٢٧ جزء (١)

(١) للسيد صارم الدين بن الوزير أحد أعلام اليمن ومبرزيهم فى علوم الاسلام ، وستأتى ترجمته بعد هذا فى « كلامنا عن طبقات الزيدية واعلامها حيث » يتسع المجال للتعريف به والاشارة إلى مؤلفاته .

(٢) عنوان الكتاب : (الكاشف لذوى العقول عن معانى نيل السؤول) للسيد أحمد بن محمد لقمان .

فطاحل الأئمة الزيديين ومجتهديهم ودونوها فى مؤلفاتهم ، وأهم هؤلاء الأئمة المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهارونى ، وأخوه أبو طالب ، والناصر الأطروش والهادى يحيى بن الحسين ، والمؤيد بالله يحيى بن حمزة ، والمنصور عبد الله ابن سليمان ، والمعتضد يحيى بن الحسن ، والمهدى أحمد بن يحيى المرتضى ، والمنصور بالله القاسم بن محمد ، وغيرهم ممن سيأتى ذكرهم فى الفصل الأخير من هذا الكتاب .

والزيدية على الإطلاق لا يقولون بجواز التقليد فى أصول الفقه ، وهذا يرد ما ذهب إليه بعض الأشاعرة من أن الزيدية يقلدون المعتزلة فى أصول الدين والحنفية فى أصول الفقه ، فإنهم كما رأيت فى كلامنا عن عقائدهم فى أصول الدين لم يكونوا فى أية حال مقلدين للمعتزلة بل يوافقونهم فى بعض المسائل ويخالفونهم فى البعض الآخر ، وكذلك حالهم فى أصول الفقه كما سترى.

أما فى الاجتهاد ، فلعمرى أن لهم فيه الحظ الأسمى ويكفى فى ذلك قولهم بوجوبه على كل مسلم ، ولعل عدم اشتهار مذهبهم هذا فى مظان الشهرة والنشر لأسباب سياسية واجتماعية هو الذى جعل منه تابعاً لا متبوعاً .

على أن الباحث المدقق والفاحص المنصف يجد أن فى طبقات الزيدية العدد الكثير ممن ينطبق عليهم شروط ما يسمى عند الأصوليين بـ « الاستقلال الاجتهادى » الذى سنبينه فيما بعد .

وتنقسم أصول الفقه عند الزيدية إلى خمسة أقسام ويطلقون عليها « الأدلة الشرعية » وهى :

(١) القرآن (٢) السنة (٣) الاجماع (٤) القياس (٥) الاجتهاد .

١ — القرآن

وهو المصدر الأول للأدلة ، والمتواتر عند جميع الأمة ، المحفوظ من الله سبحانه عن الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل ، كما قال عز وجل : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، وهو المتواتر تلاوته بين المسلمين ، ويعتبرون البسملة فى أوائل كل سورة قرآناً للأدلة المتظافرة فى ذلك ، وتاركها تارك آية من القرآن ، كما حكى ذلك الطوسى فى تفسيره وأكد إجماع أهل البيت على ذلك .

ومعتمد الزيدية قراءة أهل المدينة ، وهى قراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم ، ويعتبرونها أصح القراءات وأثبتها ، أما بقية القراءات فيقول أكثرهم بتواترها .

والقرآن عندهم قسمان :

(ا) محكم : وهو ما لا يحتمل أكثر من معنى ، أو دل على معانٍ قصر دلالته على بعضها دون البعض الآخر كقوله تعالى « وأمر بالمعروف » ، وهذا القسم من المحكم يسمى «النص» ، وهناك قسم آخر يسمى « الظاهر » وهو أن يكون أحد معانيه أظهر فى فهمه من الآخر لسبقه إلى الفهم .

(ب) متشابه : وهو ما عدا ذلك ، أمّا أهل السنة فانهم يجعلون ما ظاهره يوافق قواعدهم وأصولها التى وضعوها محكماً ، وما خالفها متشابهاً ، كما صرح بذلك الامام القاسم فى « الأساس » .

ويقولون جميعهم بحدوث القرآن ، لأنه مخلوق أوجده الله بعد العدم ، ويوافقون بذلك قول العدلية ، وخالف فيه الأشعرية والحشوية ، فقالوا إنه قديم جرياً على عادتهم[1] .

---

(١) الأساس .

والشاذ معمول به فى القراءات وهو مختار الزيدية والشافعية والحنفية ، كقراءة بن مسعود وحفصة بنت عمر وغيرهما ، قالوا لأن الراوى عدل ، ولا شك أن العدالة توجب القبول .

وللزيدية عدد من مؤلفات التفسير وعلوم القرآن الكريم ، من أشهرها :

(١) البساط للامام الهادى يحي بن الحسين (٢) تفسير القرآن ، لابنه المرتضى فى سبعة مجلدات ، (٣) عقود العقيان فى الناسخ والمنسوخ من القرآن، للإمام محمد بن المطهر ، (٤) إرشاد العنسى للقاضى عبد الله بن زيد العنسى ، (٥) الثمرات فى تفسير آيات الأحكام للقاضى الحافظ يوسف بن أحمد بن عثمان(١)، (٦) تجريد الكشاف للسيد على محمد بن أبى هاشم ، وكذا (٧) التفسير الكبير (٨) الدر الشفاف المنتزع من الكشاف له أيضاً (٩) الفتح القدير للقاضى محمد بن على الشركانى (١٠) شرح الخمسمائة آية .

٢ — السنة

وهى فى اللغة الطريقة وفى الأدلة الشرعية ماصدر عن الرسول عليه السلام من قول أو فعل أو تقرير والأنبياء معصومون عن الكبائر وعمّا فيه خسة من الصغائر ، وكذا فى التبليغ خلافاً للباقلانى فى الكذب سهواً، والتأسى به (ص) واجب لقوله تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » إلا ما وضح فيه أمر الجبلَّة كالأفعال التى هى من ضروريات البشر كالقيام والقعود والأكل والشرب ، أو علم أنه من خصائصه (ص) فإنه لايجب التأسى به فيه ، وذلك كالتهجد والأضحية والضحى والوتر . . . . . أو كان مباحاً فى حقه كالوصال والنكاح بلا مهر وشهود، وإلى تسع ، أو محرماً كخائنة الأعين ونزع لامته حتى يقاتل ونحو ذلك من

(١) خرج أحاديث الثمرات القاضى عبدالله بن محيى الدين الراسى (ت: ١١٨٧هـ) فى مؤلف مفيد

خصائصه (ص)؛ أما تركه فيعرف بالتنصيص ؛ وأما تقريراته فقد بينها صاحب الغاية بقوله : إذا علم الرسول عليه السلام بفعل لم يُعلم إنكاره له فلم ينكره قادراً فإنه يدل على جوازه ، وإن تحريمه له فنسخ .

والطريق إلى العلم بالسنة الأخبار وهى قسمان :

(١) متواتر . (٢) آحاد .

أمّا المتواتر : فهو عندهم ما أفاد العلم الضرورى فلا يتعين له عدد بل يختلف ذلك باختلاف الوقائع والقرائن والمخبرين ، وقد حددهم بعض العلماء من غيرهم خمسه ليخرج الإخبار من دائرة الشهادة ، وبعضهم باثنى عشر بعدد نقباء بنى إسرائيل ، وقيل عشرون لقوله تعالى : « فإن يكن منكم عشرون صابرون . الآية » . وقيل أربعون عدد نصاب الجمعة ، وقيل سبعون لاختيار موسى عليه السلام لهم للعلم بخبرهم إذا رجعوا فأخبروا قومهم . قالت الزيدية : هذا ما لا دليل عليه .

وقد اشتُرط غير هـذه الشروط منها الإسلام والعدالة ، والصحيح أنهما ليسا بشرط بدليل أنا نجد العلم الضرورى بأخبار الملوك والبلدان والنقلة غير ثقات وسواء جوزناهم مؤمنين أو كفاراً أم فساقاً كما اشترطت الإمامية وجود الإمام المعصوم والصحيح أن هذه كلها ليست بشروط لما تقدم .

وأما أخبار الآحاد وحقيقته عند الزيدية ما لا يفيد بنفسه العلم بل بالقرائن الزائدة عليه ، وهم لا يوجبون العمل به إلا سمعاً لا عقلاً كما جاء فى الفصول اللؤلؤية وغاية السؤول وشرحهما ، خلافاً لمذهب الحسن البصرى فإنه يوجبه عقلاً بدليل أن العقل يقضى بوجوب خبر العدل وإن لم يفد إلا الظن ، أما مستند الزيدية فى ذلك فهو احتمال الكذب ، ولهذا فإنها لا تثمر عندهم فيما يتعلق بأصول الدين وأصول الفقه القطعية وأصول الشريعة ، وفيما

يحكم العقل باستحسانه وقبحه ، وأجمعوا على العمل بمقتضاها فيما عدا ذلك بصفتها لا تفيد إلا الظن ، أما فيما تعم به البلوى فيرفضونه ، وذلك لخبر الإمامية الذى رووه فى النص على تعيين الإثنى عشر إماماً ، وكخبر البكرية فى النص على إمامة أبى بكر ، إذ لو صح لعلمه الصحابة جميعا كما صرح بذلك مؤلف (الكاشف)[1].

وللزيدية شروط فى قبول خبر الواحد ، منها ما يرجع إلى المخبر ، ومنها ما يرجع إلى الخبر ، ومنها ما يرجع إلى المخبر عنه .

١ — ما يرجع إلى المخبر وفيه ثلاثة شروط :

(ا) التكليف ، وقت الأداء لا وقت التحمل قياسا على الشهادة ، والمراهق كالمكلف كما قال بذلك المؤيد بالله أحمد بن الحسين وهو موافق لمذهب الحسن البصرى .

(ب) العدالة ، وهى أن يكون الراوى عدلاً ثقةً من المسلمين دون تفريق بين طوائفهم إلا إذا تعارضت الرواية فيعمل برواية أهل البيت عليهم السلام وفى مقدمتهم الإمام على عليه السلام والحسن والحسين والتابعون من ذريتهما . ومبدؤهم حسن الظن بالمسلمين جميعا وتعديلهم كما صرحت بذلك مؤلفاتهم .

(ج) ضبط الراوى لما يرويه فإن كان لا يقدر على الحفظ بل غالب أحواله السهو فلا تقبل روايته .

٢ — ما يرجع إلى الخبر وفيه شرطان :

(ا) عدم مصادمته للدليل القطعى كصرائح الكتاب والسنة المتواترة والإجماع القطعى وما علم بضرورة العقل ، فإن ما صادم هذه لا يُقبل لأن الظنى لا يقوى على مقاومة القطعى .

(١) ص : ٤٦

(ب) فقد استلزام متعلقها الشهرة ، ومعنى ذلك أنه لو ثبت متعلقها أى ما تتعلق به الرواية لاستلزم الشهرة فإذا استلزمها وفقدت لم يقبل، مثال ذلك لو ورد خبر آحادى بصلاة سادسة أو حج ثان فإن ذلك لا يقبل لأنه لو ثبت لاشتهر .

٣ — ما يرجع إلى المخبر عنه :

ومذهب الزيدية فيه التوقيف لأنه محمول على نص سمعه القائل مثال ذلك ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه : « ذو اللسانين فى الدنيا له لسان من نار يوم القيامة » أخرجه ابن عساكر ، وذلك إما أن يكون القائل صحابى من أهل الاجتهاد فالوجه ظاهر ، وإلّا فغير ممتنع أن يكون قد أخذه عن بعض المجتهدين فحكاه ، فلا يكون فى إطلاقه دلالة على أنه قال من جهة التوقيف ، وهذا موافق لقول الحسن البصرى والقاضى عبد الجبار . وبعض أصحاب أبى حنيفة يحملونه على التوقيف من الشارع وليس من الاجتهاد فى شىء .

أما إذا كان من غير الصحابة فله مراتب كل مرتبة أقوى مما بعدها :

(ا) أما لسماعه من شيخ وهذه أقوى المراتب وعليه الزيدية والجمهور ، ورجح أبو حنيفة وغيره القراءة على الشيخ سماعا ، وأن يقول : حدثنا أو أخبرنا.

(ب) القراءة عليه .

(ج) كتابة الشيخ إليه .

(د) إجازته ، والإجازة عندهم كما قال الإمام يحيى بن حمزة ستة أنواع :

١ — العرفية : كأن يقول « حدثنا » أو « أنبأنا » .

٢ — إجازة المعنى : كجميع مروياتى ومسموعاتى .

٣ — إجازة العموم : كأجزت للمسلمين أو لكل أحد . . . الخ .

٤ — إجازة المعلوم : كأجزت لنسل بنى فلان ، أو لمن يوجد منهم .

٥ — المناولة : وصورتها أن يدفع إليه أصل سماعه أو فرعا منه ، ويقول : هذا سماعى أو روايتى عن فلان أجزت لك روايته . . . الخ .

٦ — أو عن خط ،وهو أن يقف على كتاب بخط شيخ فيه أحاديث يرويها، ويسمى « الوجادة »[1] .

المسند والمرسل :

والمسند ثلاثة أقسام :

(١) ما اتصل اسناده إلى النبى (ص) ويسمى مرفوعاً .

(٢) الموقوف : وهو ما توقف اسناده عند أحد من الصحابة .

(٣) المقطوع وهو أن ينقطع السند عند التابعى .

والمرسل هو قول التابعى :قال رسول الله (ص) . وقد اختلف أهل الحديث فى المرسل فقيل : تقبل مراسيل أئمة الحديث الموثوق بهم ، المعروف تحريهم ، وقيل يقبل المرسل ممن عرف أنه لا يرسل إلا عن ثقة كابن المسيب ، والآخر قول الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وذهبت الزيدية والمالكية والحنفية إلى قبول المرسل ، وخالف فى ذلك أكثر المحدثين ، وقد قيل أن أكثر رواية ابن عباس كذلك لصغر سنه وقت رسول الله (ص) ، وأما إجماع التابعين فرواه العلامة محمد بن جرير الطبرى كما جاء فى التمهيد لابن عبد البر ، وكان يُحتج بقبول المراسيل العلماء فيما مضى كسفيان الثورى ومالك والأوزاعى حتى جاء الشافعى فتكلم فيه ، وتابعه على ذلك الإمام أحمد ابن حنبل .

---

(١) علوم الحديث : السيد صارم الدين ابن لوزير .

أما الزيدية فيظهر من مراجعة مستنداتهم فى الحديث أن أحاديث المتقدمين منهم كانت مسنده إلى (أمالى) السيد ظفر بن داعى ، و (أمالى) السمان ، و (الأنوار ، والأمالى) للمرشد بالله ، و (العمدة) للشيخ يحيى بن الحسين الحلى ، و (أمالى) أحمد بن عيسى ، والذكر لمحمد بن منصور المرادى ، وامالى أبى طالب ، و (الأسانيد) للشريف يحيى بن جعفر ، و (الاعتبار) و (سلوة العارفين) للموفق بالله والد المرشد بالله ، و (المجموع) للامام زيد بن على ، و (أمالى) الناصر الأطروش ، و (البساط) له أيضاً ، و (مسند) على بن موسى الرضاء و (التقريب) للقاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام ، ومثل ذلك ما جاء من الأحاديث فى كتب الفروع ، و (شرح التجريد) للمؤيد بالله ، و (شرح التحرير) لأبى طالب ، و (الجامع الكافى) للسيد محمد بن على ابن عبد الرحمن العلوى ، وقد اختصره العلامة الشوكانى فى كتابه (إتحاف الاكابر) . فهذه مسانيد أئمة الزيدية المتقدمين كانت مسندة الأحاديث كما جاء فى كتاب (المستطاب) للسيد يحيى بن الحسين بن القاسم .

أما كتب المتأخرين من الزيدية ، فمنها : (الشفاء) للأمير الحسين ابن بدر الدين ، و (الشافى) للامام عبد الله بن حمزة ، و (الأحكام) للامام الهادى وغيرها فقد اعتمد واضعوها على مؤلفات سالفيهم ولم يذكروا الأسانيد فى أغلبها كما هو ظاهر كلام الأمير الحسين فى مقدمة (الشفاء) والإمام عبدالله ابن حمزه فى مقدمة كتابه (الشافى) .

ومن هنا يتضح أن قاعدة زيدية اليمن المتأخرين تعتمد على قبول المراسيل إذا كان المرسل لا يرسل إلا عن عدل ، بالإضافة إلا أنها فى نفس الوقت مسندة إلى رسول الله (ص) أو إلى الإمام على كرم الله وجهه .

ويمكن القول بأن أحد الأسباب الموجبة لعدم ذكر المتأخرين للسندهو

اختفاء كتب أسلافهم بل انقراضها من اليمن انقراضاً تاماً وبهذا أصبحت مجهولة تماماً عند كثير من المشتغلين فى هذا الفن .

العموم والخصوص :

وقد عرف الأصوليون من الزيدية العموم بأنه اللفظ المستغرق لما يصلح له دون تعين مدلوله ولا سببه ، وتقول عبارة « الغاية » بأنه الكلمة الدالة على جميع ما يصلح له بوضع واحد ، بمعنى أن كل لفظ يصح شركة الكثير فى معناه لا فيه يسمى عاماً مثل رجل ورجال ، وهذا ما اتفق عليه الأصوليون. وللعام أمثلة كثيرة من القرآن والسنة من ذلك قوله تعالى : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » وهو مخصص باشتراط الحرز ، وقوله تعالى : « أقتلوا المشركين » مخصص بتحريم قتل من ضربت عليهم الجزية .

وهنا لك خلاف بين الأصوليين فى علاقة العموم بالمعانى أهمها الخلاف بين الزيدية والحنفية فالزيدية تقول بأنه حقيقة فى اللفظ مجاز فى المعنى ، كعمَّ البلاء ، وعمَّ الخصب ، إذ لا يطّرد فى كل معنى ، فلا يقال عمَّ الأكل ، ومثله فى العين الجارحة والعين الجارية لأن العموم شمول أمر المتعدد سواء كان ذلك لفظاً أو معنى .

أما الحنفية فتقول بأنه من عوارضها حقيقةً ، قال الإمام يحيى بن حمزة فى كتابه القسطاس : « واعلم أن الذى دلَّ عليه كلام الفريقين هو أن العموم بحسب الوضع يطلق على الألفاظ فقط أو عليها وعلى المعانى وأمر ذا سهلٌ إذ يتبين بالرجوع إلى أهل اللغة واستعمال الفصحاء فلانشتغل بالإسهاب فيه».

تخصيص العام :

الذى عليه معظم الزيدية وأكثر المعتزلة والشافعية وابن الحاجب والحنفية

من أهل العراق « أن العام المخصَّص مجاز فى الباقى » أى أنه بعد تخصيصه بأى المخصصات يصير مجازاً فيما بقى وفى الموضوع عدة آراء واستثناءات لبعض الأصوليين من الزيدية منها :

١ — أن التخصيص إذا كان متصلا فإنه فيه حقيقة وذلك إذا خصص بمتصل كالشرط والاستثناء ونحوهما وإن خصص بمنفصل كالكتاب والسنة فمجاز وهو نص عبارة (القسطاس) للامام يحيى بن حمزة و(الجوهرة)للشيخ الحسن الرصاص . وقد فصّل هذا القول الإمام المهدى فى كتابه « المنهاج » أروع تفصيل[١] .

٢ — أنه حقيقة فى الباقى إذا كان سابقاً إلى الفهم عند إطلاق العام مع التخصيص وذلك مثل قوله تعالى : « اقتلوا المشركين » ، فانه يسبق إلى الفهم عند إطلاقه قتل المشركين على أى حال وجدناهم ، وعلى هذا يدخل فيه أهل الذمة والمستجير ومن لم تبلغه الدعوة ، وكقوله (ص) : «فيما سقت السماء العشر» وغير ذلك من الظواهر التى يطول تعدادها . وهذا هو رأى الإمام عبد الله ابن حمزة فى كتابه « صفوة الاختيارات » ، وقد ختم ذلك بقوله :« والأرجح أن ما فهم المراد من ظاهره فهو حقيقة فيما يتناوله ، وما يفهم إلا بقرينة فهو مجاز لأنه خرج من العموم ما سبق إلى الفهم دخوله تحت العموم ».

وقد أورد صاحب الغاية إثنى عشر قولا فى هذا الموضوع لعلماء الأصول يطول بنا ذكرها .

وعلى كل فإن الزيدية بإجماعهم لايجوزون العمل بالعام قبل ظن عدم

(١) راجع كتاب « منهاج الوصول إلى شرح معانى معيار المعقول » ، للامام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى رحمه الله .

المخصص ولذلك أوجبوا البحث عنه ، لا فى الكتاب والسنة فقط وإنما فى الإجماع والقياس أيضاً لأنهما يخصصان العام عندهم ويوافقهم فى الإجماع الحنفية وفى القياس الأئمة الأربعة والجمهور كما جاء فى كتاب الفصول اللؤلوية للسيد صارم الدين بن الوزير رحمه الله .

الخصوص :

وتعريفه بعكس العموم أى أنه اللفظ الذى لايستغرق ما يصلح له ، وبينه ابن بهران فى كتابه «الكافل» بقوله : «هو إخراج بعض ماتناوله العام[1]» وقد فرق بينه وبين «النسخ» بوجوه أوضحها أن النسخ يجب فيه التراخى . قال السيد صارم الدين فى كتابه «الفصول اللؤلؤية» : والتحقيق أن النسخ نوع من التخصيص ولكنه خاص بالأزمان ، بخلاف غيره فيكون فى الأزمان والأعيان فكل نسخ تخصيص ولا عكس[2] » .

وهو عند الزيدية قسمان : (١) متصل . (٢) منفصل .

(١) فالمتصل خمسة أقسام وهى : (١) الاستثناء ، مثل قوله تعالى : «إلا على أزواجكم . الآية» (٢) الشرط ، كقوله تعالى : «فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً» (٣) الصفة ،مثل قوله(ص) «فى الغنم السائمة زكاة»(٤) الغاية ، مثل قوله تعالى : «ثم أتموا الصيام إلى الليل» (٥) بدل البعض ، كقولك أكرم الناسَ قريشاً فإن ذكر قريش يقتضى تخصيص الناس بهم .

٢ — والمنفصل ، وهو الذى يستقل بنفسه ، وفى شرح الغاية : هو الذى لايحتاج فى ثبوته إلى ذكر العام معه والمخصصات المنفصلة : الكتاب والسنة وتسمى المخصصات اللفظية ، والإجماع والقياس والعقل وتسمى المخصصات المعنوية .

---

(١) ص ١٧٩ (٢) ص ٧٩

ويجوز تخصيص كل من الكتاب والسنة بمثله، أما فى الكتاب فقوله تعالى: « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » فإنه مخصص لقوله تعالى : « والذين يُتَوَفَّون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » .

وأما السنة فقوله (ص): « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » فإنه مخصص لقوله : « فيما سقت السماء العشر » .

ويجوز أيضاً تخصيص القرآن بالسنة ، والإجماع ، والقياس ، والعقل ، والمفهوم كما يلى :

١ — تخصيص القرآن بالسنة : فمن تخصيص القرآن بالسنة قوله تعالى: « وأُحل لكم ما وراء ذلكم » فإنه عام يدخل فيه جواز نكاح المرأة على عمتها وخالتها ، وقد أجمعت الصحابة على أنه مخصص بقوله : « لا تُنكح المرأة على عمتها وخالتها » . ومنه قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم » فإنه يوجب الميراث للولد عموماً ، وقد أجمع الصحابة على تخصيص ذلك بقوله (ص) « لا يرث القاتل ولا الكافرُ المسلمَ » ونحو ذلك ، وكذلك فى رجمه (ص) للمحصن فإنه مخصص لقوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .

٢ — تخصيص القرآن بالإجماع : كالقريب إذا كان مملوكاً فإنه لا يرث لأنه مخصص لعموم آيات المواريث .

٣ — تخصيص القرآن بالقياس : كما فى قياس العبد على الأمة فى تنصيف الجلد ، فإنه مخصص لقوله تعالى « فاجلدوهم ثمانين جلدة » هذا إذا كان جلياً ، أما إذا كان خفياً فانه يخصص به على الصحيح مثل أن يعم قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة » المدين وغيره ، ثم يخصَّص المدين قياساً على الفقير .

هذا فى الأحكام الشرعية ، أما فى الأحكام الاعتقادية كقدرة الله وعلمه وغير ذلك من مسائل أصول الدين فلا تخصيص، هذا مذهب الزيدية ويتفقون فيه مع المالكية ، أما الحنفية فلا يرون جواز تخصيص القرآن بالقياس لأن من قواعدهم أن الخاص لا يعارضه القياس، وكذا الشافعية ، وحجتهم أن القياس لا يمكن أن يبلغ مرتبة الخاص ، وأما الحنابلة فلا يأخذون به إلا عند الضرورة هكذا قال مؤلف (الغاية) ، وسيأتى المزيد من أدلة الزيدية فى ذلك فى كلامنا على (القياس) بعد هذا .

٤ — تخصيص القرآن بالعقل : كما فى قوله تعالى « الله خالق كل شىء » فان العقل قاضٍ بخروجه تعالى عن هذا العموم لاستحالة كونه مخلوقاً .

٥ — تخصيص القرآن بالمفهوم، كقوله تعالى «ولا تقل لهما أف » يفهم منه تنزيه الوالدين عن العقوبة ، وكذا المطل لما جاء فى عموم قوله (ص) «لىّ الواجد يُحلُّ عرضه وعقوبته » ويجوز أيضاً أن تخصص السنة بما ذكر آنفاً من ذلك :

١ — تخصيص السنة بالقرآن ، كقوله تعالى : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » فان ذلك مخصص لقوله (ص) : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » ، وقوله تعالى : « ومن أصوافها وأوبارها . الآية» فانها مخصِّصة لقوله (ص) : «ما أبين من الحى فهو ميتة» . ومثل ذلك قليل جداً .

٢ — تخصيص السنة بالسنة : سواء كان قولاً أو فعلاً أو تقريراً كمثل قوله (ص) فيما سقت السماء العشر وتخصيصه بحديث الأوسق ، وقوله (ص) « لا تستقبلوا القبلة ببول ولا غائط » ثم يفعل ذلك من غير تراخ ، وأن يرى من يفعل ذلك ويسكت .

٣ — تخصيص السنة بالإجماع : وقد قال صاحب الكاشف إنه لا خلاف فى ذلك بين فقهاء المسلمين ، وقال صاحب الغاية إنه خالف فى ذلك شرذمة .

٤ — تخصيص السنة بالقياس : كقوله (ص) : « لا تبيعوا الموزون بالموزون متفاضلاً » ثم يقول : « بيعوا الحديد كيف شئتم » فيقاس على ذلك النحاس والرصاص بجامع الانطباع .

٥ — تخصيص السنة بالعقل : كقول الشارع : «الحج واجب على الناس» فالعقل يقضى بخروج من لا يفهم الخطاب كالأطفال والمجانين .

تخصيص السنة بالمفهوم : وسواء كان مفهوم موافقة أو مخالفة — وسيأتى بيانهما — كقوله (ص):«فى الغنم زكاة» ، ثم يقول : «فى الغنم السائمة زكاة» فدل بالمفهوم على أنه ليس فى المعلوفة زكاة .

المطلق والمقيد : قال فى الكاشف :« وهما كالعام والخاص فى جميع ما تقدم من الأبحاث إلا فى حالة واحدة وهى إذا وردا فى حكم واحد حكم بالتقيد إجماعا كقوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم » وهو مطلق دخل فيه الدم المسفوح لوروده فى آية أخرى كما فى قوله تعالى : « أو دماً مسفوحاً » فالمطلق يقتضى تحريم المسفوح وغيره ، والمقيد يقتضى تحريم المسفوح فقط وأن غيره ليس بحرام .

أما إذا وردا فى حكمين مختلفين من جنسين فلا يُحمل أحدهما على الآخر سواء كانا أمرين أو نهيين،اتحد سببهما أو اختلف ، ومثال اتحاد السببين تقييد صوم الظهار بما قبل المسيس لقوله تعالى «من قبل أن يتماسا» وإطلاق إطعامه، ومثال اختلافهما كتقييد صيام القتل بالتتابع وإطلاق إطعام الظهار فالسبب مختلف وهو الظهار والقتل فلا يحمل أحدهما على الآخر .

المجمل والمبين :

وحقيقة المجمل ما لا يفهم به المراد تفصيلاً كقوله تعالى : « أقيموا

الصلاة » فإن العرب كانت لا تفهم من الصلاة إلاَّ الدعاء ، ولـكن السنة بيَّنته بفعل النبي (ص) وقوله حيث قال : « صلُّوا كما رأيتمونى أصلّى ».

والمبين ما يبين به الخطاب المجمل لـكل من الأدلة ، ولا يلزم عند الزيدية شهرة البيان فى النقل كشهرة المبين ، وبعبارة أوضح لا يلزم إذا كان المجمل متواتراً أو جلياً أن يكون البيان مثله ، بل يجوز أن يبين القطعى بالظنى والجلى بالخفى ، بدليل أنه يصح البيان بالقياس وبخبر الواحد .

والزيدية تقول بأنه لا إجمال فى تحريم الأعيان نحو قوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتـكم » ، و « حرمت عليكم الميتة » ونحوها بخلاف الحنفية فإنهـم يقولون بالاجمال فيـه لأن تحريم العين غير مقصود فلا بد من إضمار متعلق به يصلح أن يحمل عليه ، وقالت الزيدية إن الحمل على المعتاد أولى وذلك كالوطء فيما يوطأ ، والأكل فيما يؤكل ، والشرب فيما يشرب واللبس فيما يلبس . فإذا قال حرمت عليكم الميتة والخنزير والخمر فهم منه تحريم الانتفاع إذ لا يسبق إلى الفهم غير ذلك ، واستدلوا بفهم الصحابة عند سماعهم صـوت منادى رسول الله (ص) بتحريم الخمر فعمدوا إلى ما عندهم منها فأهرقوها ، وكذا من قوله (ص) فى الذهب والحرير هما حرام على ذكور أمتى أن المراد تحريم لبسهما لا ملـكهما والنظر إليهما .

وبقاعدتهم هذه ردُّوا على من اعتقد الإجمال فى بعض الأدلة كقوله (ص) « لاصلاة إلا بطهور » ، و « لا صلاة إلا بفاتحة الـكتاب » ، و «لا نكاح إلا بولى وشاهدين » أمثال الباقلانى وأبى عبد الله البصرى وبعض الحنفية وغيرهم بصـفة ذلك متردداً فى عرف الشرع بين نفى الإجزاء ونفى الـكمال ، مطبقين على ذلك قاعدتهم الأصولية وهى «ما لا يصلح كالعدم فى عدم الجدوى بخلاف مالا يكمل » فـكان أقرب المجازين إلى الحقيقة المتعذرة وهى نفى الذات ولهذا

رجحوا نفى الإجزاء فكان ظاهراً فلا إجمال ، كما صرح بذلك الإمام يحيى ابن حمزة فى (القسطاس) والإمام المهدى فى (معيار العقول) .

هذه هى قاعدة الزيدية فى المجمل والمبين ، وهى قاعدة تكاد تكون مطّرده سواء فى نفى الذات أو نفى الصفة أو نفى الكمال وهو العمل بأقرب المجازين إلى الحقيقة فى المنفيات .

المفهوم والمنطوق :

وهما وصفان لما يدل عليه اللفظ العربى لأن الدلالة لا تكون إلا بشيئين :

أولهما — المنطوق، وتعريفه عند الزيدية « ما أفاد اللفظ من حال مذكورة فان ذكرت الحال فى اللفظ فصريح كقوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » وقوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » فانه دل فيهما على حال مذكور للصلاة والقطع وهو وجوب صلاة الظهر وعلّيّة السرقة للقطع ، وإلا تذكر الحال فغير صريح كدلالة العُشرة على الزوجية .

ثانيهما — المفهوم ، وهو ما أفاده اللفظ لا فى محل النطق . وهو قسمان :

١ — مفهوم موافقة ، (كفحوى الخطاب) كما فى قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، فقد فهم منه الجزاء بأكثر من مثقال ذرة ، وقوله تعالى : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار لا يؤده إليك » لأن ما دون القنطار أشد مناسبة وقوله تعالى : « ولا تقل لهما أف » فان تحريم الضرب بطريق أولى .

فإنك ترى أن ثبوت الحكم فى فحوى الخطاب فى المسكوت عنه أولى من ثبوته فى المنطوق ، فإن لم يكن فى المسكوت عنه معنى (الأولى) فيسمى (لحن الخطاب) نحو قوله تعالى : « فإن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » ، فقد فهم من هذا بطريق المساواة لا بطريق (الأولى) وجوب ثبات الواحد للعشرة للاتحاد فى الحكم .

٢ — مفهوم المخالفة ، وهو أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمذكور فى الحكم إثباتاً أو نفياً ويسمى (دليل الخطاب) ، وهو عند الزيدية ستة أنواع وهى :

(١) مفهوم اللقب (٢) مفهوم الصفة (٣) مفهوم الشرط (٤) مفهوم الغاية (٥) مفهوم العدد (٦) مفهوم الحصر .

١ — مفهوم اللقب : واللقب المقصود به هنا ما يشمل العلم فقط كزيد مثلاً . قال فى (الكاشف) وهو أضعف المفاهيم والآخذ به قليل إذ لو أخذ به للزم الكفر ، إذ معنى قولنا « زيد فى الدار » يفهم منه أن غير زيد ليس بالدار ، وللزم من قولنا محمد رسول الله نفى الرسالة عن غيره من الأنبياء عليهم السلام ، وكذلك قولنا : زيد موجود ، وعمر عالم ، وبكر قادر إذ يفهم منه نفى هذه الصفات من غيره فيلزم نفيها عن الله تعالى ، واللوازم كما ترى باطله فكذلك الملزومات ، ولهذا فإن الزيدية لا يأخذون بمفهوم اللقب إلا إذا تضمن وصفاً فيكون حينئذ مفهوم صفة ، ولذا فإن شارح (الغاية) لم يذكر مفهوم اللقب فى عداد المفاهيم بل أشار إلى عدم العمل به من قبل الجمهور لانتفاء المقتضى لاعتبار المفهوم إلا أنه أشار بفائدته فى استقامة الكلام لأنه لو طُرح لاختل الكلام وفى ذلك أقوى طريق للتمسك به فى إبطاله .

٢ — مفهوم الصفة : وهو اللفظ المقيد لآخر غير منفصل عنه. كقوله (ص) « فى كل سائمة من كل أربعين بنت لبون » ، و « فى صدقة الغنم فى سائمتها إذا كانت أربعين ففيها شاة » فالسائمة صفة تدل على نفى الزكاة فى المعلوفة ، وهو حجة معمول بها عند جمهور الزيدية كما صرح بذلك مؤلف (الغاية) ، ودليلهم على حجيته مفهوم قوله تعالى : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلما قتل من النعم . الآية » لأنه لاجزاء على الخاطىء رجوعاً إلى الأصل .

ومن الزيدية من نفى حجيته كالإمامين يحيى بن حمزة والمهدى أحمد ابن يحيى المرتضى ، ومن غير الزيدية الحنفية وبعض الشافعية والمالكية . أما الإمام عبدالله بن حمزه من أئمة الزيدية فقد امتنع عن القول به إلا بشروط : منها التتابع فى الوصف مثل « أكرم الرجل الطويل الأبيض » ، وأن يكون ماعدا الصفة داخل تحتها كالحكم بالشاهدين ، لأن المفهوم وهو الشاهد الواحد داخل تحت لفظ الشاهدين ، فلو لم يكن الحكم فى الواحد مخالفاً لما كان لذكر الاثنين فائدة، وأن يكون الخطاب وارد للبيان نحو قوله (ص) «فى سائمة الغنم زكاة » .

ومن أمثلة مفهوم الصفة قوله تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات ، فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » فقد جعل الإيمان شرطاً فى نكاح الأمة ، ولهذا أجمعت الزيدية على تحريم نكاح الأمة الكتابية أو المشركة كما صرح بذلك مؤلف الأزهار(١) والبحر(٢) ، وذهبت الحنفية إلى تجويز ذلك لعدم قبولهم لمفهوم الصفة . ومذهب الزيدية تحريم نكاح كل كافرة ولو كتابية لعموم قوله تعالى : « ولا تمسكوا

---

(١) ص ٣/٢٠٩   (٢) ص ٣/٤٣

بعِصَم الكوافر » وقوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات » ، ولم يخالفهم إلا الإمام الناصر والمؤيد بالله يحي بن حمزه إلا أنهما اشترطا عدم التبديل كما صرح بذلك في « الانتصار » وقال: «أما هؤلاء فقد غيروا وبدلوا ... الخ»

٣ — مفهوم الشرط :

وهو ما علق من الحكم على شيء بأداة شرط كقوله تعالى : « وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن » ، فإنه يدل بمفهومه على أنهن إن لم يكن أولات حمل لم يجب الإنفاق عليهن[1] .

وهو أقوى من مفهومى اللقب والصفة ، وفائدته أن مدة الحمل قد تطول فيظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم . ومن أجل هذا ذهب الشافعى إلى أن المبتوتة لا نفقة لها إن لم تكن حاملاً ، وهو رأى بعض أئمة الزيدية ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى (فقه الزيدية) بعد هذا .

والأخذ بمفهوم الشرط مختلف فيه عند الزيدية ، فقد جاء عن الامام المهدى أنه يجوز الأخذ به بعد البحث عن أدلة الخلاف لجواز أن يكون لهذا الشرط آخر يخلفه فيه فيكون موافقاً[2] ، أما الإمام يحي بن حمزه فيمنع الأخذ به كمفهوم الصفة .

٤ — مفهوم الغاية :

وهو ما يفهم من تقييد الحكم بأداة غاية كإلى ، وحتى ، كقوله تعالى: « فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره »، يفهم منه أنها إذا نكحت

---

(١) الغاية (٢) الكاشف: ١٥٤

زوجاً آخر حلت له ، وقوله تعالى : « وأتموا الصيام إلى الليل » ، فمفهومه ارتفاع وجوبه عند دخول الليل ، وهذا المفهوم أقوى المفاهيم الثلاثة المتقدمة والآخذ به أكثر من الآخذ بما قبله .

٥ — مفهوم العدد : وهو أن يخصص الحكم تخصيصاً لفظياً بحال معينة من نفى أو استثناء قال فى الغاية مثل « ما العالم إلا زيد » وقوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء . الآية » ، فمفهومه لاصدقة لغير هؤلاء وأمثال ذلك كثير فى القرآن والسنة ، وأدوات الحصر كثيرة .

الناسخ والمنسوخ :

وهو من أجل علوم الحديث،ومن أحسن ما ألف فيه كتاب «الاعتبار» للحازمى[1] قال صاحب الغاية: «وهو بيان انتهاء حكم شرعى بطريق شرعى متراخ، وهو ما يشترك فيه الكتاب والسنة لاغير ، ولا يكون حقيقةً فى الأدلة ، وذهب الجمهور إلى جوازه عقلاً ، واحتجت الزيدية لمذهب الجمهور : أن دليل الجواز أمران : أحدهما — القطع بالجواز عقلاً فإنه لو فرض وقوعه لم يلزم منه محال لذاته سواء اعتبرت المصالح أم لا ، أما إذا لم تعتبر المصالح فظاهر لأن الله يفعل ما يشاء ، وأما إذا اعتبرت فلأنا نقطع بأن المصلحة تختلف باختلاف الأوقات . . الخ » .

قال القاضى محمد بن يحيي بهران فى كتابه (الكافل) : « والمختار جوازه ، وقد شذ المخالف فيه من المسلمين ، ولايجوز نسخ الإجماع ولا القياس إجماعاً ، ولا يصح النسخ بهما ، ولا متواتر بآحادى » .

---

(١) محمد بن موسى بن عثمان بن حازم أحد الحفاظ ولد سنة ٥٤٨ هـ و سمع عن الأئمة الكبار وكان حجة ثقة . له كتاب (الناسخ والمنسوخ) ، (وعجالة المبتدى) فى الأسباب و (المختلف والمؤتلف) فى أسماء البلدان ذكره الذهبى وثنى عليه.

وطرق النسخ عند الزيدية ثلاث :

الأولى : النصّ الصادر من النبى (ص) أو من أهل الإجماع .

الثانية : الأمارة ، ويشترط أن تكون قوية بحيث يحصل بها الظن ، كتعارض الخبرين من كل وجه مع معرفة المتأخر بنقلٍ من أحد الصحابة ، كان يقول : هذا الخبر متأخر عن ذاك وهذه الآية نزلت بعد تلك ، من ذلك قول جابر «كان آخر الأمرين من رسول الله (ص) ترك الوضوء مما مست النار».

الثالثة : قرينة قوية فيما كان مظنوناً فقط ، وللزيدية فى بيان الناسخ والمنسوخ كلام طويل ، وقد تضمنته شروح الغاية والقلائد والكاشف ، وإنما أوردنا هنا نص متن الكافل لابن بهران خشية التطويل .

(مصادر الحديث وعلومه عند الزيدية)

تحدثنا فيما مضى عن مسانيد الزيدية ومجاميعهم وأماليهم بصورة عامة ، أما زيدية اليمن فأهم مصادر الحديث عندهم بعد المجموع وأمالى أحمد بن عيسى وأمالى أبى طالب[1] هى :

١ — (الأحكام) : للإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين ، ويشتمل على جزئين ضمنهما مروياته من الأحاديث واجتهاداتة وترجيحاته التى أبطل فيها كثيراً من المرويات عن النبى (ص) وعن الإمام على كرم الله وجهه لعدم نهوض تلك الأخبار، التى لا تقوم عليها حجة من كتاب أوسنة ، وقد روى فيه

(١) ممن خرج أحاديث (الأمالى) لأبى طالب السيد محمد بن يحيى بن أحمد حسين شرف الدين المتوفى سنة ١١٨٥ هـ .

عن أبيه الحسين ، وعن عميه محمد والحسن . وفى كتابه الفقهى (المنتخب) عن عبد الرازق الصنعانى وابن جريج وأبى بكر بن أبى شيبة ومالك بن أنس . وله اجتهادات وآراء لها قيمتها عند علماء الإسلام وسوف نأتى على بعض ذلك فى ترجمته بعد هذا .

٢ — (أصول الأحكام) : للإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان ويشتمل على ثلاثة آلاف وثلثمائة واثنى عشر حديثاً .

٣ — (شفاء الأوام فى أحاديث الأحكام) : أربعة مجلدات قال عنه السيد محمد بن إبراهيم الوزير : ولا شك فى كفايته للمجتهد ، وهو فى كتب الزيدية مثل كتاب (البيهقى) فى كتب الشافعية ، وقد انتصر فيه لمذهب الإمام الهادى ، وشرحه الحافظ الضمدى بالقرن الحادى عشر ، كما كتب عليه حاشيةً القاضى محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠هـ ، تسمى (وبل الغمام) .

هذه هى أهم مصادر الحديث عند الزيدية فى اليمن بالإضافة إلى المسانيد والمجاميع التى تحدثنا عنها آنفاً ، وهنالك مؤلفات أخرى فى الحديث والفقه والأصول تنطوى على أحاديث ومرويات بنوا عليها آراءهم واجتهاداتهم من أهمها (المنهاج الجلىُّ فى فقه زيد بن على) للامام محمد بن المطهر و (الانتصار) للامام يحيى بن حمزة وهو فى عدة مجلدات حافل لمذاهب الكثير من علماء الإسلام ، و (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) للامام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى ، وهو فى خمسة مجلدات ، وقد خرج أحاديثه العلامة ابن بهران .

وما من شك فى أن هذه الكتب قد وضعت على أساس تقديم روايات أهل البيت وعلمائهم ، بصفتها خالية عن المعتقدات والأقوال التى تخالف

اعتقاداتهم وأقوالهم مثل التشبيه والجبر وتجويز الرؤية وغير ذلك كما صرح بذلك الإمام المهدى فى كتابه (الأزهار) .

وفى الوقت الذى ظهرت فيه خارج اليمن مؤلفات أئمة الأثر ونقاده التى تحمل علوم الطرق والملل ، والجرح والتعديل ، وشروط التحمل والأداء والرواة والروايات برز عدد غير قليل من الزيدية كعلماء مجتهدين حملوا على كواهلهم مهمات البحث حول علوم الحديث فى شتى وجوه البحث والنظر فهم :

١ — الإمام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى صاحب المؤلفات العديدة والمتوفى سنة ٨٤٠(١٤٧٥ م) .

٢ — السيد محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ﻫ (١٤٨٥ م)،وقد حاز شهرةً واسعة لتبحره فى علم الرواية والرجال وشروط النقد والاعتدال ، ومن مؤلفاته « العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم » و « علوم الحديث » و « إيثار الحق على الخلق فى رد الخلافات إلى المذهب الحق » و « تنقيح الأنظار فى علوم الآثار » .

٣ — السيد الحسن بن أحمد الجلال المتوفى سنة ١٨٠٤ﻫ (١٦٧٣م) .

٤ — القاضى صالح بن مهدى المقبلى المتوفى سنة ١١٠٨ﻫ (١٧٢٧م) مؤلف « العلم الشامخ » و « المنار » حاشية على « البحر الزخار » وغيرهما .

٥ — السيد محمد بن اسماعيل الأمير المتوفى سنة ١١٨٢ ﻫ (١٨٠٣م) .

٦ — السيد عبد القادر بن أحمد شرف الدين الكوكبانى المتوفى سنة ١٢٠٧ ﻫ (١٧٢٧ م) .

٧ — القاضى محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٣٤ م) .

هؤلاء هم بعض علماء الزيدية الذين ألفوا فى الحديث وعلومه ، واستنبطوا من أحكام الشريعة المطهرة آراء صائبة ونظريات ثاقبة ، واشتهروا باجتهادهم الحرّ وعدم التقليد لأحد من الخلق ، كما قال السيد محمد بن إبراهيم الوزير :

العلم قال الله قال رسوله إن صحّ والإجماع فاجهد فيه
وحذار من نصب العداء جهالة بين الرسول وبين قول فقيه

٣ - الإجماع

وهو الدليل الثالث من الأدلة الشرعية عند الزيدية وحقيقته : إتفاق المجتهدين من أمة محمد (ص) بعد عصره على أمر[١] ، وهذا التعريف الاصطلاحى يتفق عليه أهل الشرع عامة ، والمختار عند المحققين أنه لا يشترط فى انعقاده إنقراض أهل العصر المجمعين ، وهو قول الزيدية وأكثر الحنفية والشافعية ، ولا يشترط فى انعقاده فى أمر سبق فيه خلاف بين أهل العصر الأول ، بل إذا اتفق أهل العصر الثانى فى ذلك فإن إجماعهم يصير حجة قاطعةً[٢] .

ولا ينعقد بالأربعة الخلفاء الذين هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى لأنهم بعض الأمّة ، هذا ما عليه مذهب الجمهور من علماء الإسلام ما عدا الحنابلة مستندين إلى قوله (ص) « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ » ، ورُدَّ عليهم ببقية الحديث وهو « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » ، ومن الضرورى التحقق من أن سنتهم سنته ، كما

---

(١) الغاية . (٢) الفصول اللؤلؤية والكاشف .

لا ينعقد بأهل المدينة وحدهم إذ هم بعض الأمـة ، خلافاً للإمام مالك ، ولا بأهل البيت وحدهم ، وهذا ما عليه معظم الفرق الإسلامية ، كما روى ذلك فى الفصول .

أما الزيدية وأهل البيت على الإطلاق والشيخان أبو على وأبو هاشم وقاضى القضاة فيستثنون الإمام على كرم الله وجهه ويقولون بأن قوله حجة كالحديث النبوى الآحادى لمـا ثبت عندهم من عصمته ، ولقوله (ص) : « الحق مع على وعلى مع الحق اللهم أدر الحق مع علىٍ حيث دار » ، وقوله (ص) « أنا مدينة العلم وعلى بابها » .

ويستثنون أيضاً أهل البيت عليهم السلام وهم عترة الرسول (ص) الذين هم على وفاطمة والحسنان وأولادهما من قبيل الآباء من المؤمنين المجتهدين ، وقالوا إن إجماعهم كإجماع الأمة ، لمـا ثبت من الأدلة القطعية عندهم أن جماعتهم معصومة بدليل قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » ، وهم المقصودون بالآية ، ومعنى الرجس مايستخبث من الأفعال القبيحة ، أى ما يستحق عليه الذم والعقاب ، وبدليل قوله (ص) « أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى » وقوله: « إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى كتاب الله وعترتى أهل بيتى [1] ، إن اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض » ، وهذا صريح بأنهم لا يخرجون على الحق ، وغير ذلك من الأدلة التى وردت فى الصحاح ، ومن ثمة فتكون جماعتهم معصومة ويكون إجماعهم حجة .[2]

ومن يتتبع أقوال الزيدية فى (الإجماع) يجد أنهم يقسمونه إلى قسمين :

١ — عام ، وهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد (ص) .

---

(١) فى بعض الروايات وسنتى (٢) الـكافل : ٧٦ — ٧٨ .

٢ — خاص وهو اتفاق العترة ويقولون بحجيتهما معاً .

قال السيد أحمد لقمان بعد أن ساق الأدلة مؤكداً بها حجية إجماع العترة : «واعلم أرشدنا الله وإياك أنه قد ثبت بهذه الأدلة القاطعة أن أهل البيت عليهم السلام هم الفرقة الناجية فعليك باتباع جماعتهم والتشبث بأقوالهم ، فإنّ الله تعالى يأبى أن تكون جماعة أهل بيت نبيه وسيد رسله هالكين وغيرهم ناجين مع ما هم عليه من الورع والتحرز الكامل عن المآثم ، الأمر الذى لا يجهله إلا جاهل متجاهل» [1] .

وقد اختلف الأصوليون فى إمكان الإجماع وثبوته لسبب واحد وهو اختلافهم فى إمكان اتفاق المجتهدين على حكم واحد غير معلوم بالضرورة فذهب جمهورهم إلى إمكانه ، وذهب الآخرون ومنهم النظّام [2] وبعض الروافض — وهؤلاء لايقولون بحجية الإجماع من حيث الأصل — واحتجوا بتفرق المجتهدين فى مشارق الأرض ومغاربها فيمتنع مع ذلك نقل الحكم وتواتره ، وإذ امتنع الأصل امتنع الفرع . ورد عليهم مؤلف الغاية من وجوه أهمها :

(١) أن العادة تحيل عدم نقل الأحكام لتوفر الدواعى إلى نقله .

(٢) استحالة تواطؤ الجمع الكبير على إخفائه .

---

(١) الكاشف : ٧٥ — ٨٠

(٢) أبو اسحق ابراهيم بن سيار بن هانىء البلخى (ت ٨٣٥ أو ٨٤٥) متكلم مسلم وتلميذ لأبى الهذيل العلاق ، وأحد كبار المعتزلة فى البصرة ، ومناظر ذكى فصيح ، كثير الثقافة واسع المعرفة ، حفظ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وسيرهما، ووقف على الاتجاهات الفكرية والعقائدية والمذاهب الفلسفية ، وحارب الفرق المخالفة للاسلام ، له مؤلفات كثيرة ورسائل عديدة جاء ذكرها فى كتب الأصوليين والمؤلفين عن الفرق الإسلامية موسوعة: ١٨٢٦

(٣) أن الانتشار لايمنع النقل عادةً وإنما يمتنع ذلك على من قعد فى عقر داره لايبحث ولا يطلب وليس المجتهدون كذلك .

(٤) قد يستغنى بالإجماع عن نقل الدليل القطعى لأنه أقوى منه لعدم احتماله النسخ بالذات وارتفاع الخلاف المحوج إلى نقل الأدلة .

والإجماع عند الزيدية حجة شرعية كما هو عند أكثر المسلمين ماعدا الخوارج والنّظام وبعض الروافض لتوفر الأدلة على حجيته من الكتاب والسنة والعقل ، لقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» ومن السنة قوله (ص) : « لن تجتمع أمتى على ضلالة فعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة » وقوله (ص) : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

وطريق العلم بانعقاد الإجماع عندهم إما السماع أو المشاهدة لكل واحد من أهل الإجماع يفعل ذلك ، والنقل عن كل واحد إن نقل رضاء الساكتين ، مع عدم ظهور حامل لهم على السكوت ويسمى (الإجماع السكوتى) ، وهو حجة ظنية لا قطعية ، ومثله الإجماع القولى إن نقل آحاداً ، مالم يتوافر نقله فحجة قطعية كالكتاب والسنة المتواترة يفسق مخالفه ، هذا مذهب الزيدية كما ذكره مؤلف الكاشف والفصول اللؤلؤية ، وهو يتفق مع أقوال المحققين من الأصوليين ، إلا فى إجماع العترة وهو ما يسمى عندهم (الإجماع الخاص) فقد تفردوا بذلك مع الإمامية مع اختلافهم فى بعض الوجوه .

وللزيدية أقوال صريحة قوية فى سند الإجماع ، وأدلته ، ومراتبه أوضحها مؤلف الغاية توضيحاً مستفيضاً شاملا فى (المقصد الثالث) فليرجع إليه من أراد التعمق فى الموضوع .

٤ ـ القياس

وهو فى اصطلاح الأصوليين إلحاق معلوم بمعلوم فى حكمه للاشتراك فى العلة ، وهو عند الزيدية الأصل الأول للاستنباط العلمى عند عدم الدليل من القرآن والسنة والإجماع ، ويقول بجوازه أكثر المعتزلة إلا النظام وكذا بشر بن المعتمر[١] والظاهرية[٢] ، كما ذكر ذلك الإمام المهدى فى « معيار العقول » فى معرض رده على عدم القائلين به فى بحث مطول .

ويُشترط فيه وجود الدليل العقلى والجامع ، وقد يكون الجامع حكما شرعيا إثباتا أو نفيا كقولنا : « الكلب نجس فلا يجوز بيعه كالخنزير » ، ووصفا عقليا كقولنا « النبيذ مسكر فيكون حراماً كالخمر » .

وقد استعمله الفقهاء من عصر الرسول (ص) إلى اليوم فى جميع الأحكام التى لا يوجد فيها دليل مما أدى إلى توسع أنواع القياس وتعددها ، فمنها :

١ ـ القياس العقلى : وهو ما لم يكن للشرع فيه مدخل فى إثبات شىء من أركانه كقولنا : العالم محدث لأنه مؤلف كالبيت ، ويسمى هذا عند أهل المنطق تمثيلا ، ويعرفونه بأنه تشبيه جزئى بجزئى فى معنى مشترك بينهما .

٢ ـ القياس الشرعى ، وهو قسمان : الأول (جلىٌ) وهو ما قطع بنفى الفارق فيه وذلك كقياس الأمة على العبد فى سراية العتق والتقويم على معتق

---

(١) المتوفى سنة ٨٦٨ م ، عاصر الرشيد . وهو مؤسس فرع الاعتزال فى بغداد ، كان متكلماً بليغاً حتى ليعتبر أحد مؤسسى علم البلاغة ، عنى خاصة فى بحوثه الكلامية بموضوع المسئولية فنفاها عن الأطفال ، وقال بتولد الذنوب ، ورأى عودة المسئولية أن ارتكب العبد الذنب الذى سبق له أن تاب منه .

(٢) فرقة تعمل بظواهر الأدلة الشرعية دون بواطنها أى بعكس الباطنيه التى سبق الكلام عنها .

الشقص[١] ، لأن النص ورد فى العبد فقط وهو قوله (ص) « من أعتق شقصاً له عبد قوِّم عليه الباقى » .

الثانى : الخفىُّ ، وهو بنقيضه أى ما لم يقطع بنفى الفارق فيه ، كما يقال فى الوضوء بأنه عبادة فتجب فيه النية كالصلاة ، فقد تجاذب هـذا أصلان وهما : الصلاة وإزالة النجاسة فسمى خفياً لاحتياجه إلى النظر فى ترجيح إحدى الشَّبهين.

٣ — قياس العلة : وهو ماصرح فيه الشارع بالعلة كقوله (ص) حينما أوتى له بروثة يستجمر بها : « إنها رجس » فقد صرح بأن العـلة نجاستها ، والعلة هى الجامع بين الأصل والفرع سواء كانت بنص الشارع أو الإجماع أو الاستنباط أو أى المسالك المعتبرة، وللزيدية أبحاث مطولة فى (العلة) وشروطها : عمومها وخصوصها وملاءماتها وغير ذلك[٢] .

٤ — قياس الدلالة :

وهو مالم يصرح فيه الشارع بالعلة ، بل جمع بين الأصل والفرع بمايلازم العلة لا بنفسها وذلك كقياس قطع أيدى الجماعة بالواحد إذا اشتركوا فى قطع يده فإنها تقطع أيديهم ، قياساً على قتلهم به إذا اشتركوا فى قتله لأنها جناية من جماعة توجب على كل واحـد دية كاملة فلزم أن توجب القصاص عليهم كما أوجبته فى القتل ، فههنا أصل هو القتل وفرع هو قطع اليد[٣] .

٥ — قياس الطرد :

وهو أكثر القياسات وروداً ، وهو إثبات مثل حكم الأصل فى الفرع لاشتراكهما فى العلة ، صريحـاً كما فى قياس العلة ، أو ضمناً كما فى قياس الدلالة

---

(١) الشقص : النصيب أو السهم .
(٢) راجع كتاب (معيار العقول) للامام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى .
(٣) الـكاشف : ٥٨

ومثاله ما أسلفنا من قياس النبيذ على الخمر فى التحريم بجامع الإسكار ، وكما قاس الإمام زيد صحة الزواج مع عدم الكفاءة على ثبوت النسب فيه ووجوب المهر أو نصفه .

٦ — قياس العكس :

وهو ما ثبت فيه نقيض حكم الأصل بنقيض علته كما يقاس فى اشتراط الصوم فى الاعتكاف على عدم اشتراط الصلاة فيه ، إذ لو لم يكن الصوم شرطاً فى الاعتكاف عند إطلاق الاعتكاف نذراً لما كان الصوم من شرطه ، كذلك عدم الصلاة فى الاعتكاف عند إطلاق النذر به ، لأن الحكم فى الأصل عدم وجوب الاعتكاف بغير نذر ، فثبت الفرع وهو نقيض حكم الأصل بنقيض علته . وللامام المهدى فى (معيار العقول فى علم الأصول) وشرحه (منهاج الأصول) بحث نفيس فى الموضوع أوضح فيه عموم العلة وطرقها وشروطها والخلاف فيها وفى قبول تخصيصها وتعليلها ، ومثل ذلك يوجد فى كتب الزيدية كـ (القسطاس المقبول) ، شرح معيار العقول للامام الحسن بن عز الدين و (إرشاد الفحول إلى علم الإصول) للقاضى محمد بن على الشوكانى و (الفصول اللؤلؤية) للسيد صارم الدين بن الوزير وغير ذلك ، وليس المراد هنا غير إعطاء القارىء صورة عن مذهب الزيدية فى القياس وأبحاثهم فيه وهى فى مجموعها مطابقة لأقوال أكثر المحققين الأصوليين ، ومن أراد تقصى هذه الأبحاث فليرجع إلى تلك المطولات .

وقد تفرع من القياس أشياء ثلاثة هى : الاستصحاب ، الاستحسان ، المصلحة المرسلة ، وذلك ما سنوجز القول عنه بعد هذا .

(ا) الاستصحاب

وحقيقته كما جاء فى الغاية بقاء التمسك بالدليل حتى يرد مايغيّره، وقديكون استصحاباً لحكم عقلى كاستصحاب البراءة الأصلية حتى يرد ناقل، وقد أورد مؤلف (الكاشف) فى باب (الاستدلال العقلى) قوله : وأكثر الأصوليين يلحقونه بالقياس لأنه ضرب من ضروبه، وكذلك الاستحسان الآتى بيانه .

وهو معمول به عند أكثر الزيدية والشافعية وغيرهم ذلك لأنهم قالوا : إن تحقق بقاء الشىء فى حال بلا ظن يستلزم ظن البقاء ضرورةً ، وخالف فى العمل به المعتزلة وجمهور الحنفية والقرشى من الزيدية لقولهم بأن انحصار أدلة الشرع فى النص من الكتاب والسنة والإجماع والقياس يقتضى أن لا يثبت حكم شرعى بغيرها ، والاستصحاب ليس منها فلا يحتج به فى الشرعيات ، وأجيب عليهم بأن ذلك مسلَّم به فى ابتداء الحكم الشرعى فلا يثبت الحكم ابتداءً إلا بها، أما فى الحكم ببقائه فممنوع بل يكفى فيه الاستصحاب...الخ[1]

وهو عند الزيدية أقسام أربعة كما جاء فى «الفصول اللؤلؤية» :

١ — استصحاب البراءة الأصلية ، كبراءة الذمة من التكليفات الشرعية حتى يوجد موجب التكليف وهو البلوغ إن كان صغيراً والعقل إن كان قد جُنَّ .

٢ — استصحاب الملك ، وهو وجوب بقاء المالك الثابت على ملكه — وسواء كان الملك شراءً أم إرثاً — حتى يوجد ناقل ، وكذا فى عقد الزواج .

٣ — استصحاب الحكم ، كالشك فى المراجعة بعد تحقق الطلاق وفى

---

(١) الغاية .

الوضوء بعد تحقق انتقاضه ، لأن الحكم لا يزال قائماً حتى يتحقق ما يغيره .

٤ — استصحاب الحال ، كالحياة بالنظر إلى المفقود فإنها تظل قائمة حتى ينهض دليل على عدمها ، وكذلك فى بقاء حكم الكفالة وطهارة الماء .

وعلى هذه القواعد الأصولية وأمثالها أسست «قواعد المذهب الزيدى» وهى كثيرة جداً ، وقد جمعها السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفى رحمه الله وشرحها فى كتاب مستقل ، وكانت طريقة وضعها عملاً بالأدلة والاستنباط والتخريج حتى أصبحت مشهورة عند فقهاء الزيدية ومنها على سبيل المثال :

إذا التبس موت الشخص وحياته فالأصل الحياة ، إذا اجتمع فى العقد وجها صحةٍ وفساد حمل على الصحة ، الأصل فى الماء القليل الطهارة ، إذا تعارض أصل وظاهر قدم الظاهر ، مالا يتم الواجب إلا به يجب على حد وجوبه ، تحصيل الواجب ليجب لايجب ، الإكراه يصير الفعل كلا إكراه ، البضع لا يخلو فى الغالب من حد أو مهر ، لا يجتمع غرمان فى مال وبدن ، نية المكرَه تصير الإكراه كلا إكراه ، الأصل فى الأشياء الإباحة إلا الحيوانات فالحظر ، من كان القول قوله فاليمين عليه غالباً ما لم يكن الأمر معروفاً تالضرورة ، القول لمنكر خلاف الأصل . إلى آخرها وهى كثيرة (١) .

(ب) الاستحسان

وقد ورد فى تعريفه عدة أقوال أحسنها قول المؤيد بالله أحد أئمة الزيدية الكبار : « هو العدول من قياس إلى قياس أقوى منه » وهذا يقرب من تعريف الحنفية له كما جاء فى (الغاية) و (الفصول) و (المعيار) و (القسطاس) ، وقد أورد مؤلف (الغاية) تعريفات الأصوليين

(١) راجع كتاب (الأزهار) وشرحه للامام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى .

للاستحسان وهى متقاربة نوعاً مّا ولا يصلح شىء منها محل للنزاع كما قال ، وجاء فى (الكاشف) : أن الاستحسان أحد أنواع الاستدلال ، وقال هو عبارة عن دليل يقابل القياس الجلىّ ، وقد أنكر الإمام الشافعى (الاستحسان) حيث قال «من استحسن فقد شرَّع» أى أثبت حكماً من تلقاء نفسه لا من قبل الشارع ، والصحيح بخلافه فإن الاستحسان — كما أرى — لا يكون إلا عند تعارض حكمين قياسيين مصدرهما الاستنباط أو العقل ، كما فى اختلاف البيعين مثلاً فى قدر ثمن السلعة قبل القبض ودفع الثمن فإن على البائع فى هذه الحالة — بطريق القياس — إيراد البينة بصفته مدعى الزيادة فى الثمن أو يمين المشترى فاختير من باب الاستحسان أن يحلف كل من البائع والمشترى ، لأن كليهما ينكر شيئاً يدعيه الآخر وهذا ما يسميه الأصوليون (استحسان القياس) . . . . »

وهنالك أنواع أخرى للاستحسان منها :

(ا) إستحسان السنة كاستحسان العمل بخبر المصرّاة .

(ب) إستحسان الإجماع ، كدخول الحمام بأجرة مجهولة ، لأن القياس المنع لجهالة ما يُستغرق من المنافع والماء وقد ثبت هذا بإجماع المسلمين عليه ومثل ذلك عقود الاستصناع لنفس السبب وهو الجهالة .

(ج) إستحسان الضرورة : كالحكم فى طهارة الحياض والآبار ، حيث يقول الحنفية جرياً على أصولهم أنها كغيرها فى حكم النجاسة وحكم التطهير ، فقد استحسنت الزيدية تكرار إلقاء عدد من الدلاء يتخللها النزع والنزح حتى تجف النجاسة وذلك للاحتياج والضرورة(١) .

(د) استحسان القياس الخفى : كما يقال فى الصيرفى — مثلاً — إذا ملك

---

(١) الكاشف : ١٤٤

دون نصاب من الذهب أو الفضة قيمته نصاب من الجنس الآخر ، فان القياس الجلىّ لا يوجب عليه الزكاة كمن يملك ما قيمته دون نصاب لأن حكمها حكم السلع التجارية ، ولكن بالقياس الخفىّ تجب عليه الزكاة لأنه قد ملك نصاباً كاملاً فيما تجب فيه الزكاة(١) .

(جـ) المصلحة المرسلة

ويسميها الأصوليون الزيديون (المناسب المرسل) ، وهى ضرب من ضروب القياس ولذا فإن مؤلفيهم فى الأصول قد ألحقوها به ، ويعرفون المناسب بأنه « وصف ظاهر منضبط يقضى العقل بأنه الباعث على الحكم » .

قال صاحب الغاية: «واعلم أن المقاصد الشرعية التى قصدها الشارع لتكون علةً فى أحكام يجب مراعاتها لمصالح الأمة ضربان :

الأول : ضرورى ، وهو أعلا المراتب كالخمسة التى روعيت فى كل مسلم وهى : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والنسل ، فمراعاتها علّة فى أحكام ، فحفظ الدين علّة فى قتال أهل الكفر ، وحفظ النفس علة فى القصاص ، وحفظ العقل علة فى تحريم الخمر ، وحفظ المال علة فى قطع يد السارق والمحارب ، وحفظ النسل علة فى تحريم الزناء ونحوه ، وقد نظمها بعضهم فى بيتين من الشعر ، هما :

مضت حفظ خمس فى جميع الشرائع ورُوعى ـ فاعلم ـ ذاك فى كل ملة
هى الدين ، ثم النفس ، والعقل ثالث مع النسل ، مالٌ ، فاحشها فى المسامع

الثانى : مكمل للضرورى كتحريم قليل المسكر والحدّ عليه ، وهو إما حاجىّ كالبيع والإجارة والمضاربة ، أو مكمل للحاجىّ كمهر المثل فى الصغيرة.

(١) الكاشف : ١٤٤ .

وللمناسب أقسام أربعة :

(ا) مناسب مؤثر : وهو ما ثبت بنص أو إجماع اعتبار عينة فى عين الحكم ، كتعليل ولاية النكاح فى حق الصغير لأنه قد أجمع على اعتبار الصغر فى ولاية المال .

(ب) المناسب الملائم : وهو ما اعتبر جنس الحكم أو جنس الوصف علة فى الحكم ، أو جنس الوصف علة لجنس الحكم . أما اعتبار جنس الحكم : فكأولوية الإخوة الأشقاء فى الولاية على النفس ، بعلة جنس الحكم وهو أولويتهم فى الميراث ، وأما اعتبار جنس الوصف : فكجواز الجمع فى الحضر مع المطر قياساً على السفر بجامع الحرج ، وأما اعتبار جنس الوصف فى جنس الحكم فكإثبات القصاص بالمثقل قياساً على المحدد بجامع كونهما جناية عمد عدوان ، فالحكم — وهو مطلق وجوب القصاص — جنس يجمع القصاص فى النفس وغيرهما مما يجب فيه القصاص كاليدين والرجلين وغير ذلك ، والوصف المناسب — وهو جناية العمد العدوان — جنس أيضاً بجامع الجناية فى النفس والأطراف والمال .

(ج) المناسب الغريب : وهو ما يثبت اعتباره بمجرد ترتب الحكم على وفقه ، ولم يثبت بنص ولا إجماع اعتبار عينه ولا جنسه فى عين الحكم ولا جنسه ، وذلك كتعليل النبيذ بالإسكار قياساً على الخمر ، ولكنه من جنس المصالح التى قررها الشرع ، ولأن الإسكار علة فى تحريم الخمر ، وسمى غريباً لعدم النص أو الإجماع على اعتبار عينه .

(د) المناسب المرسل : وهو مالم يثبت اعتباره بشىء مما سبق ، كالمصلحة الراجحة فى قتل المسلمين الذين ترّس بهم الكفار ، ولا يكون قتلهم إلا عند

الضرورة وهى المحافظة على شوكة الإسلام فحينئذ يجوز قتلهم ولا دليل عليه إلا القياس المرسل ، وكذا قتل الزنديق ، وتحريم النكاح على العاجز عن الوطء لأنه يعرضها لفعل القبيح ، وفسخ امرأة المفقود ، واعتداد من انقطع حيضها إلا لعارض معلوم بالأشهر لما فى التربص من الضرر ، وغير ذلك[1] .

ويشترط الزيدية فى العمل بالمصلحة المرسلة عدم مصادمتها لنصوص الشرع مع ملاءمتها لقواعد أصوله وألا يكون لها أصل معين .

(الدليل العقلى)

يستشف من أبحاث الكتاب الزيديين فى علم الأصول إهتمامهم الكبير بقيمة العقل البشرى وأهميته العظمى فى التمييز بين الحُسن والقبح عند عدم وجود الدليل الشرعى من كتاب وسنة وإجماع وقياس .

وقد فتح له مؤلف الغاية فصلاً مستقلاً ضمن المقصد الثامن من مقاصد الكتاب ، كما تعمق فى ذلك الإمام لمهدى فى كتابه (معيار العقول) .

والذى نستخلصه من تلك الأبحاث أن ما من قضية أو حادثة سواء كانت علمية أو عملية إلا وفى إمكان العلم إخضاعها لسلطان الشرع عند وجود الدليل الشرعى ، أو لسلطان العقل إن تعذر ذلك .

وكما علمت مما سبق أن الزيدية من أكثر المذاهب تحرراً فى فتح أبواب القياس وما يتبعه من الاستصحاب والاستحسان والمناسب (المصلة المرسلة) وأكثرها تعمقاً وتحقيقاً وبسطاً ، فإنهم كذلك أعظمهم اهتماماً بقيمة العقل ولهذا نجد مؤلفات الزيدية فى الفقه وأصوله مشحونة بالأدلة العقلية ، ولم يقتصروا

---

(١) معيار العقول .

فى تعويلهم على العقل فى تمييز الحُسن والقبح عند عدم وجود الأدلة فحسب ، بل جعلوا عليه معولهم فى استنباط الأحكام وتقريرها عند عدم الدليل .

وجعلوا (الإباحة) فى الأشياء أساساً للحكم العقلى فيما يثمر نفعاً عاماً أو خاصاً ولم تَشُبْه مضرة عامة أو خاصة . قال مؤلف الغاية : « ونحن نقطع بحسن الانتفاع به كما نقطع بقبح الظلم وحسن الإحسان وذلك على سبيل المثال إقتطاع الأشجار والانتفاع بها ونحت الصخور واستخراج المعادن ونحو ذلك مما يقضى العقل بإباحته وعدم الضرر فيه لا عاجلاً ولا آجلاً ، وهم فى رأيهم هذا يخالفون بعض الفقهاء والبغدادية من المعتزلة وبعض الإمامية وغيرهم ممن يقول بأن الأصل فى الأشياء (الحظر) بصفة ذلك تصرف فى ملك الغير بدون أذنه ، لأن الأذن مفروض، فيقبح ، وكان رد الزيدية على ذلك قولهم : لا نسلمٍّ قبح التصرف فى ملك الغير مطلقاً ، وإنما يقبح لو ضره أى المالك لكنه فيما نحن فيه ميزه عن الضرر ، أما من توقف فى الحكم على الأشياء فهم الأشاعرة وبعض الشافعية بمعنى لا يدرى هل هنا لك حكم أو لا ؟ وهل الحكم المفروض حظر أو إباحة ، قالوا لعدم الدليل على ثبوت حكم فى ذلك ، وكان ردُّ الزيدية بأن الحق على خلاف ذلك[1] .

وقد جعلوا قاعدتهم هذه أصلاً من أصول الأدلة العقلية وهو الرجوع إلى الأصل وهو (الإباحة) فيما لا يَحْرم وذلك فيما لا يوجد له دليل واحد من الأدلة الشرعية المتقدمة الذكر

---

(١) الغاية .

٥ — الاجتهاد

هو فى اللغة استفراغ الوسع فى تحصيل شىء ، وفى اصطلاح الأصوليين : استفراغ الفقيه الواسع لتحصيل ظن بحكم شرعى[١] ، وعرّفه الإمام المهدى بقوله : إنه بذل الجهد فى تعرف الحكم بطريق الاستدلال .

والزيدية على الإطلاق يقولون بوجوب الاجتهاد ، وبإمكانه على كل مكلف إذ ما من أحد إلا ويمكنه بلوغ درجة الاجتهاد ، فيستخرج المسئلة حينئذ من دليلها الشرعى ، لأن التكليف يقتضى التمكن[٢] .

ويطلقون على من يتمكن من استنباط الأحكام من الأدلة فقيها ، ومن الحصول على ما يحتاج إليه فى الاجتهاد مجتهداً .

والمجتهد فى مسألة أو مسائل مخصوصة يكفيه معرفة ما يتعلق بها ولا يضر جهل ما عداه .

أما العلوم المحتاج إليها فى الاجتهاد والتى هى شرط فيه فهى خمسة أشياء :

١ — اللغة العربية من نحو وصرف ولغة ، فلا يتمكن من استنباط الأحكام إلا من فهم كلام العرب أفراداً وتركيباً ، أما الإمام يحيى بن المحسّن — وهو من كبار أئمة الزيدية — فيقول بأن المجتهد يكفى أن يكون عربياً ، لأن العربى فى نظره من شرط عربيته أن يكون متقناً لغته .

٢ — علم الأصول ، أى أصول الفقه ، أما أصول الدين — ويسميه الزيدية علم الكلام — فلا يشترط فى معرفته إلا الإلمام بالقدر الذى يتم به نسبة الأحكام إلى الله تعالى من كونه موجوداً قديماً حياً قادراً سميعاً عليماً ، وثبوت تكليفه

---

(١) الكاشف (٢) القلائد .

وبعثة النبى (ص) ومعرفة معجزاته وشرعه وإن لم يتبحر فى أدلتها التفصيلية ، أما أصـول الفقه فهى عمدة الـكل ، ومن لم يعلمه فهو حاك فقط ، وإلا خلط وهلك[1] .

والذى يُحتاج إليه من ذلك : معرفة حكم العموم والخصوص ، والمجمل والمبين ، وشروط النسخ : ما يصح نسخه وما لا يصح ، وما يقتضيه الأمر والنهى من الوجوب والحظر ومعرفة الإجماع والقياس ، مع ما ضم إلى هذه من معرفة المفاهيم والترجيحات والحقيقة والمجاز وغيرها فلا يمكن استنباط الأحكام إلا بمعرفة هذه الأمور ، وأما فروع الفقه التى ولّدها المجتهدون بعد اتصافهم بالاجتهاد فليست بشرط فيه إذ لا يلزم إلا معرفة مسائل الإجماع منها فقط .

٣ — القرآن : ولا يُشترط معرفة جميعه ، بل معرفة الآيات المتعلقة بالأحكام .

٤ — السنة : أى سنة الرسول الأعظم (ص) ، ولا يشترط فيها الحفظ غيباً ، بل قال صاحب الغاية : يكفيه معرفة كتاب مصحح كالسنن لأبى داؤود مثلاً ، أو أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان أو الشفاء للأمير الحسين ، أو أمالى أحمد بن عيسى .

٥ — مسائل الإجماع : أى المسائل التى وقع عليها الإجماع من الصحابة والتابعين وغيرهم من مجتهدى هذه الأمة ، وهى قليلة جداً ، قيل سبع عشرة مسـئلة .

هذه هى شروط الزيدية فى الاجتهاد وهى كما ترى يسيرة وممكنة لـكل مسلم ، ولهذا أوجبوا الاجتهاد فى الدين وعدم التقليد فى الأصول ، سـواء

١

أصول الدين أو أصول الفقه أو أصول الشرائع التي هي الصلاة والصوم والحج إذ لا يأمن المقلد فيها خطأ مقلده فيكون على ضلاله ، أما الفروع فيجوز التقليد فيها لغير المجتهد وهو من يتمكن من البحث والتحقيق .

ومن قواعدهم الإجتهادية : « أن الحق مع واحد » في المسائل القطعيات ، وهي ما دل عليها دليل قاطع من عقل أو سمع ، كحدوث العالم وغيره من مسائل الكلام ، وأركان الإسلام الخمسة ، وتحريم القتل ، وشرب الخمر ، وأن المخالف في هذا مخطئ آثم ، ومعنى ذلك أن هذه القطعيات لا تتعدد فيها الأقوال ، لأنها مما علم من الدين ضرورة ، فمن أصابها فقد أصاب الحق ومن أخطأها فقد أخطأه ، فإن كان فيما يرجع إلى الله ورسوله فكفر وإلا فابتداع .

أما المسائل الظنية : وهي ما لا يُحتاج فيها إلى دليل قطعي سواء من نص كأخبار الآحاد مثل حديث الأوسق والقروء ، أو قياس الأرز على البر — الحنطة — في تحريم الرباء — فكل مجتهد فيها مصيب ، مع صحة الفهم وحسن التقدير وصلاح النية وسلامة الاعتقاد ، لأن ذلك شرط في صحة الاجتهاد بكامله .

والمجتهد عند الزيدية قسمان :

١ — مجتهد مطلق : وهو من كملت فيه الشروط المذكورة آنفا ، ويسمى (المجتهد المستقل) والمجتهدون المستقلون كثيرون في المذهب الزيدي .

٢ — مجتهد مذهب : وشرطه الاطلاع على أصول المنتسب إليه ، ليكون استنباطه على حسبها ، ويسمى استنباطه لحكم جديد : اجتهاد في الحكم والدليل ، ولا يكون هذا إلا في الفروع ويدخل في ذلك المخرِّجون والمرجِّحون والمفرِّعون للمذهب .

التقليـد :

ومعناه فى الاصطلاح الفقهى : إتباع قول الغير من دون حجة ، وقد أشرنا إلى مذهب الزيدية فيه ، وقد أوجبوا على المقلد البحث عن كمال من يقلده فى علمه وعدالته ، والمقلدون هم العوام ، أو من لم يصل به علمه إلى درجة الترجيح والتخريج ونحو ذلك ، وجاء فى مقدمة (الأزهار) للامام المهدى أحمد بن يحيى عن التقليد ما لفظه :

« وكل مجتهد مصيب ، وتقليد الحىّ أولى من الميت ، والأعلم من الأورع والأئمة المشهورون من أهل البيت أولى من غيرهم ، لتواتر صحّة اعتقادهم ، وتنزههم عما رواه البويطى وغيره عن غيرهم من إيجاب القدر وتجويز الرؤيه... والتزام مذهب إمام معين أولى ولا يجب » .

(مؤلفات الزيدية فى أصول الفقه)

للزيدية مؤلفات كثيرة فى هذا الفن ، لا يتسع هذا المجال لذكرها ولـكنا سنـكتفى بالمهم والمشهور منها :

(١) المجزى : للامام أبى طالب (٢) الحاوى : للامام عبد الله بن حمزه (٣) المقنع : للامام يحيى بن المحسّن (٤) البلغه : لأبى العباس محمد بن محمد ابن احمد الطوسى (٥) المدخل (٦) حقائق المعرفة : للامام أحمد بن سليمان (٧) نهـاية الوصول إلى علم الأصول (٨) الحاوى (٩) المعيـار ، (١٠) القسطاس : للامام يحيى بن حمزه (١١) الانتقاد فى الآيات المعتبرة فى الاجتهاد وشرحه المستجاد (١٢) معيار العقول فى علم الاصول ، وشرحه منهاج الوصول : للامام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى .

(١٣) فائقة الأصول : للقاسم بن أحمد بن حميد المحلى (١٤) جوهرة الأصول : للشيخ أحمد بن الحسن الرصاص ، وشرحها للقاضى عبد الله بن الحسن الدّوارى المتوفى سنة ٨٠٠ هـ . وهو أحسن شروحها (١٥) الفصول اللؤلؤية : للسيد صارم الدين بن الوزير صاحب البسامة وشرحها للسيد أحمد لقمان ، وعليها شرح آخر للقاضى على محمد سلامه الصنعانى المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ (١٦) الغاية للسيد الحسن بن القاسم (١٧) القسطاس المقبول شرح معيار العقول : للامام الحسن بن عز الدين (١٨) الكافل لنيل السؤول : القاضى محمد بن يحيى بهران وشرحه : الكاشف لذوى العقول عن وجوه معانى الكافل لنيل السؤول : السيد أحمد بن محمد لقمان (١٩) محاسن الأزهار : الفقيد حميد الشهيد المحلّى (٢٠) شرح مختصر المنتهى للسيدة دهماء بنت يحيى بن المرتضى أخت الإمام المهدى أحمد بن يحيى (٢١) إرشاد الفحول إلى علم الأصول : القاضى محمد بن على الشوكانى .

(فقه الزيدية)

لم يكن لزيدية اليمن — وحتى القرن العاشر الهجرى — فقهاً محدداً أو معيناً لذاته كما يقال عن غيره من المذاهب الإسلامية ، وإنما كان عبارة عن مجموعة ضخمة من الموسوعات العلمية التى تتضمن الآراء والاجتهادات والترجيحات التى كان يستنبطها كل مجتهد من الأدلة الشرعية والعقلية كنتيجة لأبحاثهم العميقة ودراساتهم الشاملة لمذاهب الإسلام .

وقد أسلفنا القول أن الزيدية لم ينتسبوا لمذهب الإمام زيد إلا لمتابعتهم له فى مسائل خاصة تتعلق بأصول الدين وقد سبق الكلام عنها ، أما الفقه وأصوله فمنهم من يوافقه ومنهم من يخالفه ، إلا أنهم جميعاً وعلى الإطلاق لم يخالفوه فى وجوب الاجتهاد الذى يُرجعون إليه الفضل فى فتح بابه وإنارة سبيله .

وعند ما نمعن النظر فى مجموع الإمام زيد — وهو أقوى مصادر الفقه الزيدى — نجد أن الإمام زيد قد حمله اجتهاده حتى إلى عدم العمل بما روى عن جدّه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذى يعتبر المصدر الأول لرواياته فى الحديث ، فقد ذكر فى باب (الطلاق) من كتاب (الأحكام) روايات عن الإمام علىّ فى هذا الباب ، واعتذر عن العمل بمقتضاها لعدم صحتها لديه ، فى حين أنه من أشد الناس متابعةً له وتمسكاً بمروياته .

كذلك الحال عند ما نقرأ مؤلفات الإمام الهادى كالأحكام وغيره نجد أنه لم يقلد الإمام زيد ولا غيره حتى ولا فى مسئلة واحدة ، بل لربما خالفه فى كثير من المسائل ، كالقول بتحريم نكاح الكتابية ، وأحكام المبتوتة ، والقنوت قبل الركوع ، والضم فى الصلاة إلى غير ذلك من المسائل التى أوردها الإمام المهدى فى كتابه (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار)[١] .

وبالرغم من أن آراء الهادى قد شكلت مذهباً جديداً ، حظى فى اليمن وغيره بانتشار واسع ولمدة تزيد على ألف عام ، فإن كثيراً من علماء الزيدية وأئمتهم قد خالفوه أيضاً فى كثير من آرائه الفقهية، نذكر منها على سبيل المثال : الحكم فى صلب القاتل بعد قتله ؛ وصحة الصلح بمعلوم عن مجهول ، وأولوية الجارح على المعدِّل فى الشهادة وإن قلّ عدد الجارحين ، وعدم انتقاض الحكم

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ فى خمسة مجلدات ويسمى : (الأحكام فى فقه أئمة الإسلام) . خرج أحاديثه القاضى العلامة محمد يحيى بهران المتوفى سنة ٩٥٧ هـ ، وقد مدح الكتاب الكثير من علماء اليمن وشعرائهم ، من ذلك ما قاله السيد محمد بن إبراهيم الوزير :

غرق الأنام ببحرك الزخار ... فافخر على الأقران أى فخار
أوتيت من بين الأئمة آية ... تبقى مع القرآن فى الأعصار
بهرت فلم يسطع عدوك ردها ... بتهاون فيها ولا إنكار

برجوع الشهود فيما عدا الحدّ والقصاص ، وغير ذلك من أحكام العبادات والمعاملات .

وعلى الجملة فإن المذهب الزيدى كما قلنا مذهب تحررى يقوم على أساس البحث والاجتهاد فى كلما يتعلق بالأحكام الشرعية ، ولهذا نستطيع أن نقول أنه ليس كلما فى مجموع الإمام زيد من الفقه والحديث قد ألزم الهادى العمل به مع وجدانه خلافه ، كما أنه ليس فى كلما احتوى عليه كتاب (الأحكام) للهادى و (الشفاء) للأمير الحسين مثلاً قد ألزم أئمة الزيدية العمل به مع وجدانهم خلافه أيضاً جرياً على سنن الاجتهاد والتقيد به .

ولهذا نجد أن كثيراً من هؤلاء المجتهدين قد كتبوا فى الفقه وأصوله ، كل منهم يفصح برأيه ويبين اجتهاداته ، الأمر الذى يجعل من الصعب علينا إحصاء تلك المؤلفات .

ولكنه يكفينا هنا أن نُشيد بجهود أول جامع لتلك الأحكام والخلافات منها وهو الإمام المجتهد المطلق المهدى أحمد بن يحيي المرتضى كما وصفه بذلك العلامة صالح بن مهدى المقبلى فى مقدمته على (المنار) ، فقد خلف لنا هذا الإمام كنزاً ثميناً من الآراء المذهبية والاجتهادات الفقهية فى مؤلفاته الكثيرة ونذكر منها هنا (الازهار) وشرحه ، و (البحر الزخار) اللذين لم يقتصرا على فقه الزيدية فحسب ، وإنما شملا الفقه الاسلامى عامة وأدلة كل حكم فيه .

وفى أواسط القرن التاسع الهجرى ظهرت مجموعه من العلماء المحصلين والمخرجين الذين قاموا بدارسة هذين الكتابين ، وعلى غرارهما وضعوا الأساس لقواعد المذهب عملاً بما تقرر لديهم من أقوال الأئمة واجتهاداتهم وفتاويهم وتقريراتهم فى جميع أبواب الفقه ، وجعلوا المذهب المختار — كما قال الإمام القاسم بن محمد - ما انطبقت عليه تلك القواعد والأصول من مسائل الفروع

مما كان من أقوال الأئمة المتقدمين كزيد بن على والصادق والباقر وأمثالهم ، وكذا الهادى والناصر ويحيى بن حمزة وعبد الله بن حمزة وغيرهم ملائماً لتلك القواعد جعلوه مذهباً وسموه (اختيارات المذهب الزيدى) .

ويجمع هذه الاختيارات (شرح الأزهار)[1] ويتضمن أيضاً اختيارات المذاهب والفرق الإسلامية الاخرى .

أما بالنسبة لاختيارات المذهب الزيدى خاصة فقد قام بجمعها عدد غير قليل من الفقهاء نذكر منهم القاضى العلامة عبدالله بن على العنسى المتوفى سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) صاحب المجموع المعروف بـ«مجموع العنسى» فى الفقه وهو فى ثلاثة مجلدات ضخمة من القطع الكبير ، والقاضى العلامة المعاصر أحمد بن قاسم العنسى الذى لخصها فى كتابه : (التاج المُذهب لأحكام المذهب)[2] .

هذا ولا بد لنا من الإشارة هنا إلى أهم مراجع الفقه الزيدى العام، وهى بحسب الأقدمية الزمنية كما يلى :

١ — مجموع الإمام زيد وشرحه الروض النضير : للقاضى الحسين بن أحمد الحيمى (٢) الأحكام ، (٣) المنتخب، (٤) الفنون — للإمام الهادى .
(٥) الفقه : للإمام الناصر أحمد بن الهادى .

---

(١) قام بشرحه عدد من علماء اليمن حتى بلغت شروحه الستة وهى : (الغيث المدرار) لمؤلف الكتاب الإمام المهدى ، وقد انتزع منه العلامة أبو الحسن عبد الله بن مفتاح المتوفى سنة ٨٤٠ هـ شرحاً نفيساً طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ فى أربعة مجلدات ، قال القاضى العلامة أحمد الزحيف عن (الغيث) بأنه سار فى الأقطار مسير الشموس والأقمار وانتفع به كثير من الخلق . ومن شرح (الأزهار) القاضى على محمد النجرى فى كتاب سماه (المعيار) ، والسيد أحمد محمد الشرفى ، وابن عبد الباعث فى (جلاء الأبصار) ، وابن عبد السلام فى (الأنهار) ، مع عدد من الحواشى كحاشية الشجرى ، وحاشية الفقيه سعيد وحاشية السيد الحسن بن أحمد الجلال الشهيرة بـ (ضوء النهار) التى علق عليها السيد محمد بن إسمعيل الأمير فى كتابه (منحة الغفار) .

(٢) طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م ويشتمل على أربعة أجزاء .

(٦) اللمع[1] ، (٧) العدة ، (٨) العمدة ، للأمير على بن الحسين بن يحيى بن يحيى : للأمير على بن الحسين بن يحيى بن يحيى ، (٩) التذكرة للقاضى الحسن بن محمد المنسى (النحوى) المتوفى سنة ٧٩١ هـ (١٠) الياقوتة (١١) الجوهرة (١٢) المفيدة ، (١٣) اللباب لحفيده للسيد يحيى بن الحسين بن على (١٤) الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار : للإمام يحيى بن حمزة (١٥) البحر الزخار أو (الأحكام فى فقه أئمة الإسلام) ، (١٦) غاية الأفكار (١٧) الأزهار : للإمام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى (١٨) الأثمار للإمام شرف الدين (١٩) شفاء غلة الصادى فى مذهب الهادى : للسيد إدريس بن على . (٢٠) هداية الأفكار إلى مذهب الأئمة الأطهار : للسيد صارم الدين ابراهيم بن محمد الوزير .

(مسائل الخلاف بين الزيدية والسنية)

إن مسائل الخلاف بين علماء الزيدية وأهل السنة يسيرة جداً إذا قورنت بمسائل الخلاف بين بعض المذاهب الأخرى ، ولذلك يقال أن المذهب الزيدى أقرب إلى مذهب السنة من غيره ، وإذا تتبعنا تلك المسائل الخلافية وجدنا أن معظمها يدور حول بعض المسائل الفرعية الظنية التى لا نكير على من ذهب فيها إلى قول من الأقوال ، كما هو موضح فى أصول الفقه ، كما نجد أن هذه المسائل الخلافية قد أثارت نقاشات حادة بين علماء الزيدية أنفسهم أكثر مما أثير فيها بين الزيدية والسنية ككل .

ويحدثنا السيد العلامة محمد بن إسمعيل الأمير فى كتابه (المسائل المرضية فى بيان إتفاق أهل السنة والزيدية) ، والذى أورد فيه عدداً من مسائل الخلاف بين المذهبين ، أن هنالك إتفاق بين الفريقين فى أصل تلك المسائل بل أنه ليس

(١) له حاشية تسمى (الزهرة) لمؤلفها على بن يحيى الوشلى المتوفى بصعدة سنة ٧٧٢ هـ

ثمة هنالك مايصح إطلاق كلمة (خلاف) عليه غير ماولدته الاجتهادات الخاطئة من جهة وأوجدته التعصبات المذهبية من جهة أخرى .

ولهذا فإن آراء السيد محمد بن ابراهيم الوزير — ويعتبر أحد روّاد التحرر المذهبي فى اليمن — لم تجد قبولاً حسناً فى الأوساط العلمية ، بل على العكس من ذلك ، ومن يطالع كتابه (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) ومختصره (الروض الباسم) يحسُّ بأن موجةً من النقد التعصبي والحقد المذهبي قد وجهت ضده جعلته يلجأ إلى العزلة على رأس إحدى الجبال فى (يحصب) ويتخلى من كل شيء إلا من وضع كتابه الجليل الخالد ، ألا وهو (إيثار الحق على الخلق فى رد الخلافات إلى المذهب الحق)(١) وقد أوضح الغرض من كتابة هذا الكتاب فى مقدمته الرائعة حيث قال : « ينبغى على كل مكلف أن يطرح العصبية ، ويصحح النية ، ويستعمل النظر بالفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ولا يقـدم عليها ما لقنه أهل مذهبه ، فإذا نظر كذلك فى كل أمرين متضادين فيما يحتاج إليه يجد ترجيح الحق منهما على الباطل بيناً لايدفع ، مكشوفاً لايتقنع » .

وهكذا من يقرأ رسائل السيد محمد بن إسمعيل الأمير وبعض قصائده يجد فيها الكثير من هذا النوع . ولقد قرأت فى رسالة بعنوان « السيوف المنضية على زخارف المسائل المرضـية » التى رد فيها كاتبها على السيد الأمير ما يشمّ منه رائحة التعصب الأعمى والحقد على الأئمة العلماء .

وعلى كل فلسنا بصدد بحث تلك الأهداف والتعمق فى بيان وجوه النزاع

---

(١) طبع بالقاهرة سـنة ١٣١٨ هـ ، وهو من أجل وأجل ما يتحف به الباحثون فى المذاهب الدينية الجامعة لأصول التوحيد ، وقد قامت بطبعه شركة طبع الكتب العربية بمصر لما رأت فيه من عظم الفائدة العائدة على كل ناطق بالضاد . . . إلى آخر ما جاء فى المقدمة ، ويشتمل الكتاب على ٤٦٧ صحيفة من القطع المتوسط . وأبحاثه تزيد على الأربعين بحثاً حول ما يهم المسلمين من المسائل التفسيرية والفقهية والاعتقادية ، وأكثرها من المسائل التى اختلفت فيها الاقوال وتنازعت حولها الآراء ، وافترقت من أجلها الفرق . . الخ .

والخلاف فالدنيا مليئة بكل أنواعهما لاسيا بين المسلمين — مع الأسف الشديد — وكلٌ يدعى أن الحق بيده والخطأ فى جانب صاحبه ، ولعمرى أن كل مجتهد مصيب مع صلاح النية ونزاهة القصد، ورحم الله الإمام على حيث يقول فى الخوارج وفتنتهم أعظم فتنة أصيب بها « لاتقاتلوا الخوارج بعدى ، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه » يريد أن الخوارج طلبوا الحق وحاموا عن عقيدة اعتقدوها وإن أخطأوا فيها ، وأما معاوية فكان لايطلب حقاً وإنما كان يطلب باطلاً ويحامى عنه وقد أدركه .

غير أن المؤسف كل الأسف هو تناول تلك الخلافات — وأقصد منها الاجتهادية والفكرية — بالتحاملات المشينة والقذاعات التى لاتليق بحملة العلم ودعاة التنسيق والتقريب بين الأمة الإسلامية ، الأمر الذى لايؤدى إلا إلى إذكاء الفوضى وإثارة العصبية والطائفية بين الأمة الواحدة ، ومن يطالع (المنار) للمقبلى و (السيل الجرار) للشوكانى و (الغطمطم التيار) للسماوى المعروف بابن حريوة فى الرد على السيل الجرار مثلاً يجد الكثير مما ذكرناه .

ولنعد إلى مانحن بصدده وهو الكلام عن مسائل الخلاف بين المذهبين ، وقد رأينا — إكمالاً لهذا البحث — إيراد أهم تلك المسائل الفقهية برمتها وبيان مذاهب أهل الإسلام ومنهم (الزيدية) فى كل باب :

١ — رفع اليدين عند التكبير فى الصلاة وفيه أقوال ثلاثة :

القول الأول : وقد قال بسنيته عند تكبيرة الإحرام وفى كل ركوع ورفع منه الشافعى والأوزاعى وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه لما ورد عن ابن عمر : « كان رسول الله (ص) إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى تكون حذو منكبيه ثم يكبر ، فإذا أراد أن يركع فعل مثل ذلك ، وإذا رفع رأسه

من الركوع فعل مثل ذلك ، ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود » أخرجه البخارى ومسلم وللباقين نحوه .

القول الثانى : للإمام زيد والمؤيد بالله وأبى حنيفة وعبد الرحمن بن أبى ليلى والإمام يحيى بن حمزة والليث أن رفع اليدين مستحب عند افتتاح الصلاة فقط لقول على كرم الله وجهه « إن رسول الله (ص) كان يرفع يديه عندافتتاح الصلاة بالتكبير ولا يعود إلى رفعهما بعد ذلك » ، ولقول عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله (ص) يرفع يديه قبل النطق بالتكبير والافتتاح ثم يرسلهما ويقول : الله أكبر » حكى هذين الخبرين فى الانتصار وأخرج أبو داود والترمذى والنسائى مثله .

القول الثالث : للإمام الهادى وإسحق بن راهويه وهو عدم الرفع فى الصلاة مطلقاً لقوله (ص) « مالى أراكم رافعى أيديكم كأنها أذناب خيل شمس ، أسكنوا فى الصلاة » أخرجه مسلم فى جملة حديث وأبو داود فى إحدى رواياته وكذلك الإمام مالك .

فهذه الأقوال الرئيسية مع أدلتها فى الموضوع ، وهناك شواهد أخرى أوردها كل فريق ممن ذكر غير أنهم جميعاً أجمعوا على عدم وجوب الرفع . وروى الهادى فى (الاحكام) مسنداً إلى النبى (ص) أنه قال « ما بال أقوام يرفعون أيديهم فى الصلاة ، لئن لم ينتهوا ليفعلن الله بهم وليفعلن » ، وقال المؤيد بالله « إنه جاء فى بعض الاخبار : كفوا أيديكم » ، وروى السيوطى فى الجامع الصغير عن النبى (ص) أنه قال : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن أطرافه ولا يتململ كما تتململ اليهود » وقال : « تسكين الاطراف فى الصلاة من تمام الخشوع » فهذه متمسكات الهادى ومن تابعه فى المسألة ، وهى كما ترى خلافيه ، وعلى كل فإن الاضطراب فى الرافع كما ترى ، حاصل مع الإجماع أنه ليس بواجب ، وقد قال المقبلى رحمه الله فى كتابه العلم الشامخ : « إن تفرد الهادى بالقول بعدم الرفع

هفوة يجب أن تغمر فى جانب فضله ، ورُدّ عليه بأن هذاالقول فيه مجازفة ، لأن الهادى لم ينفردوحده بالرواية كما رأيت .

أما ما روى عن الإمام زيد فقد قيل عنه بأنه لم ينقل من مذهبه إلا القليل مع قلة أصحابه ووقوع حادثه المفجع ومع ذلك فلم يعرف رأيه فى المسألة على سبيل التفصيل وجوزوا الوهم فى هـذا الصدد من أبى خالد الواسطى راوية الإمام زيد .

أما حديث ابن عمر وغيره التى تفيد الرفع عنـد التـكبير فقال محققوا الزيدية بأنها منسوخة بحديث على وعائشة ، وضعفوا رواية الرفع قبل تـكبيرة الإحرام كما هى عنـد أكثر المحدثين كالبخارى وابن المبارك والدارقطنى وابن حنبل وغيرهم ، ومع حصول الاضطراب فى ذلك فقـد قالوا إن البقاء على الأصل وهو عدم الرفع أحوط ، لا سيما مع وجود الدليل الذى ينص على المنع ، وعملاً بقوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » ، والخشوع فى عدم الحركة .

قال الإمام القاسم بن محمد فى كتابه (الإعتصام) بعد ما ساق أحاديث الهادى والمؤيد بالله وخبر مسلم فىالنهى عن رفع اليدين : «وفى كتاب (اللباب) ما لفظه : وعنه أىّ الطحاوى عن سفيان ابن المغيرة قال : سألت إبراهيم عن حديث وائل أنه رأى رسول الله (ص) يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع ، فقال إن كان وائل رآه مرة يفعل فقد رآه عبد الله ــ يعنى بن عمرــ خمسين مرةً لا يفعل ، وقال الذهبى فى الميزانفى ترجمة بشر بن حربعن ابن عمر أنه قال : « رأيتكم ورفع أيديكم والله إنها لبدعة ما رأيت رسول الله (ص) يفعلها قط » .

وهذه الأحاديث بكمالها فى (الإعتصام) للإمامالقاسم بن محمد و (التجريد)

للمؤيد بالله تدل على النسخ للرفع لما لها من الشواهد مع الخلاف فى أصل شرعيته كما يراه الإمام الهادى فى جواباته على أبى القاسم وذلك لحصول التناقض فى حديثى الإمام على وابن عمر رضى الله عنهما .

٢ — وقت التوجه ، وفيه قولان :

الأول : أنّ وقته بعد تكبيرة الإحرام ، وهو مذهب الإمام زيد والصادق والباقر والمؤيد بالله والفقهاء لحديث أبى هريرة رضى الله عنه : « كان (ص) إذا افتتح بالتكبير قال وجهت وجهى » ، وقد قال عنه الإمام المهدى فى (البحر) إنه معارَض بخبرى عائشة الآتى ذكرهما .

الثانى : أنّ وقته قبل تكبيرة الإحرام ، وهو مذهب الهادى وجده القاسم ابن إبراهيم وأبى العباس وأبى طالب من أئمة أهل البيت ، والحنفية والشافعية لقوله (ص) وكبره تكبيراً ، وحديث عائشة أن النبى (ص) كان يفتتح الصلاة بالتكبير وقراءة القرآن ، وفى الجامع الصغير عن عائشة قالت « كان رسول الله (ص) يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ، ويختتمها بالتسليم » أخرجه مسلم وأبو داود ، وقد رواه الأمام الهادى فى (الأحكام) عن جده الإمام القاسم لقوله (ص) للمسيء صلاته ما يدل على تعقيب القراءة للتكبير حيث قال « إذا قمت إلى الصلاة فكبر واقرأ » .

٣ — التأمين بعد الفاتحة ، وفيه قولان :

الأول : استحباب التأمين ، للحنفية والشافعية لفعله (ص) عن أبى هريرة قال : « كان رسول الله (ص) إذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال : آمين حتى يُسمع مَن يليه من الصف الأول » أخرجه أبو داود وغير ذلك من الأدلة .

الثانى : أن التأمين بدعة : وهو للإمام الهادى وجده القاسم والإمام

الناصر الأطروش ومن تبعهم لقوله (ص) لمن شمت العاطس فى الصلاة « لا يصلح فيها شىء من كلام النـاس » وهو المختـار لمذهب الزيدية ، وقالوا فى حديث أبى هريرة الآنف ذكره ، وكذا حديث وائل بن حجر وأبى موسى الأشعرى بأن حديثهم هذا تفرد به عمر بن الخطاب فليس بمشهور ولا مستفيض لأنه من أفراد الحـديث بل إنه لم يشتهر إلا فى الطبقة الثالثة من التابعين وبذلك لا يعد مشهوراً ، على أن الزيدية لا يرضون بأحاديث الثـلاثة المذكورين وأمثالهم إلا تأكيداً ، ومن قولهم فى وائل بن حجر بأنه كان فى عسكر على عليه السلام وكان يكتب بأسراره وأخباره إلى معاوية .

وقال الهادى فى كتابه (الأحكام) : « لم أر أحداً من آل رسول الله (ص) ولم أسمع عنه يقول (آمين) » وروى عن جـده الإمام القاسم بن إبراهيم أنه قال : ما نحب أن تقال لأنها كلمة أعجمية لا يعرفها العرب وليست من القرآن .

وقال الناصر الأطروش فى مسائل الديلمى ما لفظه : « وهذا مما لا يراه آل محمد (ص) ولا يفعلونه ، وهو عندهم بدعة » روى هذا القول أحد أعلام الزيدية القاضى زيد بن عبد الله العنسى رحمه الله .

٤ — ضم اليدين على الصدر وفى ذلك ستة أقوال :

الأول : للإمام زيد وأحمد بن عيسى والحنفية والشافعية ، بأنه مشروع لرواية المهلب بن يزيد الطائى: « كان رسول الله (ص) يؤمنا فيأخذ شماله بيمينه » وأدلة أخرى ، ولقوله (ص) « أمرنا معاشر الأنبياء : أن نعجل الفطور ، ونؤخر السحور ، ونأخذ بأيماننا على شمائلنا فى الصلاة » .

الثانى : للشافعى وابن الزبير : السكون فلو سكن مرسلا لكفى .

الثالث : للأوزاعى : أن المصلى مخير بين الضم والإرسال .

الرابع : للإمام الهادى والقاسم وأبى طالب وكافة القاسمية والناصرية : وضع اليد على اليد غير مشروع فى الصلاة لقوله (ص) « أسكنوا فى الصلاة » وهو حديث صحيح ، وقال الهادى بأن الضم يبطل الصلاة لأنه فعل كثير ، وقال المؤيد بالله ويحيي بن حمزة : « يكره ولا تفسد به الصلاة » وقال الإمام المهدى فى (البحر) « إن تركه أحوط » .

وأورد بعض الزيدية أقوالا تنفى أن الضم مذهب الإمام زيد وأحمد ابن عيسى ودعموها بأقوال عنهما تخالف ذلك ، كما أوردوا عدداً من الأدلة عن محمد بن منصور المرادى إستدلوا بها على بطلان رواية وضع الكف على الكف .

ء — القراءة خلف الإمام ، وفيه أربعة أقوال :

الأول : للإمام زيد والهادى والقاسم والمؤيد بالله وأحمد بن عيسى وعبد الله بن الحسن وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهوية ، وهو أحد قولى الإمام الشافعى ، وهو عدم القراءة حيث يجهر الإمام لقوله تعالى : « فإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » .

الثانى : لسعيد بن المسيب والزهرى ومحمد بن كعب : يقرأ حيث يخافت الإمام لقوله تعالى : « فاقرؤا ما تيسر منه » ، وهو عام إلا ما خصّه الدليل .

الثالث : لأبى حنيفة وأصحابه : لا يقرأ مطلقا لقوله (ص) « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » ونحوه .

الرابع : للشافعى : يقرأ الفاتحة مطلِقاً لقوله (ص) « فلا تفعله إلا بفاتحة الكتاب » .

وقد احتج أهل القول الأول وهم الزيدية بحديث أبي هريرة أن رسول الله (ص) إنصرف من صلاة يجهر فيها بالقراءة فقال : هل قرأ معى أحد منكم آنفاً ؟ فقال رجل : نعم ، فقال رسول الله (ص) : «أنا أقول مالى أنازع القرآن» قال « فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله (ص) فيما يجهر فيه حتى سمعوا ذلك من رسول الله (ص) » أخرجه مالك فى الموطأ وأبو داود والترمذى والنسائى ، وبقوله (ص) « فإذا قرأ فانصتوا » وهى زيادة فى بعض روايات أبى هريرة،وأول الحديث «إنما جُعل الإمام ليؤتم به . إلى آخره» ، وقوله (ص) «فقراءة الإمام له قراءة » ، وقوله (ص) « فلا تفعلوا » وأطلق ، وبما أخرجه سعيد بن منصور فى سننه عن محمد بن كعب قال : « كانوا يتلقنون من رسول الله (ص) ،إذا قرأ شيئاً قرأوا معه حتى نزلت هذه الآية يعنى«فإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، وأخرج المؤيد بالله عن جابر عن النبى (ص) أنه قال من صلى ركعة ولم يقرأ بأم الكتاب فلم يصلّ إلا أن تكون وراء الإمام » ، وهناك أدلة أخرى تمسك بها الزيدية أوردها أهل المطولات فى الفقه والحديث فليرجع إليها من أحب الاستقصاء .

٦ — هيئة التشهد والاعتدال بين السجدتين ، وفى ذلك سبعة أقوال :

الأول : لأبى حنيفة ، الاكتفاء بأدنى وضع .

الثانى : للامام مالك ، أن يكون أقرب إلى الجلوس لقوله (ص) « حتى تطمئن جالساً » .

الثالث : لأئمة أهل البيت والزيدية جميعاً والشافعى ، إفتراش الرجل اليسرى ونصب اليمنى لفعله (ص)وقوله:«فإذا رفعت فاقعد على فخذك اليسرى ».

الرابع : للشافعى فى أحد قوليه ، بل يجلس على صدور قدميه ، قال الإمام المهدى فى (البحر) ، « ولا أحفظ وجهه ، والإقعاء منهى عنه لقوله (ص)

« لا تقعوا إقعاء الـكلاب أو القرود » وقد جاء هذا الحديث في المهذب عن أبي هريرة قال : « نهى رسول الله (ص) أن يُقعى إقعاء القرود » قال في البحر : وهو أن يقعد على وركيه وينصب ساقيه وفخذيه .

السادس : لأبي إسحق من أصحاب الشافعي : أن يجعل يديه على الأرض ويقعد على أطراف أصابعه .

السابع : للعبادلة [1] ونافع وطاووس بن كيسـان ، ومجاهد بن جبير المخزومي ، والمنصور بالله عبد الله بن حمزة من أئمة الزيدية وظفر بن داعي : القصد الاعتدال على أي وجه ، فأي وجه أتى به أجزأ .

وقد احتج الزيدية وهم أهل القول الثالث بفعل النبي (ص) لحديث عائشة أنه (ص) كان إذا قعـد للتشهد اضجع رجله اليسرى ونصب رجله اليمنى على صدرها ، ولقوله (ص) لحديث المسيء صلاته السالف الذكر .

هذا وهنالك خلافات أخرى ومعظمها في الفروع وهي خلافات بين أكثر أهل المذاهب الإسلامية وأسباب ذلك صحة الأدلة عند بعضهم وبطلانها عند البعض الآخر ، وبعض الخلافات محورها القيـاس وما يتبعه من الاستحسان والاستصحاب والمصلحة المرسلة فبعضهم يقول به وبعضهم لا يقول وهكذا . ومن يفحص تلك الخلافات الفرعية ـ وهي كثيرة في المعاملات ـ ويمعن النظر في وجوهها يجد أن أساسها في الغالب تمسك أهل المذاهب بآرائهم وقوة شكيمتهم في الدين والحرص على المبادىء وهذا مما يطمئننا بأن الإسلام بخير وأن الأمة المحمدية لا تزال في مرسى النجاة مهما تمسكت بأصول دينها القويم وتعاليمه السمحة .

---

(١) هم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبـد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن مسعود .

(طبقات الزيدية وأعلامها ومؤرخوها)

إن أعلام المذهب الزيدى داخل اليمن وخارجه خلق كثير لا تتسع لتراجمهم المجلدات ، ولهذا فقد أورد السيد صارم الدين إبراهيم بن القاسم فى كتابه (طبقات الزيدية [١]) ما يزيد على ثلاثة آلاف وثمانية وسبعين ترجمة لأسماء رواة الآثار الذين جاء ذكرهم فى كتب أئمة الزيدية للتفسير، والحديث والفقه ، والمنطق، والتاريخ ، والأدب، منذ القرن الأول الهجرى حتى سنة ١١١٤هـ وهو تاريخ وفاة مؤلف (الطبقات) ، وقد حصر هؤلاء الأعلام فى سبع طبقات مرتباً كل طبقة على حسب النظام الأبجدى .

وهنالك مصادر أخرى لطبقات الزيدية وأعلامها وأدبائها ومؤرخيها ، تعتبر دليلاً صحيحاً على أن مؤرخى الزيدية — وهم كثيرون جداً — قد خلفوا لنا فى هذا الصدد مجموعات نادرة ومراجع ثمينة من تراجم هؤلاء الأعلام وسيرهم المفعمة بفنون من العلوم والآداب .

إلا أنه — ومع الأسف الشديد — أن هذه المراجع الهامة لم تحظ حتى الآن بشىء من الاهتمام والنشر ، بل لم يطبع منها إلا النزر اليسير ، ومن الصعوبة بمكان العثور على الغالب منها .

وسنقدم للقارىء بياناً شاملا عن أهم ما كتبه المؤرخون اليمنيون فى آخر هذا الفصل علماً بأن الكثير من تلك المؤلفات نادرة الوجود بل ومتعذرة .

ولنعد الآن إلى ما نحن بصدده ، وهو إيراد نبذة من تراجم رجال المذهب الزيدى داخل اليمن وخارجه، وبالأخص الذين عرفت آراؤهم وانتشرت مؤلفاتهم:

---

(١) قال السيد الحافظ ابراهيم بن عبد الله الحوثى فى كتابه (نفحات العنبر) إن مؤلف هذه الطبقات جمع أسماء الرواة الذين فى كتب الزيدية فاوعى ، ولم يشذ عنه أحد ، وسلك فى حسن الصناعة وجودة التأليف ولطف الاسلوب مسلك الحافظ الذهبى فى تصانيفه ... الخ .

أحمد بن عيسى — الإمام ت[1] : ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) .

هو حفيد الإمام زيد بن على رضى الله عنه . نشأ بالعراق حيث تلقى الحديث والفقه وعلوم الاجتهاد . كان يرى رأى الإمام زيد فى وجوب الخروج على الظلمة وأهل الجور ، ولذلك خرج على الخليفة العباسى هارون الرشيد ، لكن هارون تمكن من إلقاء القبض عليه واعتقاله ، وبعد بضع سنوات تخلص من السجن واختفى بالبصرة حيث ظل مختفياً حتى مات .

وكتابه (الأمالى) من مراجع الزيدية فى الحديث ويسمى عندهم (علوم آل محمد) ، وقد أودع فيه مروياته عن آبائه وأجداده ، كما ضمنه أيضاً نظرياته فى الأصول والفقه ، وفيه يقول السيد محمد بن ابراهيم الوزير: «هو أساس علم الزيدية ومنتقى كتبهم وأقدمها ، وفيه ذكر الأسانيد . سمع عن جامعه محمد بن منصور المرادى علامة العراق سنة ٢٥٦هـ ، وهو العام الذى توفى فيه البخارى .

محمد بن منصور المرادى[2] :

قال فى الطبقات : هو أبو جعفر الكوفى ، ويقال أبو عبد الله وأبو سليمان المقرى علامة العراق والشيعى بالاتفاق ، سمع عن الأئمة من أهل البيت الاعلام وهم القاسم بن ابراهيم الرسى وأحمد بن عيسى بن زيد بن على والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على فقيه الكوفة وغيرهم ، كما روى عنه كثيرون ، منهم الناصر الأطرش وهو آخر من روى عنه وكذا محمد بن يعقوب المعقلى شيخ الحاكم أبى عبد الله صاحب (المستدرك) .

القاسم بن إبراهيم : ١٧٠ — ٢٤٤ هـ (٧٨٦ - ٨٥٨ م)

نجل ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه

---

(١) حرف التاء اختصار من : (توفى)

(٢) نسبة إلى « مراد » ، قبيلة يمنية تكلمنا عنها فى الجزء الاول .

ولقبه (طباطبا) ، ومعناها : سيد السادات بلسان القبط كما نقل ذلك أبو نصر البخارى . عاش القاسم بالرس[1] ويعتبر زعيم الطائفة الزيدية وجامع شتات المذهب الزيدى ، وقد نقلت آراؤه الفقهية إلى اليمن بواسطة حفيده الإمام الهادى الآتى ذكره . وفى ترجمة له بمقدمة (البحر) : كان إماماً منقطع النظير وأتباعه فى المذهب يسمون بالقاسمية وقد قال فيه بعض واصفيه :

ولو أنه نادى المنادى بمكة بخيف منىً فيمن تضم المواسمُ
مَن السيد السباق فى كل غايةٍ ؟ لقال جميع الناس : لا شك قاسم

الهـادى يحيى بن الحسين ت : ٢٤٥ — ٢٩٨ هـ (٨٥٩ — ٩١١م)

أول مؤسس لمذهب الزيدية فى اليمن وإليه ينتمى أغلب الهاشميين . حفيد القاسم بن إبراهيم . وصل إلى اليمن سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٤ م) بدعوة من بعض الزعماء اليمنيين ليتولى الإمامة ويقوم بإخماد الفتن ، ولـكنه عاد إلى المدينة المنورة حيث لم يجد مناصرةً صادقة ، ولم يلبث إلا يسيراً حتى جاءته وفود أهل اليمن ثانية تحمل عهود الزعماء اليمنيين فى النصر المؤزر وجهادالمفسدين تحت لوائه ، فعاد فى سنة ٢٨٤ هـ إلى (صعدة) حيث جعلها مركز خلافته . ثم قدم إلى صنعاء بدعوة من أبى العتاهية أحد أمرائها سنة٢٨٦هـ حيث بايعه مع غيره وناصره كبراء همدان وعلى رأسهم الدعام بن إبراهيم . كرس حياته فى الدفاع عن الإسلام وتثبيت دعائمه فى اليمن بسيفه وقلمه ، ومن يطلع على سيرته المعروفة بـ (سيرة الهادى) يجد العجب العجاب من سعة علمه ، وكثرة جهاده وبلائه فى توطيد دعائم الاسلام ، وله مؤلفات عديدة أودعها أبحاثه فى التفسير ومروياته فى الحديث وآراءه الاجتهادية فى الفقه والأصولين ، وقد سبق الإشارة إلى مؤلفاته وإلى طرف من آرائه الفقهية التى كان يستنبطها من

---

(١) جبل بين مكة والمدينة .

القرآن والسنة ، وقد انتشر مذهبه فى كثير من بقاع اليمن والحجاز ، ثم انتقل إلى بلاد العجم وجيلان وديلمان بواسطة حفيده يحيى بن محمد بن الهادى حيث امتزج بمذهب الناصر الأطروش الآتية ترجمته ، وقد عدّد مؤلفاته الامام عبد الله ابن حمزه فبلغت نيفاً وأربعين كتاباً ، أما ترجيحاته واجتهاداته فلا يستوعبها إلا المجلدات .

وقد ترجم له العديد من علماء الاسلام كالحافظ بن حجر فى كتابه (فتح البارى) والشيخ على بن أبى بكر العامرى فى كتابه (الرياض المستطابة فى جملة من روى من الصحابة) حيث قال :

« الامام الهادى يحيى الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسمعيل بن إبراهيم ابن الحسن المثنى بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولد رضى الله عنه بالمدينة المنورة . . . كان مجيئه إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة والباطنية فجاهدهم جهاداً شديداً وجرى له معهم نيف وثمانون وقعة لم ينهزم فى شىء منها، وكان له علم واسع وشجاعة خارقة وقد أقام على الجهاد ثمانى عشرة سنة ...» ومن مؤلفاته كتاب (الأحكام) جمع فيه فأوعى ، وصنف فى الشرائع والأديان وعظمت فضائله . . مات بصعدة بعد أن مهد البلاد وقوّم أودها[1]» .

وقال الحاكم : « كان الهادى جامعاً لشروط الإمامة ويضرب به المثل فى الشجاعة ، وابتلى بحرب القرامطة وكان له معهم ثلاث وسبعون واقعة » .

وقال السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير فى (البسامة) مشيراً إلى الهادى :

وصاحب المذهب المذكور باليمن الـ مشهور من غير لا إفك ولا نكُر
وفى (ابن فضلٍ) ومن لبّى لدعوته وفى مسودةٍ تدعو إلى سقـر

(١) راجع المزيد فى (المقتطف) للجرافى و (أئمة اليمن لزبارة) و (بهجة الزمن) لتاج الدين عبد الباقى .

قضت بتسعٍ مع تسعين معركةً غرٍّ كبدرٍ وأوطاسٍ وكالنهر
قضى بهـا نجبه أسـد غطارفة مضوا وأشياع صدق من بنى (الطبرى)
سائل (شباماً) و(صنعاء) و(صعدة) مع (نجران) عنهم وسطح القاع من (عصر)
تخبرك عن ضرباتٍ منه قاطعة قدَّت دروعاً وأودت كل ذى صعر

وله أقوال مأثورة وحكم مشهورة منها : « ليس الإمام من احتجب عن الضعيف فى وقت حاجة ملظَّة » .

وكان يأمر عماله بصرف الربع مما يجمعه على الفقراء والمساكين ويقول : إن وسع الله علينا تركنا لهم النصف ، وإن أغنانا الله مما يحتاج إليه المجاهدون تركنا لهم الجميع وعممنا به جميع المستحقين .

ومما جاء فى كتاب دعوته : « . . . أشترط لكم على نفسى الحكم بكتاب الله وسنة نبيئه ، أوثركم ولا أتفضل عليكم ، وأقدمكم عند العطاء قبلى ، وأتقدم أمامكم عند لقاء العدوّ . . . أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن خالفت فلا طاعة لى عليكم ، وإن عدلت فلا حجة لى عليكم » .

ومما نقل عن عدله وورعه أن بعض جنده اغتصب على بعض الرعية بالقرب من صنعاء شيئاً من الخوخ فهم بالرجوع وقال كلمته المشهورة « لن أكون كالمصباح يحرق نفسه ويضىء لغيره ، والله ماهى إلا سيرة محمد أو النار » .

ومن أهم اجتهاداته فى الأحكام أنه لا يجوز لأهل الذمة أن يشتروا أراض لم تكن آلت إليهم عن جدودهم الأولين عند الفتح الاسلامى ، وقال فى ذلك لوالى الصدقات والخراج : « أما أصحاب الضياع من اليهود والنصارى ، فمن كان فى يده قديماً بالوراثة من أجداده ، ولم يشتر من أموال المسلمين شيئاً فليس لنا عليه من سبيل ، ومن اشترى منهم من المسلمين فالحكم فيه أن يرد للمسلمين ويأخذ ثمنه ، لأنكم لو أطلقتم فى شراء أموال المسلمين لتعطلت أعشار المسلمين وأموالهم فصالحوهم » .

وقد دفعه إلى اتخاذ هذا القرار حرصه فى أن تبقى الأراضى — وهى أعظم موارد الثروة — فى أيدى المسلمين ، لتكون القوة الحربية والاقتصادية على ألا يمس ماللذميين من حقوق ثابتة ، وكان هذا القرار مناسبا لروح العصر »(١).

ومنها أيضاً أنه أوجب على بيت المال شراء العبيد الذين يسلمون وهم مملوكون للنصارى ، وذلك إذا لم يستطيعوا أن يسعوا بقيمتهم ليعتقوا على غير المسلم ، وإن ذلك تطبيق دقيق لمبدأ من مبادىء الزكاة ، إذ أن من مصارف الزكاة العمل على اعتاق من فى الرقاب ، بشراء العبيد المسلمين وإعتاقهم ، وبمعاونة الذين يكاتبون أسيادهم . .(٢) » .

وقد توفى الهادى بصعدة سنة ٢٩٨ ﻫ وقيلت فيه عدة مراث من الشعر والنثر(٣) فكان ممن رثاه إبراهيم بن محمد الجدوية الأبناوى بقصيدة مطلعها :

وهت عضد الإسلام واندقّ كاهله ‏ ‏ وغالت بنيه فى الزمان غوائله

وفيه يقول ابن البلس الحيوانى من قصيدة طويلة :

لو كان سيفك يوم سجدة آدمٍ ‏ ‏ قد كان جُرِّد ما عصى إبليس

وللامام الهادى عدة قصائد شعرية تضمنتها سيرته الموجودة بمكتبة الجامع الكبير ، ومن قصيدة له يصف فيها معركة جرت بينه وبين ابن بسطام فى نجران سنة ٢٧٦ ﻫ :

لاح الصباح وأبرقوا بكتيبه ‏ ‏ شهبا تدفق خيلها وقناها
جاؤا بجمعهم لفضة بيضة ‏ ‏ الليث أعرض دونها وحماها
حمى الوطيس وفى قناتى لهذم ‏ ‏ مثل الشرارة زُرَّ فى أعلاها
أو ما يسركِ أن ترين عداتنا ‏ ‏ والسمر تنفث فودها وكُلاها

(١) ، (٢) الإمام زيد لمحمد أبو زهره ص ٥١٢ ، ٥١٣ ﻫ .
(٣) راجع مآثر الأبرار شرح البسامة للمؤرخ محمد بن على الزحيف.

الناصر الأطروش ـ الإمام : ٢٣٠—٣٠٤ هـ (٨٤٥—٩١٦ م)

هو أبو محمد الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب،وسمى بالأطروش لطرش أصابه فى أذنيه ، ويعرف عند الزيدية بالناصر الكبير تمييزاً له عن الناصر الأصغر بن الهادى الآتى ذكره . عاش بآمل طبرستان ، وإليه تنسب الناصرية ، ويعتبر مؤسس مذهب الزيدية فى جيلان وديلمان ، وكان قدنزح إلى تلك البلاد من خراسان هرباً من سيوف العباسيين يعتبر من أركان المذهب الزيدى ، وقد أصلح الله على يديه خلقاً كثيراً من أهل العجم بعد أن كانوا على الشرك(١) ، وآراؤه فى الفقه معروفة ومدونة فى كتب الزيدية ، وأتباعه يسمون بالناصرية ، وقد تعاصر مع الهادى وراسله .

المرتضى بن الهادى : ٢٧٨، -٣١٠ هـ (٨٩٢—٩٤٣ م)

تولى الإمامة بعد والده الهادى عن اختيار من الأمة ، ثم تنازل عنها لأخيه الناصر الآتى ترجمته ، وانصرف للعبادة حتى سمى جبريل أهل الأرض : ترجم له السيد أحمد بن محمد الشرفى فى كتابه (اللآلئ المضية) ، ترجمة معطولة. وذكر مؤلفاته التى تزيد على ١٦ من أهمها :(تفسير القرآن) فى سبعة مجلدات و(الأصول) فى العدل والتوحيد و (الإيضاح) ، وكتاب فى الرد على الروافض وآخر فى الرد على القرامطة أصحاب على بن الفضل .

وله شعر جيد ، من ذلك قوله وهو فى سجن آل طريف عبيد آل يعفر :

كَدَّر الوِرد علينا والصدرْ ... فِعْلُ من بدَّل ديناً وغدر
أيها الأمّة عودوا للهدى ... واتبعوا الحق بنور وبصر
حكموا القرآن فيما بيننا ... واتركوا عنكم أحاديث السّمر .. الخ

(١) الإمام زيد ص : ٤٩٩ .

ومن شعره أيضاً وهو فى السجن :

لا تـكثروا إن قلبى ليس يفزعه ثقل الحديد وحق الغرّ أجدادى
ما زرتـكم بقنى الخطىّ من عنتٍ فى يوم (أُتوة)[1] لو أوفوا بميعاد

قال السيد محمد زبارة فى كتابه (أئمة اليمن) : وفى يوم الأحد ٢٥ صفر سنة ٢٩١ تقدم اليافعى وآل يعفر فى عسا كرهم على (بيت بوس) حتى دنوا من القلعة ، ووقع القتـال والرمى بالأحجار والنبال وفتحوا القلعة وأخذوا كل ما كان مع المرتضى والمسجونين من الثياب وغيرها ، وسار المرتضى ورفيقه مع أسعد بن أبى يعفر الحوالى[2] بعد فك قيودهم إلى صنعاء ، ثم إلى مدينة شبام كوكبان ، وأراد المرتضى الفرار من شبام فأرجعه آل يعفر .. الخ » (٣)

أحمد بن الهادى — الإمام الناصر : ٢٧٥ — ٣٢٥ هـ (٨٨٧ — ٩٣٤ م)

المعروف بترجمان الدين لغزارة علمه.قام بالإمامة بعد اعتزال أخيه المرتضى لها سنة ٣٠١هـ ، وكان المرتضى فى مقدمة مبايعيه ، وله مؤلفات عديدة منها : (النجاة) فى الأصول ثلاثة عشر جزءاً تضمنت علماً جماً وكلاماً حسناً وكذا كتاب (الدامغ) و (التوحيد) و (الفقه) و (التنبيه) و (الرد على القدرية) وغير ذلك .

وفى أيامه كانت القرامطة والبـاطنية قد نشطت نشاطاً خطيراً فشمَّر لمناجزتهم القتال وألف جيشاً قوياً تحت قيادته وتحرك من صعدة فى سنة ٣٠٧هـ

---

(١) يشير إلى معركة أتوه فى أرحب التى كانت بين أبيه الهادى وبين آل طريف سنة ٢٩٠هـ ، حينما ثار آل طريف ضد آل يعفر فاستنجد آل يعفر بالهادى فوصل بنفسه لنجدتهم، وما إن احتدم القتال حتى تخاذل بنو يعفر وتركوا الهادى وابنه وحيدين فى المعركة إلا من قلة قليلة حتى طعن فى وجهه وأصابته جراحات فى بدنه .

(٢) انظر إلى جزاء سنمار وإلى هذه المكافأة السخية وقارن بين كرم المنجد ومكافأة المستنجد . (٣) ص ٣٠ .

وكانت أهم معاركه معهم معركة (غاش)[1] قال عنها المؤرخون بأنها وقعة مهيلة ، وقد سبق الكلام عنها .

وللشيخ إبراهيم بن أحمد التميمي من قصيدة طويلة ألقاها بين يدى الامام الناصر يوم مبايعته بصعدة :

كأنه اليم إذ جاشت غواربه إذا تلاطم موج البحر وارتكبا
أو كالعريض إذا التفت سحائبه وطبق الأرض والآفاق وانسكبا
راق العيون وسر المسلمون به وساء من عاند الاسلام فاكتأبا
ها أنتموا رحمةً فينا لأولنا وآخرينا فهذا الشكر قد وجبا

وقد توفى الناصر بصعدة سنة ٣٢٥ هـ بعد أن دانت له اليمن — كما قال مؤلف أنباء الزمن — ومنها عدن حيث وصلها فى ثمانين ألف مقاتل .

المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهارونى — الامام : ٣٣٣ — ٤١١ هـ (٩٤٤ — ١٠٢٠ م) .

ولد بآمل طبرستان وبها توفى . بويع له بالخلافة سنة ٣٨٠ هـ يعتبر من أبرز أئمة الزيدية وأكثرهم فضلا وأغزرهم علماً ، وله تخريجات على مذهب الهادى الذى تلقاه عن أبى العباس أحمد بن إبراهيم الحسنى المتوفى سنة ٣٥٣ هـ وقد دونت آراؤه الفقهية وتخريجاته فى كتب الزيدية ، ككتاب (الانتصار) و (البحر الزخار) وغيرهما ، بعضها موافق لمذهب الهادى والبعض الآخر مخالف له تبعا لاجتهاداته . ومن أهم مؤلفاته (التجريد) وشرحه ، وقد أورد فيه الكثير من الأدلة المسلسلة . يعتبر هو وأخوه الناطق بالحق أبو طالب مؤسسا المذهب الزيدى بطبرستان .

---

(١) بالقرب من كحلان عفار غربى صنعاء مسافة ٤٥ ك م

أبو طالب يحيى بن الحسين الهارونى — الإمام ت: ٤٢٤ هـ (— ١٠٢٨م)

أخ المؤيد بالله المترجم له آنفاً . بويع له بالخلافة بعد موت أخيه سنة ٤١١ هـ ، وتوفى بآمل طبرستان ، وكان هو الآخرعلم من أعلام الفقه الزيدى له تخريجات على قواعد مذهب الهادى ، وكان يرى أن مالم يوجد للهادى فيه نص فمذهبه فيه كأبى حنيفة . له عدة مؤلفات منها (التحرير) وشرحه (والأمالى)

(بقية أعلام المذهب الزيدى على حروف المعجم)

إبراهيم بن محمد بن عبد الله الوزير : ٨٠٦—٩١٤هـ (١٣٩٨— ١٥٠٥)

المعروف بصارم الدين مؤلف (الهداية) فى الفقه و (الفصول اللؤلؤية) فى أصول الفقه . كان متبحراً فى جميع الفنون ، درس بصعدة وصنعاء . له مؤلفات أخرى منها : (التلخيص) فى المعانى والبيان ، و (علوم الحديث) ، و منظومة (البسامة) فى التاريخ ، ترجم له السخاوى فى (الضوء اللامع) ، له شعر رائق ونثر جزل ، ومؤلفاته تشهد له بذلك . وقد قام بشرح (البسامة) عدد من مؤرخى اليمن كما سيأتى فى مراجع التاريخ اليمن . كانت وفاته بصنعاء . هو حفيد الهادى بن إبراهيم الوزير الآتى ذكره .

إبراهيم بن محمد بن القاسم (مؤلف الطبقات) ت : ١١٤٥ (١٧٣٣ م)

حفيد الإمام محمد (المؤيد) بن الإمام القاسم بن محمد . مؤلف (طبقات الزيدية) حسبما سبق إيضاحه . يعتبر من مشاهير المؤرخين فى اليمن ، وتعرف طبقاته بالطبقات الكبرى ، تميزاً لها عن طبقات السيد يحيى بن الحسين القاسم بن محمد المعروف بالمستطاب . وقد فرغ من كتابتها سنة ١١٣٤ هـ . تولى القضاء بتعز للامام المنصور على وبها توفى .

إبراهيم بن محمد المؤيدى (حورية) ت : ١٠٨٣ هـ (١٦٧٢ م)

ينتهي نسبه إلى الإمام عز الدين بن الحسن قام بالإمامة بجهة صعدة ثم تنحّى عنها للامام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم ، من مؤلفاته : « الروض الحافل شرح الكافل» فى أصول الفقه ، و «شرح هداية الأفكار» فى الفروع فى ثلاثة مجلدات ، « الروض الباسم فى أنساب آل الامام القاسم الرسّى » . مات بالعشة شمالى مدينة (صعدة) .

إبراهيم بن يحيى السحولى الذمارى ت : ١٠٦٠ هـ (١٦٥٠ م) .

أحد مشاهير علماء الزيدية . سكن صنعاء واشتهر بالزهد . من مؤلفاته : « الدر المنظوم فى معرفة الحى القيوم » وحاشية على «الثلاثين المسئلة » وأخرى على «الأزهار» وشرحه ، و «الطراز المذهب فى إسناد المذهب» ، وله سؤالات علمية وجهها إلى الامام القاسم بن محمد بشهارة تعرف بالمسائل الصنعانية . توفى بصنعاء ودفن بالسعدى .

أحمد بن أبى الحسن الكنّى ت : ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) .

روى « مجموع » الامام زيد عن الشيخ فخر الدين زيد بن الحسن البيهقى ، وأمالى أبى طالب عن زيد بن الحسن أيضاً وغير، ذلك من كتب أهل البيت ويعتبر فى الزيديين همزة الوصل فى ربط السند بين أئمة الزيدية فى كل من اليمن وطبرستان .

أحمد بن الحسن الرصاص :

أحد مشاهير علم الكلام . من مؤلفاته المتداولة عندالزيدية : « الجوهرة » و « الخلاصة » و « الواسطة » وكلها فى أصولى الفقه والكلام .

أحمد بن الحسن الجرموزى الحسنى ت : ١١٣٥ هـ (١٧٢٣ م) .

كان أديباً ومؤرخاً ، من مؤلفاته : « قلائد الجوهر » فى نبلاء العصر ، ومن شعره :

إذا كان من أرجوه عند مطامعى كمثلى محتاج إلى خالق الخلق
فما حاجتى فى قصد مثلى وكيف لا ألوذ بمعطيه ليعطينى رزقى
وهل أنا إلا عبده وابن عبده ويقبح منى أن أملكهم رقى

وله أيضاً موريًا بغيل (المحجرى) الجَدول المعروف بمدينة رداع :

قالت « رداع » وقد ذممنا سوحها مهلاً لقد جئتم بشيء منكر
حسبي بأنى مَن ألم بساحتى أسقيه-مهما حلَّ بى - من(محجرى)

أحمد بن الحسن بن أحمد شرف الدين : ت ١٠٨٠ هـ (١٦٦٣ م) .

حفيد المطهر بن الامام شرف الدين . أحد مشاهير علماء صنعاء . له كتاب « ترويح المشوق فى تلويح البروق » ، ذكر فيه مادار بينه وبين أدباء عصره. ترجم له كثيرون كمحمد أمين فى « نفحة الريحانة » والقاضى أحمد بن صالح ابن أبى الرجال فى « مطلع البدور ». من شعره فى وصف الربيع :

قدم الربيع وخير مقدم والغيث أنجم ثم أنجم
والجو ينشر مطرفاً لك فاختىّ اللون معلم
والسحب مدَّ رواق ديبساج بساحتنا وخيم
والروض نمقه الغما م بحسن صنعته ونمم
فبدا يروق الناظرين كأنه بُرد مسهم

أحمد بن الحسين — الامام المهدى: ٦١٢ — ٦٥٦ هـ (١٢١٥ — ١٢٥٨م)

يعرف بـ(أبوطير) ينتهى نسبه إلى محمد بن القاسم الرسِّى ، ترجم له الشيخ على بن الحسن الخزرجى بالقرن التاسع فى كتابه (طراز أعلام الزمن فى طبقات أعلام اليمن)وأثنى عليه وعلى علمه وسيرته . بويع بالإمامة سنة ٦٤٦ هـ بحصن «ثلا» . إشتبكت جيوشه لأول وهلة مع جيوش المنصور الرسولى التى كانت ترابط فى«شبام»واحتلت شباماً،وقدأقلقت حركته هذه بال السلطان الرسولى فنهض

من تعز على رأس قوة ضاربة وعززها أخوه أسد الدين بقواته من ذمار ، وقد اتجه السلطان فور وصوله صنعاء إلى بلاد كوكبان حيث وقعت معارك عنيفة أجبرت السلطان الرسولى فى النهاية إلى التقهقر إلى صنعاء ، بعد أن خسر عدداً من رجاله ، وقد ظل محصوراً بصنعاء زهاء ثلاثة أشهر . وفى هذه الأثناء حصل تمرد فى صفوف جيشه قام به الحزبون الأشراف مما اضطره إلى الاشتباك معهم فى معركة (قارن) التى قتل فيها من الأشراف ما يزيد على ٣٨٠ رجلا وقد أشار إلى ذلك ابن هتيمل التهامى فى قصيدته المشهورة ، وقد أوردها المؤرخ الخزرجى فى (العقود اللؤلؤية) ، منها :

قرنت بأهل (قارن) يوم سوء   أرحت به الزعيم من الزعامة

ومطلع القصيدة :

إذا جزت الغضا ولك السلامه   فطارح بالتحيـة ريم رامه

وله وقائع أخرى مع السلطان أسد الدين الرسولى يعتبرها المؤرخون من أهم أحداث التاريخ اليمنى .

قتل شهيداً فى ثورة الشيخ أحمد بن محمد الرصاص التى قام بها سنة ٦٥٦هـ بتحريض من المظفر الرسولى ، فى معركة (المنظر) بالبون ثم نقل جثمانه إلى (ذيبين) حيث دفن .

ويومها كتب الأمير أحمد بن المنصور إلى المظفر الرسولى يبشره بما وقع ويقول:

« تجدد السعادة أوجب شكر نعمة الله تعالى ثم للمقام العالى خلد الله ملكه ، وينتهى صدورها من المصاف بشوابه ورأس أحمد بن الحسين بين يدى :

وأبيض ذى تاج أصابت رماحنا   بمعـترك بين الفـوارس أقتم
هوى بين أيدى الخيل إذ فتكت به   صدور العوالى تنضح المسك بالدم »

وفى ذلك يقول السيد صارم الدين فى بسامته :

ضحّوا بأبيض يستسقى الغمام به   قد بايعوه فكانوا أخسر البشر
مالوا إلى أحمد عن أحمدٍ وبغوا   على الإمام وقالوا جار فى السير

أحمد بن جناج الضمدى نسبة إلى ضمد (هجرة بالقرب من صَبياء بالمخلاف السليمانى شمال غربى اليمن) كان متضلعاً فى علوم الزيدية . من مؤلفاته : شرح (معيار العقول) للامام المهدى وشرح على (الموشح) فى النحو ، و (السُلَّم) فى أصول الفقه ، وله حاشية على (الشفاء) للامير الحسين قام بتخريج أحاديثه فى كتاب جامع . كان شاعراً مجيداً ، فمن شعره .

ركنت إلى الدنيا مع العلم أننى   سأصبح فى بطن الثرى متوسدا
وجاهرت بالعصيان لله عالماً   عقوبته للظالمين له غدا
وخضت بحور المهلكات تعمداً   مع العلم منى أن فى خوضها الردا
علمت طريق الحق ثم هجرته   عياناً ولم أمدد إليه له يداً

ومنها :

فكن لى إلهى عند ذلك راحماً   ولا تخزنى واغفر ذنوبى تمجدا

أحمد بن سعد الدين المسورى ١٠٠٧ — ١٠٧٩هـ (١٥٩٧ — ١٦٨٤ م)

تلميذ الإمام القاسم بن محمد وأحد كبار حاشيته . تخرج على يديه العديد من طلاب العلم ، ومنهم المؤيد بن القاسم وأخوه المتوكل ، وقد لازمهما ملازمةً كاملة كما لازم أخويهما الحسن والحسين ابنى القاسم . ترجم له أبو الرجال فى (مطلع البدور) بإسهاب معدداً علومه وتضلعه فى كثير من الفنون ، كما أثنى على طول باعه فى الإنشاء وبلاغته فى الكتابة وأورد كثيراً من كلامه وفتاويه. توفى بشهاره .

أحمد بن سعيد المبل ت : ١٠٦١ هـ (١٦٥١ م) :

إمام المذهب الزيدى وأحد حفاظه ومجتهديه فى عصره . إشتهر بتضلعه

فى أصول الفقه ، وله فيه آراء صائبة وتقريرات جيدة . توفى بصنعاء .

أحمد بن سليمان — الإمام المتوكل: ٥٠٠ — ٥٦٦ هـ (١١٠٦ — ١١٧٠ م)

ولد بحوث من بلاد حاشد ونشأ بها حيث درس العلوم على أيدى كبار العلماء ، منهم زيد بن الحسن البيهقى الخراسانى وعبد الله بن زيد العنسى من مؤلفاته : (أصول الأحكام) فى الحديث يتضمن ٣٣٠٠ حديث و (المدخل) فى أصول الفقه و (حقائق المعرفة) و (الحكمة الدرية) وكلاهما فى أصول الكلام و (الهاشمة لأنف الضلال فى مذاهب المطرفية الجهال) وغير ذلك ، وله سيرة خاصة جمعها أحد أعيان أصحابه الشيخ سليمان بن يحيى الثقفى .

قام بالامامة بالجوف سنة ٥٣٢ هـ وبايعته قبائل (دهمة) ووصل إلى (نجران) حيث بايعه رجال همدان . خطب له فى (ينبع) و (خيبر) وفى نواح يمنية كثيرة . مدحه كثيرون منهم الشيخ نشوان بن سعيد الحميرى مؤلف كتاب شمس العلوم بعدة قصائد .

دخل صنعاء بعد أن قدمت إليه وفودها سنة ٥٤٥ هـ مع وفود مناطق أخرى ومنها وفد آل اليامى وسلاطين صنعاء بزعامة حاتم بن أحمد ، بعد ان كان قد حاول المقاومة فى صنعاء فلم يقدر على صد قوات الامام ولكن الإمام عفى عنه بعد أن وصل إليه منشداً بيت كعب بن زهر :

أنبئت أن رسول الله أوعدنى   والعفو عند رسول الله مأمول

وبعدها غادر حاتم إلى الروضة واستقر فيها وبعث إلى الامام أبياتاً منها :

رأيت إماماً لم ير الناس مثله   أبر وأوفى للطريد المشرد
عفى ووفى حتى كأنى عنده   أخ أو حميم لست عنه بمبعد

وتقول المصادر أن حاتماً لم يلبث أن زحف فى نفس العام بمن معه من (همدان) على صنعاء بمجرد خلاف بسيط نشأ بينه وبين الامام فخرج الامام

لقتاله فى مكانٍ يُدعى (شعب الجن) ، وتلتها حرب أخرى فى (الرحبة) و (رغام) كانت سجالا ، ولما رأى الامام إصرار (همدان) على التمرد سار إلى ذمار واستمان بقبيلة (جَنْب) فأعانوه بثلاثمائة فارس ، واتجه إليه حاتم فى خمسمائة فارس وثلاثة آلاف مسلح من همدان وسنحان فالتقى الجمعان بموضعٍ يقال له (القليس) بالقرب من ذمار فى معركة عنيفة أسفرت عن هزيمة الامام وأصحابه .

وفى سنة ٥٤٨ وقَّع الامام صلحاً مع السلطان حاتم اليامى فى (بيت الجالد) من بلاد أرحب يتضمن التعاون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وترك الخطبة للباطنية فى جامع صنعاء وإظهار مذهب الامام للهادى وتوقُّف الإمام عن الحرب ما استقاموا على ذلك .

ولهذا الإمام مواقف مشهورة ضد الباطنية ، وكانت أول فتكاته بهم فى وقعة (غيل جلاجل) سنة ٤٥٩ هـ بالخانق جنوبى مدينة صعدة ، بعد أن بلغه إحياء هذا المذهب وبدعة ليلة الإفاضة التى يجتمع فيها الرجال بالنساء ويفضى بعضهم إلى بعض بعد إطفاء المصابيح وفى حوادث سنة ٥٤٦ بتاريخ زبارة جاء مالفظه :

وفى هذه السنة وصلت إلى الإمام أحمد بن سليمان إمرأة من نسوة تلك البدعة المقوتة تجزُّ ذوائبها بين يديه ، وتقول أن ولدها غشيها وواقعها بتلك الليلة ، فغضب الامام وقال قصيدته المشهورة ثم تحرك إليهم على الفور ، ومنها :

لأحكمنَّ صوارماً ورماحا ولأبذلنَّ مع السماح سماحا
ولأقتلن قبيلةً بقبيلةٍ ولأسلبن من العداء أرواحا
ولأجلونَّ الأفق من ديجوره حتى يعود دجى الظلام صباحا

ومنهـا :

لست ابن أحمد إن تركت زعانفاً   يتبختزون وينـكحون سفاحا
يتواعدون لـكل ليلة جمعة   فإذا توافوا أطفأوا المصباحا

وتعقب هـذا وقوع معركة (الشرزة) بين خولان وسنحان سنة ٥٥٢هـ بينه وبين حاتم بن أحمد اليامى ، وكانت أعظم معركة دارت بينهما ، وقد انتهت بهزيمة حاتم بعد أن قتل خمسمائة رجل من جيشه ، وتمـكن الإمام من اللحاق به إلى صنعاء وإخراجه منها ، ثم من بث نفوذ ، على كامل المنطقة .

وفى سنة ٥٥٣ إستعان به أهل زبيد ليدفع عنهم شر على بن مهدى الرعينى الذى كانت جيوشه الـكثيفة قد أحدقت بهم وحاصرت زبيداً ما يقـرب من سنة كاملة فوصل بقواته إلى زبيد وشتت تلك الجموع ومكث بها ثمانيـة أيام ، وقد أمر عبيد آل نجاح بقتل مولاهم الأمير فاتك بن محمد النجاحى كحدٍّ لما ثبت عنه من داء الأبنة فقتلوه .

وكانت وفاة هذا الإمام الثائر الباسل سنة ٥٦٦هـ بمدينة (حيدان) بخولان الشام غربى مدينة صعدة ، بعد أن كُفَّ بصره، ومن أهم أنصاره الشيخ الإمام جعفر بن أحمد بن عبد السلام البهلولى . والشيخ الإمام إسحق بن أحمد بن عبد الباعث الصعدى المتوفى سنة ٥٥٥ هـ .

أحمد بن صالح بن محمد المعروف بأبى الرجال (المؤرخ) ١٠٢٩ — ١٠٩٢هـ (١٦٢٠ — ١٦٨١ م)

ولد بالسبط بجبل الأهنوم وأخذ العلوم عن عدة من المشايخ منهم الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم وقد لازمه حتى مات. من أهم مؤلفاته كتاب :(مطلع البدور ومجمع البحور) فى تراجم رجال الزيدية من علماء وأعيان إلى عصره، وهو من أهم مراجع تاريخ الزيدية، وعليه اعتماد الـكثير من مؤرخيهم كصاحب

الطبقات وغيره، يوجد منه نسخة واحدة فقط فى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، وتعتبر من أقدم النسخ لهذا الكتاب القيّم. ومن مؤلفاته أيضاً (العقيدة الصحيحة) وغيرها. رحل فى آخر أيامه إلى (الروضة) منتزه صنعاء الشمالى فأقام بها حتى توفى.

أحمد بن صلاح العنسى ت ١٠١٨ هـ(١٦٣٣م):

أحد أساتذة علم الكلام وغيره. قال فى الطبقات «كان فى العلوم بحراً لا يجارى». شيخ الإمام القاسم بن محمد، وزميل الامام الحسن بن على بن داوود من قبله. ويعتبر فى مقدمة ناشرى دعوتهما وقد قاسى فى سبيل ذلك من الأتراك أنواع التعذيب. توفى بصعده.

أحمد بن عبد الله الجندارى ١٢٧٩ — ١٣٣٧هـ (١٨٦٢—١٩١٩ م)

أحد أعلام القرن الرابع عشر الهجرى. كان عالماً من الطراز الأول ومن أكابر علماء السنة والجرح والتعديل. من أهم مؤلفاته (البرق الموع) فى الجمع بين الأماليات والمجموع، (سمط الجمان شرح الرسالة الناصحة للإخوان) وشرح على (نكت الفرائد). مع مؤلفات أخرى فى الفقه والرجال. وله عدة أشياخ وتلاميذ لهم شهرتهم الكبرى بين الزيدية فى عصره. توفى بقرية (العُنُسُق) بجبل الأهنوم.

أحمد بن على مطير ت: ١٠٦٨ هـ (١٦٥٨م):

العلامة الشافعى اليمنى كان محيطاً بالفقه الزيدى إلى جانب الفقه الشافعى، وله ميل فى بعض المسائل إلى مذهب الزيدية بصفته مجتهداً. نظم كتاب (الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار) المتقدم الذكر وله شرح على (غاية السؤول فى علم الأصول) وكتاب (تسهيل الصعاب فى علمى الفرائض والحساب)

وكتاب (الروض الأنيف في النحو واللغة والتصريف) . مات في بلده من المخلاف السليماني .

أحمد بن محمد بن علي بن سليمان الصنعاني ت ١٠٣٦ هـ ١٦٢٧ م :

نعته مؤلف الطبقات بشيخ أبناء الزمن . له عدة استدراكات على (الأزهار) وشرح على حاشية (الخبيصى) في النحو . توفى بصنعاء

أحمد بن الحسن الحفيد ت : ٦٥٦ هـ(١٢٥٨م) :

أحد أساطين العلماء وسلاطين الكلام وأئمة العدل والتوحيد . من مؤلفاته : (الجوهرة) وشرحها (الوسيط) و (غرة الحقائق) و(الشجرة) في الاجماعات ، وله رسالة تسمى (منهاج الانصاف الحاسمة لشب نار الخلاف) . من تلامذته المهدى أحمد بن الحسين والأمير الحسن بن هاوس وأخوه محمد ، وبقيتهم يزيدون على السبعمائة كما ذكر ذلك مؤلف (الطبقات) .

أحمد بن محمد الخالدي ت: ٨٨٠ هـ (١٤٧٦ م) :

كان من خواص الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، وأحد النوادر في الذكاء والورع والزهد . من مؤلفاته (إيضاح الغامض من علم الفرائض) وشرح على كافية ابن الحاجب و (الجوهر الشفاف) في المنطق

أحمد بن صلاح الشرفي (المؤرخ) ٩٧٥ — ١٠٥٥ هـ (١٥٦٨ — ١٦٤٥م):

المجتهد الكبير ينتهى نسبه إلى القاسم الرسى . تلميذ الامام القاسم بن محمد، وشيخ أولاد المؤيد والحسين وأحمد . عالم مجتهد وعابد وزاهد اطال مؤلف الطبقات الوصف في تقشفه وورعه . له شرحان على كتاب (الأساس) للامام القاسم وشرح (على الأزهار) للامام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى في أربعة مجلدات ، وله في التاريخ (اللآلئ المضية) شرح (البسامة) للسيد صارم الدين بن الوزير في ثلاثة مجلدات . توفى بهجرة (معمرة) بالأهنوم

أحمد بن محمد بن لقمان ت: ١٠٢٩ هـ (١٦٣٠ م):

ينتهى نسبه إلى الامام المهدى أحمد بن يحيى . تلميذ السيد أحمد الشرفى المذكور قبل هذا . أحد أعلام الشريعة الاسلامية وأستاذ العلوم بجامع (شهارة) ناصر المؤيد بن القاسم . له مؤلفات كثيرة ومشهورة منها : (شرح الأساس) وشرح (الكافل) لابن بهران فى أصول الفقه[1] و شرح (التهذيب) للتفتازانى فى المنطق وحاشية على الفصول اللؤلؤيه وأخرى على المنهاج للامام المهدى أحمد ابن يحيى وغير ذلك . توفى بقلعة (غمار) بخولان الشام .

أحمد بن محمد بن الحسن الحيمى الكوكبانى ١٠٧٣ — ١١٥١ هـ (١٦٧٨ — ١٧٣٨ م)

ينتهى نسبه إلى العلامة نشوان بن سعيد الحميرى . ولد بشبام حيث تلقى العلوم على أيدى العلماء فيها ثم فى كوكبان . كان أحد أعلام الأدب اليمنى . جمعت مؤلفاته بين سعة الاطلاع وجودة الصناعة ومتانة الأسلوب من مؤلفاته فى الأدب : عطر نسيم الصبا [2] و الأصداف المشحونة باللآلىء المكنونة شرح فيه قصيدة السيد محمد بن عبد الله بن الإمام شرف الدين وشرح على رسالة الواثق (الدر المنظوم) سلك فيها مسلك الصفدى فى شرح لامية العجم ، مع مؤلفات أدبية أخرى تزيد على الأربعين ، وله فى التاريخ كتاب (طيب السمر فى أوقات السحر) ترجم فيه لأعيان اليمن بأسلوب مسجع .

ومن شعره :

ولرب ليـــلٍ زارنى متلفتـاً حذراً كما لفت الغزال بجيده

فضممته عنـد اللقـا حتى التقى دُرّان : درّ مدامعى وعقوده

(١) طبع بصنعاء سنة ١٣٦٠ هـ
(٢) » » » ١٣٦١ هـ

ومنه أيضاً :

لعب النسيم بغصن قدٍّ أهيف لا بلّ من داء السقام ولا شفي

وله من أبيات ذكر فيها مدينة شبام مسقط رأسه ، وهي الأبيات التي ختم بها كتابه (عطر نسيم الصبا):

همت في ذراها أدمع الطل والندى وبات بها زهر الربى باسم الثغر
يضوع أريج المسك منها إذا انثنت مدبجة الأرجاء من بلل القطر
وبات بها شادي المزار مردداً أفانين تغريد على فنن نضر

أحمد بن يحيى المرتضى — الإمام المهدى ٧٧٥ — ٨٤٠هـ (١٣٧٦ — ١٤٣٧م):

ينتهي نسبه إلى الهادي . ولد بمدينة (ذمار) نعته المؤرخون بالإمام الأعظم ، له من العلوم والمناقب ما يقصر عنه يراع الكاتب مؤلفاته في أصول التوحيد والفقه وأصوله والملل والنحل والعربية والتاريخ تزيد على ٣٤ مؤلفاً ، وهي بمجموعها تشكل دائرة معارف . ترجم له الشوكاني في (البدر الطالع) وأبو الرجال في (مطلع البدور) وغيرهما من مؤرخي الزيدية ترجمة مطولة ، وأثنى عليه السيد محمد بن إبراهيم الوزير بقوله :

أوتيت من بين الأئمة آية تبقى مع القرآن في الأعصار
لم يؤتها بعد النبي خليفة كلا ولا حبر من الأحبار
بهرت فلم يستطع عدوك ردها بتهاون فيها ولا إنكار
شهدت بأنك بعد جدك أحمد مهدينا المشهور في الآثار

ونكتفي هنا بسرد أهم مؤلفاته والتي قال عنها أبو الرجال بأنها كالطراز المذهب وعليها اعتماد أهل المذهب ، وكتابه الأزهار سار في الأقطار مسير الشموس والأقمار . . . ، كما أثنى عليه المقبلي أيضاً في مقدمة كتابه (المنار) على البحر الزخار لصاحب الترجمة وقال «إنه يعتبره في مقدمة مجتهدي أئمة اليمن . »

من مؤلفاته فى الفقه : (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) فى خمسة مجلدات ، (الأزهار فى فقه الإئمة الأطهار) وشرحه (الغيث المدرار) ، (الإنتقاد فى الآيات المعتبرة فى الإجتهاد) وشرحه (المستجاد) .

وفى علم الكلام وأصول الدين : (نكت الفرائد فى معرفة الملك الواحد) (وشرحها) غرر القلائد) ، (القلائد فى تصحيح العقايد) وشرحها (الدرر الفرائد) ، (الملل والنحل) وشرحه (المنية والأمل) ، (رياضة الأفهام فى لطيف الكلام) وشرحه (دامغ الأوهام) .

وفى علوم العربية : (الكوكب الزاهر) ، و (المكلل بفرائد معانى المفصل) ، و (تاج علوم الأدب) و (قانون كلام العرب) ، و (إكليل التاج وجوهره الوهاج) .

وفى أصول الفقه : (معيار العقول فى علم الأصول) وشرحه (منهاج الوصول) ، و (فائقة الأصول فى ضبط معانى جوهرة الأصول) ، و (المنظومة الموسومة) .

وفى كتب السنة النبوية : «الأنوار فى الآثار الناصّة على مسائل الأزهار» .

وفى الزهد : « كتاب تكملة الأحكام » ، و « التصفية عن بواطن الآثام » ، و « حياة القلوب فى إحياء عبادة علاّم الغيوب » ، و «القمر النوّار فى الردّ على المرخصين فى الملاهى والمزمار » .

وفى علم الفرائض : « الفائض » ، و « القاموس الفائض فى الفرايض » .

وفى علم المنطق : « القسطاس » .

وفى علم التاريخ : « الجواهر والدرر فى سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر وعترته المنتخبين الزهر » و «تحفة الأكياس فى سيرة آل أمية والعباس» شرحه (يواقيت السير) ، ويوجد من كلٍّ منهما نسخة بمكتبة المتحف البريطانى

الأول برقم (٣٩١١) والثانى برقم (٣٩١٢) ، «تزيين المجالس بذكر التحف والنفائس » ، وقد سبق الإشارة إلى أهم هذه المؤلفات فى أما كنها قبل هذا من علوم الزيدية وإيضاح محتوياتها وشارحيها وما طبع منها وغير ذلك .

بايعه أكابر علماء صنعاء وأعيانها سنة ٧٩٣هـ ، وعارضه الإمام المنصور على بن صلاح الدين وناصرته أكثر القبائل اليمنية، ووقعت بينهما عدة اشتباكات انتهت بأسره واعتقاله بقصر صنعاء حيث مكث ثمان سنوات كتب فيها بعض مؤلفاته وخرج من سجن المنصور فاراً واستقر بمسور حجه ، ثم انتقل إلى (الظفير) وبها توفى .

ويوجد فى سيرته الكثير من الأدب والمواعظ والرسائل والفتاوى نثراً وشعراً وأكثر قصائده البليغة فى الزهد والمواعظ الدينية والدنيوية ، منها قصيدته الضادية الموسومة (زهرة المواعظ وزينة الواعظ) تزيد على سبعين بيتاً أولها :

أصحيفة سوداء وشيب أبيض ؟ ومنية أزفت وقلب معرض ؟

وقصيدته القافية الموسومة بالدرة المضية فى ذكر أئمة العترة الرضية وهى ٦٦ بيتاً مطلعها :

لو ميض برقٍ لاح للمشتاق أرسلت ودق سحائب الأحداق

وقصيدته اللامية الموسومة (الزهرة الندية فى صفة الدنيا الدنية) وهى تزيد على عشرين بيتاً أولها :

خلّ ادّكارك للدخول وحومل ومعاهد أقوت ورسم قد بُلى

وقصيدته اللامية الموسومة (سمط اللآل فى الرد على أهل الضلال) وهى أربعون بيتاً أولها :

الحمد لله على كل حال ما هاج بلبال وما قرّ بال

وقصيدته النونية الموسومة (الزهرة الزاهرة بتحقير الدنيا وتفخيم الآخرة) والمتبوعة بكلام بليغ مؤثر وأولها :

أمن نكبات الدهر قلبك آمن ؟ ومن روعات فيه روعك ساكن؟

هذا وكل مؤلفاته وأبحاثه ورسائله من شعر ونثر بها حلاوة الإيمان وطلاوة الإخلاص والورع والاتزان .

أحمد بن يحيي حابش ت : ١٠٦١هـ (١٦٥١م) .

القاضي شمس الدين الصعدى ، تلميذ الإمام القاسم بن محمد . من أشهر مؤلفاته شرح (تكملة الأحكام) للإمام المهدى وشرح (الشافية) لابن الحاجب ولم يكمل ، وشرح على (الثلاثين المسألة) فى أصول الدين ، (المقصد الحسن) فى التاريخ ، (سلوة الخاطر) أوضح فيه السبل التى يجب أن ينتهجها القضاة وولاة الأحكام . تخرج عليه عديد من العلماء منهم المؤرخ أبو الرجال . تولى القضاء بصعدة للإمام القاسم ، والخطابة بجامع الإمام الهادى . توفى بصعدة .

إدريس بن على الحمزى (المؤرخ) ت : ٧١٤هـ (١٣١٤م) .

مؤلف كتاب « كنز الأحبار فى السير والأخبار » فى أربعة مجلدات. من أشهر علماء عصره . له مسائل ردّ بها على الجبرية . إستعمله الملك المظفر الرسولى ثم ترك الولاية . أثنى الكثير من المؤرخين على تاريخه ووصفوه بالاستيفاء والشمول ، ولم أسمع بوجود أى نسخة منه .

إسمعيل بن القاسم — المتوكل ١٠١٩—١٠٨٧ هـ (١٦١٠ — ١٦٧٦م) .

النجل الثالث للإمام القاسم بن محمد مؤسس الدولة القاسمية[1] . تولى الإمامة بعد وفاة أخيه المؤيد[2] هو أول إمام يشمل نفوذه اليمن بأسرها بما فيها يافع وحضرموت ، وممن تابعه الشريف صاحب مكة . أطنب الشوكانى

(١) و (٢) ستأتى ترجمتها .

فى ترجمته وقال إنه لم ير الناس أحسن من دولته فى الأمن والدعة والخصب والبركة ، وما زالت الرعايا معه فى نعمة والبلاد جميعها مجبورة كثيرة الخيرات حتى كثرت أموال الرعايا ، وكل أحد آمن على ما فى يده لعلمه بأن الإمام سيمنعه عدله عن أن يتعرض لشىء من ماله . . . وكان الناس حديثى عهد بجور الأتراك وفى أيامه إزدهر ميناء المخاء إزدهاراً عظيماً . كان دأبه التنقل فى الأرجاء اليمنية ، وأكثر استقراره بمدينة (ضوران)[1] وبها توفى ، كما كان مبرزاً فى العلوم ومجتهداً . من مؤلفاته : (العقيدة الصحيحة) وشرحها و (المسائل المرتضاة إلى جميع القضاة) وحاشية على (المنهاج) للامام المهدى فى أصول الفقه بلغ فيها إلى النصف مع رسائل وفتاوى لا يأتى عليها الحصر[2] .

كانت مدة حكمه لليمن ٣٣ عاماً لم يحدث خلالها ما ينبغى ذكره من الحوادث . كان يغلب على تصرفاته العدل والسخاء والحكمة والدهاء والبراعة فى الادارة وحسن اختيار الولاة وقواد الجيوش وحماة الأطراف وسن الأنظمة ، ومع هذا فقد كان قريب الجناب وأستاذاً فى فنون العلم . كرس أوقاته اليومية وقصرها على أمور ثلاثة :

(١) إدارة شئون البلاد .

(٢) تدريس العلم لتلامذته الذين يفدون إليه من الآفاق حتى أصبح معظم علماء عصره من خريجى مدرسته .

(٣) العبادة والذكر .

جعفر بن أحمد بن عبد السلام البهلولى الأبناوى ت : ٥٧٣ هـ (١١٧٥م):

القاضى شمس الدين : كان مطرفيا ، وعندما وصل الفقيه زيد بن الحسن

---

(١) بقضاء آنس على مسافة ٦٨ ك.م جنوبى صنعاء .

(٢) راجع ترجمته كاملة فى البدر الطالع للشوكانى ص:١٤٦ — ١٤٩

البيهقى سنة ٥٠٠ هـ إلى اليمن قرأ عليه وراجعه ، ثم رحل معه إلى العراق فمات زيد بتهامة ، ثم واصل القاضى جعفر سفره إلى العراق ، وبها قرأ على العلامة أحمد بن الحسن الكنى ، بعد أن رجع عن التطريف إلى المذهب الزيدى ، وقد قرأ بالعراق كتباً كثيرة ، وعاد إلى اليمن يحمل الكثير من العلوم التى لم يصل بها أحد سواه ، فقرأ عليه الإمام عبد الله بن حمزة والشيخ الحسن ابن محمد الرصاص وكثير من العلماء ، وقد لقب بعد عوده بعالم الزيدية ومتكلمها ، كان أحد أنصار الامام أحمد بن سليمان ، وقد بذل مساعى كبرى فى إبطال مذهب التطريف باليمن ، ومن مؤلفاته . (النكت) وشرحها و(الأربعين العلوية) ، ورتب أمالى أبى طالب ترتيباً علمياً سماه (ترتيب المطالب إلى أمالى أبى طالب) ، ولم يزل مدرساً بقرية(سناع)حتى توفى سنة٥٧٣، وكان قد رحل قبل موته إلى إب لمناظرة الفقيه العمرانى الحنبلى صاحب(البيان) الذى سبق الكلام عنه عند ذكرنا لمصادر علوم الشافعية ، ولم يتمكن من الاتصال به ، ويحكى أن العمرانى أرسل إليه البرعى فأفحش القول على القاضى جعفر وسفّهه ، وهمّ بالبطش به فآواه الشيخ محمد بن اسماعيل صاحب حصن (شوايط) بذى سفال ، ثم قام القاضى جعفر بتوجيه رسالة إلى العمرانى ، الذى ردّ عليه برسالة جريئة ، ويوجد نسخة من كتاب رحلة القاضى جعفر يتضمن الرسالة والرد عليها بدار الكتب المصرية ، وللقاضى جعفر عدة رسائل تتضمن الكثير من العلم توفى بقرية (سناع) بضواحى صنعاء الجنوبية .

الحسن بن أحمد الجلال ١٠١٤ — ١٠٤٨ هـ (١٦٠٥ — ١٦٧٣ م) :

ينتهى نسبه إلى الناصر بن الهادى . ولد بهجرة (رغافة) بقضاء جماعة شمالى اليمن . رحل فى طلب العلم إلى (صعدة) و (شهارة) و (صنعاء) وبها درس على أكابر العلماء حتى برع وصار من أكبر علماء عصره ومجتهديه ، وكان له ذكاء نادر وذهن وقاد وتبريز فى جميع أنواع العلوم والمعارف حتى

أحرز مكانة رفيعة لدى المتوكل على الله اسماعيل . استوطن أخيراً قرية (الجراف) إحدى متنزهات صنعاء الشمالية وبها توفى . له من المؤلفات : (ضوء النهار) شرح على (الأزهار) للأمام المهدى أحمد يحيى . قال الشوكانى : هو بحر عجاج متلاطم الأمواج ، لم يشرح الأزهار بمثله ، بل لا نظير له فى الكتب المدونة فى الفقه . . . » وللشوكانى حاشية عليه تعرف بالسيل الجرار وهو كتاب جليل نادر يعتبر مكملاً لضوء النهار ، وله أيضاً شرح على (الفصول اللؤلؤية) فى أصول الفقه للسيد صارم الدين ابن الوزير ، وشرح على (مختصر المنتهى) ، وشرح على (التهذيب) فى المنطق ، و (عصام المتورعين) فى أصول الدين ، وشرح على (القلائد) للامام المهدى أحمد بن يحيى ، وحاشية كمّل بها حاشية السّعد على (الكشاف) ومجموعات أخرى مفيدة ، وله شعر متين جزل ونثر فى غاية البلاغة . من شعره القصيدة المائية المشهورة بـ (فيض الشعاع) وشرحها ، مطلعها :

الدين دين محمد وصحابهِ ياهائماً بقياسه وكتابهِ

وفيها يقول :

فالمشكلات شواهد لى أننى أشرقتِ كل محقق بلعابه
لولا محبة قدوتى بمسجد زاحمت (رسطاليس) فى أبوابه

وله فى مجال الأدب الكثير الحسن ، من ذلك :

وشادنٍ يغرق أهل الهوى فى حبه فابكِ على وارده
مذلاح فى الخد أخو أمه عاينت تصحيف أخى والده

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى ت : ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) :

ينتهى نسبه إلى أرحب بن الدعام الأصغر الذى ينتهى نسبه إلى زيد بن كهلان، ويعرف بابن الحائك . رحل إلى كثير من الأرجاء اليمنية ومكة أقام بصعدة

عشرين عاما،وحدث أن هاجى شعراءها فانقلبوا عليه واتهموه بهجاء النبى (ص)، فزج به الإمام الناصر فى غياهب السجن بصعدة ، وبعد أن أطلق رحل إلى صنعاء زج به أسعد بن أبى يعفر فى السجن ثانيـةً وبقى به إلى أن مات ، ولم يظهر أسباب تـكرار حبسه ،غير أن أبا الرجال يحدثنا فى كتابه مطلع البدور أن ذلك كان لشأنٍ يتعلق بدينه ، ومع أنه كان زيدى المذهب فلم يتعرض لذكره من المؤرخين إلا القليل ، ولعل تخصصه كان مقصوراً على حفظ الأنساب والبلدان ، يذكر فى مؤلفه (الإكليل) أنه تلقاها عن الأبرهى والشهابى واللبخى وغيرهم . يعتمـد فى بعض منقولاته على ابن هشام الـكلبى والهيثم ابن عدى وأساطير عبيد بن شرين ووهب بن منبه وبالأخص فى أنساب قحطان ومن تحدر من صلبه وأخبارهم ووصاياهم وأشعارهم ، وله كتاب (صفة جزيرة العرب) أورد فيها الـكثير من أسماء الأماكن والبلدان فى اليمن والحجاز أكثرها سماعاً .

الحسن بن أحمد الحيمى ت : ١٠٧٠ هـ (١٦٩٣ م) :

عالم كبير ، ناصر الإمامين المؤيد والمتوكل ابنى القاسم وساندهما فى عدة مهام . ندبه المؤيد إلى سلطان الحبشة وله كتيب صغير بعنوان (سيرة الحبشة) ، كما ندبه المتوكل إلى حضرموت بغية الإصلاح بين السلاطين من آل كثير .

الحسن بن عز الدين — الامام الناصر : ٨٦٢—٩٢٩ (١٤٩٢ — ١٥٢٤م)

. أحد الأئمة المجتهدين . قام بالإمامة (بصعدة) بعد وفاة والده الامام عز الدين بن الحسن . كان بليغاً ومؤلفاً ، له كتاب (القسطاس المقبول شرح معيار العقول) فى أصول الفقه ، تعارض مع الامام المنصور محمد بن على الوشلى فلم يتمكن من النهوض بالإمامة ، بالرغم من مساندة أمير صعدة الشريف محمد

ابن الحسين الحزى له ، ولذلك عمد إلى الاشتغال بالعلم والعبادة بهجرة (فللة) وبها توفى

الحسن بن على بن داوود – الامام الناصر ت : ١٠٢٤ (١٦١٥م) :

أحد أشياخ الامام القاسم بن محمد قام بالامامة من قرية الهجر أسفل (الأهنوم) ثائراً ضد الغزاة الأتراك بعد وفاة الثائر الأكبر المطهر بن شرف الدين . وقد بدأ حملاته ضد الأتراك المرابطين فى أرحب وعيال سريح ، ولكن الباشا سنان تمكن من صد تلك الحملات ثم التقدم لمحاصرته بجبل الأهنوم مما اضطر الإمام إلى مهادنته .

وفى سنة ٩٩٣هـ تمكن من القبض عليه وإرساله مع بعض أعيان البلاد إلى (الأستانة) وبها توفى .

الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ٩٩٦ — ١٠٤٨ هـ (١٥٨٨ – ١٦٤٨م) :

قال العلامة الشوكانى فى كتابه (البدر الطالع) : قرأ بشهاره على جماعة من الشيوخ وأدرك حصةً نافعةً من المعارف ونال من الأتراك ما لم ينله أحد ، أوقع بهم وقائع متعددة حتى استأصلهم وأخرجهم من الديار اليمنية بعد أن حارب جماعةً من كبرائهم كحيدر باشا وقانصوه باشا، وأخذ ما بأيديهم من مدن اليمن، ووقعاته وملاحمه لا يتسع لها هذا المختصر . . وأُسر فى أيام والده وحبس بصنعاء وبقى أياماً طائلةً ، ثم خرج خفيةً . . . وفيه من الشجاعة والإقدام فى المعارك ما يبهر العقول ، فإنه وحده كان يقوم مقام الجيش ، وقد أحاط به مرةً فى قاع صنعاء أيام محاصرته لها جماعة من فرسان الأتراك المشهورين وهم عدد واسع يزيد خيلهم على الألف فضلاً عن سائر الجيش ، ولم يكن عنده إذ ذاك إلا أخوه العلامة الحسين – الآتى ذكره – ونفر يسير، فدار القتال عليه وعلى أخيه وما زال يصاولهم طعناً وضرباً ويجندل شجعانهم حتى خرج من بينهم سالماً

هو ومن معه من النفر اليسير ، وكم أعدد من إقدامات هذا السيد الذى تقصر الأقلام عن حصر بعض مناقبه ، وهو نظير المطهر بن شرف الدين أو أرفع درجةً منه فى الشجاعة والرئاسة وحسن التدبير ، وقد بلغت جيوشه فى بعض المواطن نحو ثمانين ألفاً ، وله فى الكرم يد طولى .. ثم بعد أن أجلى الأتراك من أرض اليمن جميعها اختط حصن (الدامغ) بـ (ضوران) سنة ١٠٤٠ هـ ، فعمره عمارةً بليغة وأجرى فيه الأنهار وغرس فى جوانبه الأشجار . . والحاصل أنه من أعظم سلاطين الجهاد وأساطين مصالح العباد توفى بمدينة (الحصين) التى عمرها تحت حصن (الدامغ) المشار إليه ومما قيل فى رثائه :

أدرَى الذى ينعى إلينا من نعى ؟ لو كان يدرى ما أشاد وأسمعا
أتراه يدرى أنه ينعى إلى كل الأنام الدين والدنيا معا
وحياتهم ومعاشهم ورياشهم ونعيمهم هذى الخصال الأربعا»[1]

الحسن بن محمد العنسى (النحوى) ت ٧٩١ هـ (١٣٩١ م)

قال أبو الرجال فى كتابه (مطلع البدور) : « هو شيخ الزيدية وعالمهم ومفتى الطوائف وحاكمهم ، شيخ شيوخ الاسلام ، مفتى فرق الأنام . . من طبق فضله الآفاق، وانتشر علمه كالشمس فى الإشراق ، ومضت أحكامه فى مكة ومصر والعراق ، قرأ على العلامة يحيى بن الحسن البحيح والامام يحيى بن حمزة. من أهم مؤلفاته (التذكرة الفاخرة فى فقه العترة الطاهرة) و (التيسير فى التفسير) وتعليق على (اللمع) فى الفقه عنوانه : (منتهى الغايات) وآخر يسمى (الروضة) ، و (منتهى الآمال فى مشكلة الأقوال) . تولى القضاء بصنعاء وبها توفى ودفن فى الساحة التى بين (باب اليمن) و (السعدى) .

الحسن بن محمد بن على الميصى ت : ٩٥٠ هـ (١٥٤٣م) :

---

(١) البدر الطالع : ٢/٢٠٥ — ٢٠٧

تلميذ الامام شرف الدين فى كل معارفه ، كان عليه اعتماده فى قضاء حاجات الفقراء والمعوزين. له شرح على (الأثمار) للامام شرف الدين ، وقد مات مرافقاً له بظفير حجه .

الحسن بن محمد بن الحسن الرصاص ت : ٥٨١ هـ (١١٨٦ م) :

تلميذ القاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام وشيخ الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة أثنى عليه صاحب الطبقات وعلى علمه وذكائه ومؤازرته للامام عبد الله بن حمزة فقال إليه انتهت رئاسة أصحاب القاضى جعفر ابن أحمد ، وكان فى فن علم الكلام شمساً مشرقةً على الأنام وحبراً من أحبار الاسلام مدحه المنصور عبد الله بقوله :

بحر فلا الأفلاك تقطعـه كلا ولا الماهرون إن مهروا
حل الذى يسهر الكهول له وهو فتًى ما لخده شعر

توفى بقرية سناع بضاحية صنعاء الجنوبية ودفن بجوار القاضى جعفر .

الحسن بن نسر الأهنومى ت : ٧٥٣ هـ (١٣٥٣ م) .

أحد أعيان المائة الثامنة ، له مؤلف فى النحو يسمى (اللمع) وآخر فى الفقه سماه (الملتمع فى كشف غوامض اللمع) ، توفى بحوث .

الحسين بن أحمد الحيمى (السياغى) ١١٨٠ — ١٢٢١ هـ (١٧٦٦ — ١٨٠٦م) :

زميل الإمام الشوكانى ، مؤلف (الروض النضير شرح المجموع الكبير) السالف الذكر وله حاشية نفيسة على شرح الجلال لآداب البحث . له شعر جيد ، فمنه :

تأملت فى أهل القريض وما جرى عليه الأولى سنوا لنا السنن الحسنى
فلم أر إلا ناقلاً لفظ غيره بلا حشمةٍ أو من يغير على المعنى

ومن شعره وفيه جناس تركيب :

تعرض لى غزال فيه وشم ونحن بسفح وادى الرقمتين
فقلت — وضرتاه لديه — ماذا ؟ فقال هو الوشام برقم تين

الحسين بن القاسم العيانى — الإمام المهدى: ٣٧٦—٤٠٤هـ (٩٨٧—١٠١٣م)

قال السيد محمد زباره فى كتابه أئمة اليمن : هو العالم الذى لايجارى فى مظار ، والمجتهد الذى لايشق له غبار ، له الأقوال الصادعة والتصانيف العديدة النافعة منها : (منهج الحكمة)،(المعجز) فى أصول الدين ، كتاب (الإرادة)، (الصفات) ، (معرفة الصانع) ، (تفسير غريب القرآن) وقيل أن مؤلفاته ورسائله بلغت ٧٣ مصنفاً .

تولى الإمامة بعد وفاة أبيه المنصور بالله القاسم المشهور بالعيانى (الآتى ترجمته) . تحارب مع الإمام محمد بن القاسم بن الحسين الزيدى فى صنعاء سنة ٤٠٣هـ فى معركة مشهورة أسفرت عن قتل الزيدى وقد دفن فى مكان يدعى (نجد عصفر) بضواحى صنعاء الغربية مما يلى (فج عطان) .

قال زبارة : « وفى سنة ٤٠٤ خرج أحمد بن قيس بن الضحاك عن طاعته وتالبت معه قبائل همدان فى مائة فارس فلقيهم بجيش عظيم (فى ذيبين) ودارت حرب إنهزم بعدها المهدى إلى الجوف ، ثم كر راجعاً إلى (ريدة) فقصدته همدان بجموعها ، وحصلت بينهم وبينه حروب شديدة فرق فيها صفوفهم وحمل عليهم المرات العديدة حملات الباز الأشهب ووثب على جماعة منهم وثبات الأسد المغضب ، وفى آخر الأمر تكاثرت عليه الرجال وجدوا فى القتال فانجلت المعركة عن قتله بقرية (عرار) من وادى البون ، وحكى مسلم اللحجى عنه وعن والده القاسم العيانى مايوم مخالفتهما للمذهب الزيدى وترجيح أشياء من مذهب العبيديين وذكر أن الحسين ادعى أنه ينزل عليه الوحى ، إلا أن السيد المجتهد

أحمد الشرفى فى شرحه على البسامة كذب اللحجى ، وقال إن ذلك مجرد بهت وحقد واستدل على ذلك بما تحويه مؤلفاتهما من علوم وحكمة .

الحسين بن الإمام القاسم بن محمد: ٩٩٩ - ١٠٥٠ هـ (١٥٩١ - ١٦٤٠ م)

ولد بشهارة وبها عكف على تلقى العلوم والفنون عن أكابر علماء عصره حتى صار إماماً فى الأصول والفروع والبيان والنحو والمنطق والحديث والتفسير وألف (الغاية) وشرحها الكتاب المشهور . السالف الذكر [١].

الحسين بن محمد بن بدر الدين ت : ٦٦٣ هـ (١٢٦٥ م) .

ينسب إلى يحيى بن يحيى من سلالة الإمام الهادى . علامة الفقه والحديث . ولد بهجرة رغافة وبها نشأ ودرس العلم . يروى بطريق الاجازة والسماع والمناولة عشرات من أمهات العلوم الاسلامية ، أشياخه وتلاميذه من أئمة علماء اليمن . ترجم له مؤلف الطبقات ترجمة مطولة .

الحسين بن بدر الدين بن محمد ٥٨٢ ـ ٦٦٢ هـ (١١٨٤ ـ ١٢٦٣م) .

من سلالة يحيى بن يحيى المتصلة بالهادى . نشأ بهجرة رغافة وبها درس ووضع مؤلفاته التى أصبحت ذات شهرة واسعة منها : (شفاء الأوام فى أحاديث الأحكام) وقد سبق الكلام عنه فى مصادر الحديث وعلومه عند الزيدية، (المدخل) (الذريعة) ، (التقرير) فى ستة مجلدات وكلها فى (الفقه) ، (غرة الأفكار فى حرب البغاة الكفار) ، (ينابيع النصيحة) فى أصول الفقه وهو من أجود ما ألف فى هذا الفن ، (النظام) . أما رسائله وفتاويه فهى كثيرة ، توفى برغافة .

الحسين بن محمد اللاعى (المغربى) : ١٠٤٨ - ١١٤٠ هـ (١٦٣٨ - ١٧٢٨ م)

قاضى صنعاء وعالمها ومحدثها . من مؤلفاته (البدر التمام شرح بلوغ المرام فى أحاديث الأحكام) ، وقد اختصره السيد محمد بن اسماعيل الأمير فى الكتاب

(١) أنظر صحيفة (١٦٧) قبل هذا .

المعروف بـ (سُبُل السلام) المطبوع سنة ١٣٤٧ هـ ، وله رسالة فى حديث «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب» رجح فيها أنه إنما يجب إخراجهم من الحجاز فقط ، محتجاً بحديث آخر وهو «اخرجوا اليهود من الحجاز»[1] ، ولأخيه الحسن حاشية على (شرح العقائد) للإمام المهدى أحمد بن يحيى .

الحسين بن ناصر المهلاً : ت ١١١١ هـ (١٧٠٠ م)

علامة الشرف (بلواء حجة) . حفيد القاضى الشهير عبد الحفيظ المهلاً .
سكن قرية (الشجعة) غربى مدينة المحابشة بالشرف مسكن آبائه وأجداده .
إشتهر بكتابه (المواهب القدسية شرح البوسية) فى مذاهب علماء الإسلام، وكانت أبياتها تزيد على أربعين ألف بيت ، ثم اختصرها فى عشرة آلاف بيت ثم شرحها شرحاً رائعاً . مات بالشجعة شهيداً حيث أمر بقتله الساحر المحطورى[2] .
و(البوسية) منظومة فى الفقه على غرار الشاطبية وواضعها أحد أعلام الزيدية (البوسى) نسبةً إلى بيت بوس وهى قرية جنوبى غربى صنعاء مسافة ٧ كم .

حميدان بن يحيى بن حميدان :

صاحب (المجموع) المعروف عند الفقهاء بـ(مجموع ابن حميدان)، جمع فيه أقوال الزيدية وتفاصيل مذهبهم ، وعليه كان جلّ اعتماد المتأخرية منهم .. توفى بسودة شظب (بالأهنوم) .

حميد أحمد الشهيد المحلّى : ٥٨٢ - ٦٥٢ هـ (١١٨٤ - ١٢٥٤ م) .

---

(١) قلت: وهذا الترجيح معرض للمناقشة من وجوه لا تخفى على محققى علم الأصول وما يتعلق بالخاص والعام والناسخ والمنسوخ .

(٢) وقعت فتنة الساحر المحطورى سنة ١١١١ هـ وعمت كثيراً من أنحاء اليمن، واستجاب لها كثير من الناس ، وقد جاء ذكر تفاصيلها فى كتاب (نفحات العنبر) ويظهر أن السيد المحطورى كان أحد الثوار من أجل الزعامة وكان له ملكة فى السحر فاتخذه ذريعة لجلب الناس حوله ، وارتكب فى حركته تلك أنواعاً من الفظائع ، وقد أخمد فتنته هذه الإمام المهدى صاحب المواهب (١٦٨٧ — ١٧١٨م)

من قبيلة همدان . درس على الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزه والشيخ أحمد الرصاص هو مؤلف كتاب : (الحدائق الوردية فى مناقب وتراجم الأئمة الزيدية) فى مجلدين ، يوجد بمكتبة المتحف البريطانى كما سيأتى،وله(محاسن الأزهار فى مناقب إمام الأئمة الأبرار على بن أبى طالب) . ومن مؤلفاته فى أصول الدين : (النصيحة) ، (عقيدة الآل) ، (الوسيط) ، (الحسام) وكتاب فى الرد على الباطنية ، وغير ذلك من الرسائل .

مات شهيداً بنقيل الحصبات حيث اغتاله غلام تركى من مماليك الأمير محمد بن حسن بن رسول .

السيدة دهماء بنت يحيي بن المرتضى : ت ٨٣٧ هـ(١٤٣٤ م)

أخت الإمام المهدى . قال الشوكانى : كانت عالمة فاضلة ، أخذت العلم عن أخيها،حيث قرأت عليه هى والإمام المطهر بن محمد. لها مصنفات منها شرح الأزهار فى أربعة مجلدات ، وشرح لمنظومة الكوفى فى الفقه والفرائض ، وشرح لمختصر المنتهى . عكفت على التأليف والتدريس بمدينة (ثلا) حتى ماتت وقد تزوجت بالسيد محمد بن أبى الفضائل وأولدها ولداً سمى إدريس . من شعرها فى مدح كتاب أخيها (الأزهار) :

يا كتاباً فيه شفاء النفوس ... أنتجته أفكار من فى الحبوس
أنت للعلم فى الحقيقة نور ... وضياء وبهجة كالشموس

زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم ١٠٧٥ —١١٢٣ هـ(١٦٦٤ — ١٧١٣ م)

شيخ مشايخ صنعاء فى عصره . مؤلف (المجاز) شرح الايجاز للشيخ لطف الله الغياث فى المعانى والبيان وهو كتاب مشهور فى هذا الفن ، وله (النبراس فى الرد على اعتراض الكردى على (الأساس) للامام القاسم بن محمد . قد

بجوار قبر الامام شرف الدين بظفير حجه . رثاه السيد الأديب عبـد الله بن علي الوزير بأبيات منها :

هاهنا علامة الدنيـا فزُرْ قبره تحظى بأنوار وتسعد
هو سعد الدين فى تحقيقـه وهو عندالله فى التحقيق أسعد
لقى الله فأرخ (حلَّ فى جنة الفردوس زيد بن محمد)
١ ١ ٢ ٣

صالح بن مهدى المقبلى : ١٠٤٧ — ١١٠٨ هـ(١٦٣٧ — ١٧٢٨ م)

نسبة إلى قرية (المَقْبَل) من بلاد كوكبان . تتلمذ للسيدالعلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل بن شرف الدين ، وبه تخرج وانتفع وأصبح أحد الأئمة المجتهدين فى اليمن . تناظر مع علماء صنعاء مناظرةً أوجبت المنافرة بينه وبينهم ، فهاجر إلى مكة واستقر بها حتى توفى . من مؤلفاته الشهيرة فى كلٍّ من اليمن والحجاز : (العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشايخ) وقد انتقد فيه بعض الفرق الاسلامية ، (حاشية المنار على البحر الزخار) للامام المهدى أحمد بن يحيى ، (الأبحاث المسدَّدة فى فنون متعددة) ، وهو مفيد للغاية . وقد اعترض على أبحاثه فى العلم الشامخ بعض علماء مكة ، ونسبوه إلى الزندقة بسبب عدم التقليد ثم الاعتراض على أسلافهم ، ورفعوا أمره إلى سلطان الأتراك ، فأرسل بعض علمائه لمناظرته فلم ير منه إلا الجميل ، وقد أخذ عنه أهل داغستان ونقلوا مؤلفاته ... إلى آخر ما ذكره الشوكانى فى (البدر الطالع) .

صلاح بن أحمد بن المهدى : ١٠١٩ — ١٠٤٨ هـ (١٦١٠ — ١٦٣٨ م)

أحد المجتهدين والمتبحرين فى كل المعارف الإسـلامية . ناصر المؤيد بن القاسم قولاً وفعلاً . كان أحد قواد جيشه ضد الغزاة الأتراك ، وقد اشترك فى حصارهم بصنعاء نحو أربع سنوات . من مؤلفاته : شرح على (الهداية) فى الفقه

وآخر على (الفصول اللؤلؤية) فى أصول الفقه وكلاهما للسيد صارم الدين بن الوزير . وله مختصر لشرح العينى فى شواهد التلخيص ، وشرح لشواهد النحو و (القنطرة) فى أصول الفقه ، وله ديوان شعر رائع زاحم به الصفى الحلّى . من تلامذته السيد صارم الدين بن الوزير المذكور وصاحب (البسامة) فى التاريخ. قال مؤلف طبقات الزيديدية : « كان السيد صلاح يقول : كنت أظن أن مذهبنا لم يهتم به أهله بحراسته بالأسانيد الحديثة ، فتحققت وفتشت الكتب ، فوجدت الأمر بخلاف ذلك ، ولقد كنت استضعفت حديثاً من أحاديث أهل المذهب ، ثم بحثت فوجدته من خمسة عشر طريقاً كلها صالحة ثابتة على شرط أهل الحديث، ثم ساق بعد ذلك كلاماً مطولاً أثنى فيه على علمه وأدبه[1]. توفى بقلعة (غمار) من جبل رازح .

عبد الله بن أبى القاسم (إبن مفتاح) : ت ـ ٨٧٠ هـ (١٤٦٦ م)

صاحب (شرح الأزهار) إنتزعه من الغيث المدار شرح الأزهار . وكلاهما للامام المهدى أحمد بن يحيى . كان من رجال التحقيق فى الفقه ، وله تعليق صغير على (التذكرة) .

سكن قرية (غضران) ببنى حشيش ١٦ ك م شمالى صنعاء وبنى فيها مسجداً. توفى بالسر من بنى حشيش أيضاً .

عبد الله بن محمد العبسى (النجرى) : ت ـ ٨٧٧ هـ (١٤٧٣ م) :

عالم رحالة كبير . رحل إلى مصر لطلب العلم . كان مبرزاً فى كثير من العلوم. من مؤلفاته : كتاب فى النحو وآخر فى المنطق ، وشرح على (آيات الأحكام الخمسمائة) ، و (المرقاة) فى علم الكلام ، وشرح فى مقدمة (التسهيل) لابن مالك،

(١) طالع انموذجاً من إنتاجه الأدبى فى الجزء الخامس من هذا الكتاب : (الأدب اليمنى) .

(المعيار) ولا يوجد له نظير فى كتب الدين . توفى بقرية القابل غربى صنعاء مسافة ١٢ ك م .

عبد الله بن الإمام شرف الدين ت : ـ ٩٧٣ هـ (١٥٦٦ م)

كان محققاً فى جميع العلوم وشتى الفنون . وقد تضلع فى الشعر والأدب ، وسنورد صوراً منه فى الجزء الخامس . توفى بمدينة ثلا التى تبعد حوالى ٤٥ ك م غربى صنعاء .

عبد الله بن الحسن بن عطية : ت ـ ٨٨٥ هـ (١٤٧٤ م)

أحد العلماء الكبار . كان يعرف بسلطان العلماء وإمام الأصول والفروع. من تلاميذه : النجرى السالف الذكر والهادى بن إبراهيم الوزير وغيرهما من أعلام اليمن ، وهو أحد مسندى مذهب الزيدية إلى الإمام زيد . من مؤلفاته فى الأصول : شرح على الجوهرة للامام عبد الله بن حمزة ، وشرح على الأصول الخمسة ، وكتاب شريدة القنّاص وفى الفروع :الديباج النضير ، مع عدة مسائل ورسائل . وقد تولى القضاء بصعدة وبها مات .

عبد الله بن حمزة — الامام الشهير ٥٦١ — ٦١٤ هـ (١١٦٦ — ١٢١٧م)

ينتهى نسبه إلى عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسِّى قام بالامامة سنة ٥٩٣هـ وكان من أكابر المجتهدين من أئمة اليمن والمكرسين جهودهم فى طلب العلم ونشره والجهاد فى سبيل نصرة الدين وإعزاز الاسلام من مؤلفاته الشهيرة كتابه (الشافى) أورد فى مقدمته الطرق والمسندات التى أخذ عنها كتب الصحاح ومنها البخارى ومسلم ومجموع الامام زيد . كان يحفظ من الأحاديث المسندة إلى رسول الله (ص) نحو خمسة آلاف حديث ، وبلغت مسموعاته قبيل وفاته إلى خمسين ألفاً . له تلامذة كثيرون لا يتسع المجال لذكرهم هنا . كان كثير الشعر وافر الأدب كثير الاحتجاج على غريب

الـكتاب والسنة ، عالماً بأشعار العرب حتى قيل أن محفوظه يزيد على المائة ألف بيت . شرع فى تفسير القرآن فلم يفرغ من سورة البقرة إلا فى مجلد ضخم وتوفى دون إتمـامه وله مؤلفات أخرى عديدة وأشهرها : (الشافى) فى أربعة مجلدات فى علم الـكلام ، ويتضمن الرد على صاحب الرسالة الخارقة وهو الفقيه ابن أبى القبائل صاحب بلاد جبلة بلواء إب ، (المهذب) ، (زيادة الأدلة العقلية) ، (صفوة الإختيارات) ، (حديقة الحـكمة النبوية فى شرح الأربعين الحديث السليقية) ، (الجوهرة الشفافة) فى أصول الدين ، وتشتمل على نيف وأربعين رداً على أشعرى متفلسف (الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة) فى مجلدين أحدهما فى التوحيد والعدل والوعد والوعيد ، وثانيهما فى فضائل العترة النبوية ، (الدرة الثمينة) ، (الأجوبة الـكافية) وكتاب (الفتاوى المنصورية) وغير ذلك ، وله ديوان شعر ضخم فى غاية من الجودة ومنتهى البلاغة · من ذلك قوله بعد قتل الأيوبيين لأخيه إبراهيم فى المعركة ، وقد روى ذلك المؤرخ الخزرجى فى العقود اللؤلؤية :

روّعنى الدهر بأحداثه ... وليس مثلى من شباها يراع

يروم إنزالى على حكمـه ... وإنمـا يفعل ذاك المراع

فصد عنا والتمس غيرنا ... وخصّ بالرعب قلوب الرعاع

ومن قصيدة وجهها إلى خليفة بغداد الناصر أحمد بن المستنصر العباسى وهى من قصائده التى تفيض بالثورة ضد الظالمين وتطفح بالحماس من أجل نصرة الحق والدين :

يا أهل بغداد إن الله سائلـكم ... عن ملة الدين إذ غيرتموا فيها

أنتم عيون بنى الأيام قاطبـةً ... فى النائبات ولـكن القذا فيها

قد اشـتملتم على عميـاء مظلمةٍ ... لا يهتدى بنجوم الحق هاديها

إن الخلافة أمر هائل خطر ... صعب مسالكها وعر مراقيها
لو كان ما أنتمو فيه على سنن ... قام المريض إلى المرضى يداويها
إن الخليفة من يهدى بسنته ... حتى تضيء به الظلماء لساريها
ويقتفى سنة المختار معتمدا ... حتى بضم إلى الأدنى قواصيها
ولا يميل إلى لهو ولا لعب ... إلا بسمر العوالى فى مجاريها
يجرى الشريعة مجراها الذى وضعت ... عليه حتى يحل الدار بانيها
خليفة الله ترضى الله سيرته ... وتطهر الأرض طراً من مخازيها

ومنها :

لا نعرف الخمر إلا حين نهرقها ... ولا الفواحش إلا حين ننفيها
نحمى حمى الدين بالجرد العتاق وبالبيـ ... ـض الرقاق رؤوس الضد نشفيها
وكم فتى يلتقى الأبطال مبتسما ... منا ويطعنها شزراً ويرديها
أنا ابن أحمد إن فتشت عن نسبى ... القائد الخيل منكوباً حواقيها
المانع النفس ما تهواه من عرض ... عمداً لتسمو وتعلو عن مساميها
وغارة مثل لمع البرق مشعلةً ... كفى الذوائب منها لا تواليها
وهزمةً مثل قصف الرعد مجحفةً ... ظلت سيوف بنى المختار تحميها
وسائل عن فنون العلم ملتهف ... همى عليه بماء العلم هاميها

ومنها :

إن الامام الذى يبدو لطالبه ... كالشمس لا يستطيع الغيم يخفيها
إذا دجت ظلمات الخطب قام لها ... مشمراً فتُجلى أو يجليها
ضخم الدسعية محمود الشريعة لا ... يرضى لنحلته كبراً يدانيها

وله غرر من الشعر والنثر سنوردها ضمن كلامنا عن أدباء اليمن فى الجزء الخامس إنشاء الله .

ولهذا الامام العظيم سيرة خاصة جمعها الشيخ على بن نشوان بن سعيد الحميرى وغيره فى أجزاء كثيرة ، ثم اختصرها الشيخ أبو فراس دعثم الصنعانى فى ستة أجزاء وعرفت بسيرته الصغرى . وقد عقد له المؤلف زبارة فصلاً مطولاً فى كتابه (أئمة اليمن) يتكون من ثمانى عشرة ورقة من القطع المتوسط ، أورد فيها نبذاً من علومه وآدابه وسيرته وجهاده .

وقد تحارب هذا الإمام طويلاً مع السلطان طغطكين بن أيوب وولده المعز إسماعيل وقوادهما من الأكراد، وكان من أنصاره: على بن حاتم اليامى الهمدانى والأمير العفيف محمد بن المفضل بن الحجاج والأمير مجد الدين يحيى بن بدر الدين، وكانت المعارك سجالاً ، إلا أن الإمام تمكن من افتتاح صنعاء مرتين ، أولاهما سنة ٥٩٤ه بعد أن دخل فى طاعته الأمير جكر بن محمد الكردى أحد قواد المعز ، وثانيهما فى سنة ٦١١ بعد أن ضعفت شوكة الأيوبيين. توفى بحصن كوكبان ثم نقل جثمانه إلى حصن (ظفار داوود) شمالى مدينة حوث .

رسالة ابن النساخ إلى الخليفة العباسى :

وقبل أن ننهى حديثنا عن هذا الإمام يجدر بنا أن نشير إلى رسالة تناقلتها الألسن وتداولتها كتب التاريخ لما كان لها من الأهمية فى اليمن والعراق ، وكاتبها هو الفقيه المتكلم حسن بن محمد بن النساخ أحد أعيان المذهب المطرفى .

والرسالة طويلة ومثيرة ويكفينا أن نورد هنا طرفاً منها مراعاة للاختصار:

«السلام عليك أيتها المعالم المقدسة بالأكياس، المطهرة من الأدناس، المحلاة بأفضل لباس ، المنتجبة لخلفاء بنى العباس . . .

وبعد ذلك تحضه على الاستعداد لإطفاء نار تأججت باليمن ، أذكى وقودها قائم من بنى الحسن ، تمالأ أهل اليمن على نصرته وسارعوا إلى جماعته وجمعته، وعقدوا له الألوية والبنود ، وأطاعوا أمره كطاعة أمر المعبود ، وحشدوا له

الرعية والجنود،ولقد قدر علينا واستظهر ، فعند ذلك إصدع بما تؤمر ، فقد أعذر من أنذر . . . هى والله إحدى الكبر ، التى لا تبقى ولا تذر ، وأين منه المفر ، ولا ملجأ ولا وزر .

ويجرى إليكم بالمغاوير ضمراً ... دلاص الدروع السابرىُّ ثيابها
ببيض مواضٍ لا تفل غروبها ... وسمر دقاق تطَّردن كعابها
وزرد حديد كالشرار سهامها ... وملحمة تحكى الجحيم التهابها
ويوم ترى أيام (صفين) دونها ... بمعتركٍ ما إن يطير عقابها

اللهم إلا أن تنهضوا إليه جيلاً بعد جيل ، ورعيلاً فى إثر رعيل ، وتعدوا الجلاد السواعد الشداد ، والسيوف الحداد ، فعسى أن تحمى بحماها بغداد ، وكوفان وخراسان ، وتملك ما سواها من البلدان ، هيهات من ذلك هيهات ، لإدراك مافات . ثم أتبع ذلك بقصيدة بليغة مما جاء فيها :

نيام يا بنى العباس أنتم ؟ ... وهذا ثوب إمرتكم تُردى
أراكم غافلين وسوف عنها ... يباعدكم بجد أى حدٍّ
ويرميكم ببغدادٍ بجيش ... أجش معقباً برقاً برعد
ينادى يا لثارات (بفخ) ... و (باخمر) ووقعة (يوم مهدى)
ويدعو : أين إدريس ويحيى ؟ ... وعبد الله إبن أبى وجدى ؟
أأنسى قتلكم لهم جميعاً ؟ ... معاذ الله لو أفردت وحدى

عبد الله بن زيد العنسى ت: ٥٩٣ هـ (١١٩٥ م)

أحد أعلام المذهب الزيدى . عاصر المهدى أحمد بن الحسين وكان أحد أنصاره . مؤلفاته تربو على المائة منها : (الإرشاد) فى الفقه، (المحجة البيضاء) فى أصول الدين ، (التحرير) فى أصول الفقه . توفى بكحلان تاج الدين .

عبد الله بن أحمد الشرفى (القرن الحادى عشر) :

نسبه إلى القاسم بن محمد . من مؤلفاته تفسير القرآن الموسوم بالمصابيح في ستة مجلدات ، وكان من أكابر علماء القرن الحادى عشر الهجرى .

عبد الله بن حسين دلامه الذمارى ت : ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م)

أحد علماء ذمار الأفاضل ، له : مختصر الجامع الصغير ، ومختصر الهدى النبوى لابن القيم . كان له معرفة بعلم الكيمياء . مات بذمار .

عبد الله بن عامر بن على الحسنى : ت ١٠٦١ هـ (١٦٦٩ م)

إبن عم الإمام المنصور القاسم بن محمد . كان والياً على ذيبين ووادعة . له كتاب (التصريح بالمذهب الصحيح) إنتزعه من المنتخب والأحكام للإمام الهادى مع الموافقة بينهما ، وله أشعار كثيرة على منهج العرب الأولى . إستوطن هجرة (الحوس) فى عذر ثم مات بحوث .

عبد الله بن عبد الله المهلاً ت : ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م)

أحد أشياخ الإمام القاسم بن محمد وغيره من مجتهدى اليمن الذين أخذوا عنه فى (الشجعة) بالشرف ثم فى (صنعاء) سنة ٩٩٥ هـ ، ثم فى الأهجر حيث سكنها لمدة تسع سنوات وبها استفاد منه خلق كثير ، وقد عاد أخيراً إلى الشجعة موطنه الأصلى حيث استمر فى تدريس العلوم والردّ على علماء عصره فى كل فن ، وبها توفى .

عبد الله بن على الوزير : ١٠٧٤ — ١١٤٧ هـ (١٦٢٤ — ١٧١١ م)

المؤرخ الشاعر الأديب . من مؤلفاته : (طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى) سجل فيه الحوادث من سنة ١٠٤٦ إلى ١٠٩٠ هـ ، (أقراط الذهب فى المفاخرة بين صنعاء وبئر العزب) ، وله شعر فى غاية الجودة . من ذلك قصيدته التى سماها (أهرام مصر) قال فيها :

أنادم من دمع العيون حواريا ... فلا غرو إن نادمت منها سواقيا

وأشرب فى تلك الربوع مدامعى ... وأطرب إن شاهدت تلك المغانيا

فلو ساجلت بحراً روياً بمقلتى   سحائب مزن لم يصرن قوافيا

عبد الله بن محي الدين العراسى : ١١٣٤ - ١١٨٧ هـ (١٧٢٢ - ١٧٧٣م)

العلامة الحافظ . من مؤلفاته تخريج أحاديث كتاب (الثمرات) وأرجوزة على (أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب) للسيوطى تبلغ إلى ثمانمائة بيت سماها (فتح الحسيب بنظم أنموذج اللبيب) وغير ذلك من المنظومات فى التوحيد وغيره . تولى نظارة أوقاف صنعاء وكان محمود السيرة . توفى بصنعاء .

عبد القادر بن أحمد شرف الدين : ١١٣٥ - ١٢٠٧ هـ (١٧٢٣ - ١٧٩٥م)

من سلالة الإمام شرف الدين ، ولد بكوكبان وبها نشأ وأخذ العلوم على كثير من العلماء . ثم رحل إلى صنعاء وذمار وجميع المدن اليمنية . ترجم له الشوكانى ترجمةً مطولة فى كتابه (البدر الطالع) . وقد رحل إلى مكة من أجل طلب العلم . وله تلاميذ كثيرون منهم الشوكانى والمقبلى . كان مجتهداً متبحراً فى شتى العلوم . قال الشوكانى بعد أن سرد ترجمته المطولة : وبالجملة فلم تر عينى مثله فى كمالاته ولم آخذ عن أحد يساويه فى مجموع علومه ولم يكن بالديار اليمنية فى آخر مدته له نظير . وله رسائل ومباحث مجموعة فى مجلد والكثير منها لم يكن فيه . كان مقصوداً بالمشكلات فى كل فن من جميع الأقطار اليمنية ، ومن مؤلفاته :(نزهة الطرف شرح الجار والمجرور من الظرف) للأخفش ، و (فلك القاموس) وحواش على (ضوء النهار) : توفى بصنعاء .

عبد الواسع بن يحيى الواسعى : ١٢٩٥ - ١٣٧٩ هـ (١٨٧٥ - ١٩٥٩م)

أحد علماء اليمن المعاصرين ومشاهيرهم . إشتهر بكثرة مؤلفاته فى فنون متعددة من العلم ، وبكثرة رحلاته فى الأقطار الإسلامية ولا سيما الديار المقدسة . من أشهر مؤلفاته التى تبلغ : العشرين : (الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد) وتاريخ اليمن المسمى (فرجة الهموم والحزن) و (كنز الثقات فى علم الأوقات)

وأكثر مؤلفاته مطبوعة حيث كان المترجم له يكثر من السفر إلى الخارج ليتولى الإشراف على طبعها بنفسه متحملاً فى سبيل ذلك أنواعاً من المتاعب وفنوناً من المصاعب رحمه الله .

عبد القادر بن على المحيرسى ت : ١٠٧٧هـ (١٦٦٦م)

مؤلف الحاشية على (ضوء النهار) للجلال والمعروفة بحاشية المحيرسى . ناصر الأتراك ، واشترك فى حملاتهم ضد الحيمه وكوكبان ، وقتل فى أحد هذه المعارك .

عز الدين بن الحسن — الإمام الهادى : ٨٤٥ — ٩٠٠هـ (١٤٤٢ — ١٤٥م)

ولد بهجرة (فللة) شمال غربى صعدة ، ورحل إلى صعدة حيث قرأ على على بن موسى الدوارى ثم انتقل إلى تهامة قاصداً يحيى بن أبى بكر العامرى لسماع الحديث . ألف وهو دون العشرين ، من مؤلفاته : شرح (البحر الزخار) للامام المهدى أحمد بن يحيى بلغ فيه إلى كتاب الحج سلك فيه مسلكا عجيبا ، يدل على الإنصاف والتبحر فى العلم ، (المنهاج) فى مجلدين ضخمين ، بويع بالأمامة سنة ٨٧٩هـ قال الشوكانى : إنه كان من أكابر الأئمة علماً وعملاً . مات بفللة .

على بن الحسين بن يحيى بن يحيى : ت ٦٧٠هـ (١٢٧٢م)

أحد فطاحل العلم. عاش بهجرة قطابر. مؤلف (اللمع) فى الفقه وكان من مصادر فقه الزيدية قبل ظهور (الأزهار) للإمام المهدى ، و(الدرر) فى الفرايض وبقية كتبه معتمدة . وقد وضع كتابه (اللمع) على كتب الزيدية المتقدمة كالمؤيد بالله صاحب التحرير ومجموع على خليل وأبى مضر . وله كتاب (القمر) أربعة مجلدات ، و (الكواكب) مجلد ، و (هداية البرايا) فى الفرائض ، و (الوصايا) وغيرها . توفى بقطابر .

علی حمید — ت : ٦٣٥هـ (١٢٣٨م)

الحافظ المشهور صاحب (شمس الأخبار) و (طبقات الراغبين). عاصر المنصور عبد الله بن حمزه وأهدى إليه أول نسخة من الطبقات فكانت محل إعجابه وتقديره .

علی بن يحيى بن الحسين بن راشد ت : ٧٠٢٠هـ (١٣٠٢م)

كان حجة المذهب الزيدى، من مؤلفاته : الزهرة على (اللمع) المتقدم ذكره نقح فيه الفروع دقيقها والجليل وبيّن التأويل والتعليل وأتى فى الفرق والجمع بين المسائل بما لم يأت به غيره ولم يضع فى كتبه إلا ما كان موافقاً لمذهب الهادى. توفى بصعده .

علی بن يحيى بن محمد بن الحسن البناء ت : ٧١٠هـ (١٣١٠م)

كان مبرزاً فى علم العربية مناظراً فى غيرها من العلوم ، عاصر المهدى محمد ابن المطهر : ٦٩٧ — ٧٢٨هـ(١٢٩٨ — ١٣٢٧م) من مؤلفاته : (المنهج) فى التفسير .

القاسم بن على العيانى — الإمام المنصور ٣١٠ — ٣٩٣هـ (٩٠٤ — ١٣٠٠م)

ينتمى إلى محمد بن القاسم الرسى . نسب إلى هجرة (عيان) جنوبى صعدة المقبور بها . تعاصر مع الداعى يوسف وتنحى له عن الامامة وناصره . قام بالامامة سنة ٣٨٨ وامتد نفوذه إلى صنعاء وذمار حيث عين عليهما عاملا الشريف القاسم بن الحسين الزيدى سنة ٣٨٩ . بايعه الأمير أسعد بن عبدالله ابن قحطان الحوالى وخطب له بكحلان تاج الدين ، وأرسل إليه بمال جزيل وخيل . وقد تحارب الامام مع أهل نجران عدة مرات لما كانوا يخرجون عن طاعته ، كما تحارب عامله الزيدى مع ابن أبى الفتوح صاحب آنس ، إلا أن الزيدى تمكن من إخضاعه والاستيلاء على حصن أشيح ، وقد خرج الزيدى

عن طاعته عدة مرات تخللها الصلح والمهادنة ، وفى سنة ٣٩٢ ترك الإمامة وأخلد إلى الطاعة فى (عيان) ثم وافاه حمامه بعد عام .

القاسم بن أحمد حميد المحلى :

كان من أوعية العلم لاسيما الأصول وقد سمى (رازى الزيدية) من مؤلفاته: (الغرر) على شرح الأصول الخمسة ، و (الجوهرة) فى أصول الفقه ، وتعليق سماه (الضامنة) لا أعرف موضوعه . له أشياخ وتلاميذ كثيرون. توفى بصنعاء.

القاسم بن محمد — الامام المنصور : ٩٦٧ — ١٠٢٩ هـ (١٥٦٠ — ١٦٢٠ م)

مؤسس الدولة القاسمية ، ينتهى نسبه إلى الناصر بن الهادى . ولد بالشاهل من الشرف . من أشياخه القاضى محمد عبد الله راوع والمهدى بن أحمد الرجى. كل أشـياخه ومنهم الحسن بن على بن داوود أخذوا عن طريق الامام شرف الدين ، وكذلك إسنادهم ينتهى به ، وله مشايخ آخرون ، و من تلامذته السيد أحمد بن محمد الشرفى السالف الذكر والقاضى عبد الحفيظ المهلاً علّامة الشّرف . كرس جهوده مع أولاده فى منازلة الأتراك ومطاردتهم وقد تم إجلائهم من أرض اليمن فى أيام ولده المؤيد . قام بالإمامة سنة ١٠٠٦ هـ فى جبل (قمر) من بلد أبى زيد بحاشد، ولم يزل يتردد بين حبور وعذر، ثم بين شهارة والسودة ثم انتقل إلى برط عندما قامت الأتراك بالحملة الـكبرى عليه ، وفى هذه الأثناء ألف كتابه (الأساس) وهو من أبلغ وأجود المؤلفات فى علم الـكلام . قال فى آخر مقدمته هذه الأبيات :

هذا (الأساس) كرامةً فتلقه ‏ ‏ ‏ ‏ يا صاحبى بكرامة الإنصاف
واحرز نفيساً من نفائس نثره ‏ ‏ ‏ ‏ جمعت بغوصٍ فى خضمٍّ صافى
جمع المهيمن بيننا فى دينه ‏ ‏ ‏ ‏ جمعاً يَفِى بتضامن وتصافى

وهو فى مجلد ضخم كان مرجعنا الأول فى أبحاثنا السابقة عن (علم الأصول

عند الزيدية) ، وله كتاب آخر يسمى (التحفة) فى النحو ، ثم (الإرشاد) .
وله شعر جيد ، ومنه القصيدة المشهورة بـ (إستفتاح الفُرَج) . وقد عاد إلى شهارة سنه ١٠١٥هـ وبنى بها جامعها المشهور ، كما بنى مسجداً آخراً فى (المجر).
وبعد عودة الإمام القاسم إلى شهارة تدفقت قوات تركية كثيرة نحو شهارة ووقعت عدة معاركها منها : معركة (غرب اثله) ولا زال يضرب بها المثل حتى اليوم لعنفها،وقدهزم فيها الأتراك شر هزيمة ، فاضطروا بعدها إلى توقيع اتفاقية صلح مع الإمام فى صفر سنة ١٠٢٥ هـ وبعدها استقر الإمام فى شهارة حيث أخذ فى نشر العلم ووضع مؤلفاته الأخرى (كالاعتصام) فى الفقه ، وقد بلغ فيه إلى الصيام، وهو مع (الأساس) من أهم مصادر الفقه والأصول حديثاً . كانت وفاته بشهارة مركز القاسميين .

لطف بن أحمد جحاف — ١١٨٩ — ١٢٤٣ هـ (١٧٧٥ — ١٨٢٧م)

أحد أعلام القرن الثالث عشر الهجرى وأحد معتمدى المتوكل أحمد ابن المنصور (١٢٢٤ — ١٢٣١ هـ) أثنى الشوكانى فى كتابه البدر الطالع على علمه وأدبه وكماله فى ترجمة مطولة ، ثم عاد فهاجمه فى بقية المقال واتهمه بالوشاية لدى المتوكل حتى يمن له عليه جميل وإحسان ـ ولعل الشوكانى يقصد بذلك نفسه ـ ولعل هذا التحامل مما قد يحصل بين الأقران والمتنافسين على الجاه والسلطان . ومن جواب للشوكانى على صاحب الترجمة يقول فيه :

مناقب لطف الله جلت فمن غدا ... يرددها جهلاً بها بطل الردُّ

فتى قدرقى فى مدرج العز وارتدى ... بثوب الهدى وانقاد طوعاً له المجد

وسؤدده فى كل باب من العلى ... برغم أعاديه هو السؤدد العد

وله شرح نفيس على (منتقى الأخبار) إقتصر فيه بالكلام على مجرد مدلول الحديث ، وهو نفس الكتاب الذى شرحه الشوكانى (بنيل الأوطار)

المطبوع ، و (درر نحور الحور العين فى سيرة المنصور على وأعلام دولته الميامين) و (العباب بتراجم الأصحاب) ، و (قوة العين بالرحلة إلى الحرمين) والتاريخ الجامع الذى تمم به (أنباء الزمن فى تاريخ اليمن) إلى خلافة المهدى عبد الله ، و (ديباج كسرى فيمن تيسر من الأدب لليسرى) وكتاب (فنون الجنون فى جنون الفنون) ، وكان فصيح اللفظ بليغ النظم والنثر ، ينظم القصيدة الطويلة فى أسرع وقت بلا تعب ، ويكتب النثر الحسن والسجع الفائق بلا تروّ ولا تفكر وهو طويل النّفس ممتع الحديث . . . إلى آخر ما ذكره الشوكانى . توفى بصنعاء .

لطف الله بن محمد الغياث : ت — ١٠٣٥ ﻫ (١٦١٤ م)

قال أبو الرجال : كان فى العلم غاية لا تدرك ، وقد استجمع العلوم الإسلامية الحكيمة وحققها وعارض أهلها واستدرك ، ونقل أهل الأقاليم سمة أقواله . ومؤلفاته مراجع طلاب العلم فى اليمن منها : (المناهل الصافية فى شرح الكافية) فى النحو والصرف صارت شروح الكافية بعدها كالمنسوخة ، وله شرح آخر على الكافية لم يكمله . و شرح مقدمة (الأساس) للامام القاسم ابن محمد ، وله فى الطب ملكة عظيمة مع إجابات علمية ومسائل منقحة . توفى بظفير حجة .

محمد بن إبراهيم الوزير : ٦٧٥ — ٨٤٠ ﻫ (١٣٦٥ — ١٤٢٧ م)

يلتقى نسبه مع الإمام المهدى أحمد بن يحيى عند المرتضى بن المفضل . هو أحد أعلام اليمن المجتهدين المبرزين فى كل العلوم .

قال فى الطبقات : «كان سباق غايات وصاحب آيات ، بلغ من العلوم الأقاصى واقتنها بالنواصى ، له فى علوم الاجتهاد المحل الأعلى والقدح المعلى ، أجمع مؤرخوا اليمن وعلماؤها على صحة اجتهاده وغزارة علمه . وله مؤلفات

عظيمة لا تزال لما شهرتها حتى اليوم أهمها : (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) جمع فيه الكثير من العلوم العقلية والنقلية ، وقد اختصره فى كتاب الروض الباسم المطبوع بمصر ، قال الشوكانى : لو وقف عليه السخاوى لرأى ما يملأ عينيه وقلبه ولطال عنان قلمه فى ترجمته ، ومن مؤلفاته أيضا : (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) قال الشوكانى : هو فى غاية الإفادة والإجادة على أسلوب مخترع لا يقدر على مثله الا مثله ، و (إيثار الحق على الخلق فى رد الخلافات إلى المذهب الحق) وقد سبق الإشارة إليه ، و (نصر الأعيان على شر العميان) رد به على أبى العلاء المعرى و (البرهان القاطع فى معرفة الصانع) و (تنقيح الأنظار) فى علوم الحديث ، وقد طبع مع شرحه (توضيح الإفكار) للسيد محمد بن اسمعيل الأمير سنة ١٣٤٦ هـ وغير ذلك من المؤلفات القيمة . وله ديوان شعر أغلبه فى التوسلات والردود العلمية على من امتحن به من أهل عصره ، وله رحلات فى أنحاء اليمن والحجاز ، وقد اشتغل أخيراً بالذكر والعبادات وملازمة الخلوات فى الأماكن الخاليات كمسجد وهب بن منبه ومسجد الأخضر ينقطع فيها إلى الله تعالى أياماً وشهوراً ، مكتفياً بشظف العيش ولبس الخرقة . توفى بصنعاء وقبر بمسجد وهب بن منبه ، ومن شعره :

العلم ميراث النبي كذا أتى فى النص والعلماء هم وراثه
فإذا أردت حقيقةً تدرى بها وراثه وعرفتَ ما ميراثه
ما ورّث المختار غير حديثه فينا وذاك متاعه وأثاثه

محمد بن ابراهيم شرف الدين : ت ١٠٨٥ هـ (١٦٧٤ م)

قال أبو الرجال فى ترجمته : هو بحر العلم الدافق وبدره الذى أضاء المغارب والمشارق ، إمام المعقولات والمنقولات . . . . له الكثير من المسائل والأجوبة

العلمية وله شعر عجيب . نَظَم (الورقات) للجويني وله (السيرة الذهبية) سيرة جده الإمام شرف الدين . توفى بشبام .

محمد بن يحيي بن أحمد بن مظفر : ٩٢٥ هـ (١٥١٩م)

قال أبو الرجال : رحل إليه العلماء وسمعوا عنه وانتفعوا به ، وهو أحد حفاظ الفقه . من مؤلفاته (البستان) شرح البيان لجده يحيي بن أحمد بن مظفر و (الترجمان) و (التبيان فى تهذيب معانى التذكرة والبيان) وكلها فى الفقه . توفى بالسر .

محمد بن حمزه بن المظفر : (توفى فى أوائل القرن التاسع الهجرى)

إمام المفسرين والحفاظ . من مؤلفاته : (البرهان) إحتوى على عشرين علماً منها : أصول الدين والفقه والفرائض والتفسير والحديث واللغة والتصريف والمعانى والبيان والبديع ، و (سيرة النبى ص) ،وله (المنهاج) وشرح (الظاهرية) وشرح (السليقية) . توفى بصعدة .

محمد بن صالح السماوى (حريوة) ت : ١٢٤١ هـ (١٨٢٥م)

من أهم رجال القرن الثالث عشر . ترجم له السيد محمد زبارة ترجمة مطولة فى كتابه (نيل الوطر) . قام بشرح التجريد للطوسى . كما شرع فى شرح الشافيه ، واختصار طبقات الزيدية ، من أحسن مؤلفاته (الغطمطم التيار فى الرد على كتاب السيل الجرار) للقاضى محمد بن على الشوكانى فى مجلدين. أثنى على هذا الكتاب كثيرون ومنهم مؤلف الجامع الوجيز القاضى العلامة أحمد بن عبد الله الجندارى ، وقد خطّأ الشوكانى فى انتقاده للأزهار للامام المهدى ووصفه بالجهل . ضُربت عنقه بالحديدة بأمر المهدى عبد الله عن وشاية قيلت فيه .

محمد بن عبد الله بن أبى الغيث الرقيمى ت : ٧٣٠ ﻫ (١٣٣٠ م)

من مؤلفاته (تنبيه الراغبين) و (التحفة) فى الأخبار النبوية وكتاب الأدلة من الكتاب والسنة وغيرها . وكان يعتبر من الزهاد الذين كرسوا حياتهم فى العبادة والإفادة . توفى بصنعاء .

محمد بن على الشوكانى : ١١٧٣ — ١٢٥٠ ﻫ (١٧٦٠ — ١٨٣٤م)

صاحب كتاب (البدر الطالع) أحد مصادر هذه التراجم ، كان مبرزاً فى العلوم وبالأخص الفقه ، وقد وجه بادىء الأمر اهتمامه فى دراسة (الأزهار) وشرحه للامام المهدى أحمد بن يحيى ، وكتب عليه حاشية بعد ذلك سماها (السيل الجرار المتدفق على الأزهار) وله فيها آراء تخالف قول الإمام المهدى، وبعضها وجيهة وقيمة لوخلى بعضها من التحامل والتهجم المنافيين لآداب النقد العلمى ، وقد ردّ عليه ابن حريوة ردوداً صريحة فى كتاب (الغطمطم التيار). إنتقد اعتراضاته وشنع عليه تشنيعاً شديداً ، وله العديد من الرسائل والأجوبة تشتمل معظمها على مسائل فى الفقه ، ومن كتبه (فتح القدير) فى التفسير و (نيل الأوطار) شرح منتقى الأخبار لابن تيمية و (إرشاد الفحول إلى علم الأصول) و (تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين) و (الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة) وغير ذلك .

يتضمن كتابه (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) الكثير من الشعر والأدب الذى قاله فى عدة مناسبات تتعلق بالرد على سائليه من علماء عصره .

وقد عاصر أربعة من أئمة اليمن من آل القاسم ، وهم : المهدى عباس وابنه المنصور على وابنه المتوكل أحمد وابنه المهدى عبد الله ، وفتح لهم تراجم مطولة فى كتابه المشار إليه ، أشاد فيها بسيرهم ومناقبهم وعلومهم فليرجع إليه من أراد الإستزادة .

ولى القضاء بصنعاء أيام المنصور على ومن جاء بعده واستمر به حتى مات ، وقد جمعت رسائله فى مجلد ضخم فيها الكثير من الشعر والأدب . توفى بصنعاء

محمد بن المطهر بن يحيى — الإمام المهدى : ٦٦٥-٧٢٩هـ (١٢٦٢-١٣٢٨م)

ينتهى نسبه إلى الهادى. كان أحد الأئمة المجتهدين. ولد بهجرة القريش تحت جبل شهارة ، وأخذ العلم عن أبيه الإمام المتوكل المطهر بن يحيى الآتى ترجمته وغيره من العلماء . بويع بالإمامة بعد والده المتوكل بمدينة حوث سنة ٧٠١ هـ ، وكانت دولة آل الرسول فى أيام الملك المؤيد مسيطرةً على جميع أجزاء اليمن تقريباً ، فبدأ حركته بالإستيلاء على مدينة صعدة بعد معركة دارت جنوبيها فى (تلمُّص) .

وفى سنة ٧٠٧ كانت دعوة المهدى قد انتشرت فى كثير من المناطق اليمنية ، واتصل به الأكراد الذين يرابطون فى صنعاء سراً فاتجه إلى بنى شهاب واستقر فى (قرن عنتر) واستولى على القرى المجاورة لصنعاء ، ولما علم المؤيد بعث ولده المظفر من تعز على رأس جيش جرار ، فعاد الإمام إلى صعدة ولم تمض بضعة أشهر حتى أعاد الكرة وأصبح محاصراً لصنعاء وجعل مركزه (حدَّة بنى شهاب) الأمر الذى اضطر المؤيد إلى الوصول بنفسه ومعه أكثر من ثلاثين ألف مقاتل وقد دارت بينهما معارك مشهورة فى جهات (صنعاء) و (حجة) و (المفتاح) من بلاد الشرف وغيرها ، كانت بادىء الأمر سجالاً ، إلا أنها استمرت حتى سنة ٧١٨ هـ ، وبعدها كانت الغلبة للمهدى ، حيث تم له الاستيلاء على المناطق جميعها ماعدا صنعاء وفى سنة ٧٢٣ تم له فتحها ، ثم زحفه إلى (عدن) ودخولها سنة ٧٢٦ بعد أحداث يطول شرحها .

وقد توفى المهدى بحصن (ذى مرمر) شمال شرقى صنعاء ، ونقل جثمانه

إلى الجامع الكبير بصنعاء حيث دفن بالموسجة وله مؤلفات كثيرة أهمها : (المنهاج الجلى) شرح مجموع الإمام زيد بن على و (عقود العقيان فى الناسخ والمنسوخ من القرآن) و (الكواكب الدرية شرح الأبيات البدرية) ، و (البغية) فى الفرائض و (السراج الوهاج فى حصر مسائل المنهاج) ، و (الجواب المنير على مسائل أهل الظفير) ، وله أخبار يطول شرحها فى الزهد والعبادة وتلاوة القرآن وفعل الخير والتقيد بنصوص القرآن والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

محمد بن المعتصم بن إدريس بن على : ت ٧٤٠ هـ (١٧٤٠ م)

من سلالة الإمام حمزة بن أبى هاشم وتلميذ الإمام المهدى محمد بن المطهر وله منه إجازة عامة . كان عالماً مجتهداً مبرزاً كثير التصنيف والتأليف ، من كتبه فى التفسير : (التيسير) و (التحرير) و (الأكسير) و (الحسام المرهف تفسير غريب المصحف) و (المنهج القويم تفسير القرآن العظيم) ، و (الدرارى المضية فى الآيات المنسوخة الفقهية) ، وجمع بين (الروضة والغدير للسيد محمد بن المقتدر الآتى ذكره وله شرح على (عقود العقيان) لشيخه الامام المهدى وزاد عليهما فوائد فقهية و (الذخيرة الذاخرة فى مناقب العترة الطاهرة) وشرح على (اللمع) فى الفقه .

محمد بن المقتدر :

من سلالة الأمير بدر الدين ، أحد المجتهدين المبرزين فى شتى العلوم . أشهر مؤلفاته (الروضة والغدير) قال القاضى يوسف فى كتابه (الثمرات) : إنه كتاب لم يُسْبَق إليه ، و (الأنوار المضيه فى تفسير الآيات الشرعية) ، و (اللؤلؤ المنظوم فى معرفة الحىّ القيوم) توفى بأفق من جماعة .

محمد بن نشوان بن سعيد الحميرى :

أثنى الكثير من المؤرخين على علمه لا سيما فى اللغة . رحل إلى الإمام عبد الله بن حمزة سنة ٥٧٤ هـ ، وأخذ عليه ثم ولاه القضاء فى خولان صعدة ، كما عهد إليه قبض الحقوق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقام بذلك أحسن قيام ، وله شعر جيد من مؤلفاته : ضياء الحلوم شرح شمس العلوم لوالده .

محمد بن يحيى بهران ت : ٩٥٧ هـ (١٥٥٠م)

تلميذ الإمام شرف الدين ، ترجم له الإمام شرف الدين وأثنى عليه بكلمات بليغة أوردها فى الطبقات . له عدة مؤلفات منها : (التحفة) فى اللغة العربية ، (المختصر الشافى فى العروض والقوافى) ،(الكافل) فى أصول الفقه ، وشرح على (الأثمار) فى الفقه للامام شرف الدين ، وتخريج أحاديث البحر الزخار للامام المهدى أحمد بن يحيى ، و (المعتمد) جامع الأمهات الست ، وله حاشية على الكشاف وتفسير القرآن الجامع بين الرواية والدراية فى ستة مجلدات ، أرسل به من صعدة إلى الإمام شرف الدين فأمر بالاحتفال به بصنعاء إحتفالاً رائعاً سنة ٩٥٧ هـ وعلى ضوئه كتب الشوكانى (فتح القدير) . توفى بصعده .

محمد بن يحيى زبارة — المؤرخ الشهير ت : ١٢٧٦ هـ (١٩٥٦ م)

أحد أعلام هذا القرن الأفاضل وعباقرته الأماثل نشأ بصنعاء حيث درس العلم ثم رحل إلى القفلة وصعدة ، وله رحلات خارج اليمن وصل فيها إلى مصر وسوريا والحجاز . كان معتمد الإمام يحيى فى كثير من القضايا . كرّس حياته فى جمع التراث اليمنى ووضع الكتب القيمة فى علم وتراجم العلماء والنبلاء . من مؤلفاته : (أئمة اليمن) فى مجلدين مطبوعين ، و (نشر العرف فى أدباء القرن الثالث بعد الألف) فى مجلدين مطبوعين و (نيل الوطر فى رجال القرن الثالث عشر) فى مجلدين مطبوعين و (تحفة المسترشدين) فى مجلد مطبوع وغيرها . توفى بصنعاء .

المطهر بن الإمام شرف الدين : ٩٦٥— ٩٨٠ (١٥٥٨—١٥٧٣ م)

أعظم ثائر ضد الغزو التركى عرفته اليمن ، له مع الجيوش العثمانية وفيالقها بقيادة إزمر باشا ورضوان باشا ومراد باشا وسنان باشا معارك دامية تبلغ الثمانين معركة خلال ٢٦ عاماً ، أشرنا إلى أهمها فى الفصل التاسع من كتابنا اليمن عبر التاريخ (الغزو العثمانى) . وقد أنزل بقوات الأتراك — بالرغم من كثرتها وعتادها — ضربات قاصمة حتى أجلاها من عدن سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٨م) . ومن يطالع كتب التاريخ اليمنى مثل (أنباء الزمن) ليحيى بن الحسين و (بلوغ المرام) للعرشى و(تاريخ اليمن) للواسعى ، يجد لهذا الامام من البطولة ما يبهر العقول ومن التدبير والصلاح والعبادة وتلاوة القرآن ما يشرح القلوب . قيل أنه كان يقرأ فى كل يوم وليلة ثلث القرآن .توفى بثلا وعليه قبة مشهورة باسمه .

ناصر بن حسن عبدالحفيظ المهلاً : ت ١٠٦٤ هـ (١٦٨٦ م)

وقد سبق الترجمة لأبيه وجـده . سكن كأجداده بالشجعة من الشرف ويعتبر من فطاحل علماء الزيدية ومدققيهم . من مؤلفاته فى علوم القرآن : (المحرر) و (المقرر) . إختصر الياقوت المعظم ووضع للزيدية (طبقات) مفيدة . مات بالشجعة .

نشوان بن سعيد الحميرى : ت ٥٧٣ هـ (١١٨٥ م)

أحد أعلام الزيدية . عاصر الامام أحمد بن سليمان ، وناصره قولاً وفعلاً وقد سبق أن أوردنا بعض ذلك فى ترجمة الامام أحمد بن سليمان ، وقد أطمعه بعض أهـل مأرب وبايعوه ملـكاً ثم لم يفوا بعهودهم فعاد إلى (حوث) نادماً بعد أن أدركه الاملاق،وكانت بينه وبين الهاشميين بعض الجفوة تبعتها مصافاة واعتذار من قبله ، وفى ذلك يقول : « إنقضت النقائض بينى وبين الأشراف

الهاشميين ، وذلك قبل طروز الشارب وبلوغ المآرب ، فأما اليوم وقد زدت على الأشُدّ وصرت من المزل إلى الجدّ وأتانى نذير الشيب وزايلنى كل ريب . . والشرفاء أبقاهم الله مما سألت مبرؤن ومما طلبت مكثرون فلتشملنى بركتهم بهبة أفضل الصدقات إذا ذكروا الله فى أفضل الأوقات وهى صدقة الدعوات عقيب الصلوات . . فدعاء الشرفاء السالكين مستجاب وليس بين العبد وربه حجاب فلعل الله يمحو عنى موبق الذنوب ويختصنى برحمته بالذنوب، فقد ضقت ذرعاً فيما فرطت وأنشبت نفسى فى أضيق المسالك وأورطت . . . وكان الامام أحمد بن سليمان يجله غاية الاجلال ، ونكتفى هنا بإيراد البعض مما دار بينه وبين الامام :

قال القاضى نشوان فى قصيدة له إلى الإمام :

يا ابن الأئمة من بنى الزهراء	وابن الهداة الصفوة النجباء
وإمام أهل العصر والنور الذى	هدى الولى به من الظلماء
كم رامت الكفار إطفاءه له	عمداً فما قدروا على إطفاء
شمس يراها الحاسدون فلم يطق	منهم لها أحد على إخفاء
يا داعياً يدعو الأنام لرشدهم	وصلاحهم فى بكرة وعشاء
أسمعتهم فكأنهم لم يسمعوا	ما جاءهم من دعوة ونداء
يا خير من تمشى به قدم على	وجه البسيطة من بنى حواء

فأجابه الإمام بما يلى :

يا واحد الأدباء والشعراء	بل أوحد الأدباء والبلغاء
يا من له عقل رصين ثابت	ويعده العقلاء فى العقلاء
ويعده الفقهاء من فقهائها	ويعده العلماء من العلماء
يا من زكت أعراقه وأصوله	جاءت له أفعاله بزكاء

حاز المكارم والمحامد والعلا ... إرثاً عن الأجداد والآباء
من(حمير) الأملاك خير قبيلة ... فى (يعرب) والشوكة الحجباء[1]

من مؤلفات القاضى نشوان : شمس العلوم فى أربعة أجزاء طبع منه جزءان سنة ١٣٦٦ هـ بالقاهرة عن أمر الإمام يحيى وهو فى اللغة العربية وقد اختصره ولده محمد بن نشوان : فى كتابه المعروف بضياء الحلوم رتبه على حروف المعجم . وله (رسالة الحور العِين) ومنية السامعين مطبوع والقصيدة النشوانية وشرحها فى أخبار الملوك التبابعة ، وكتاب (القوافى) و (البيان فى أحكام القرآن) توفى بحوث .

الهادى بن إبراهيم الوزير : ت ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م)

الأخ الأكبر للسيد محمد بن إبراهيم السالف الذكر قال فى الطبقات : كان السيد الهادى إمام الأعلام وعلامة الآل الكرام،ذو الفضائل والآثار الذى لم تسمح بوجود مثله الأمصار . من مؤلفاته : (كفاية القانع فى معرفة الصانع) ونظم (الخلاصة) وشرحها وله كتاب الطراز بن المعلمَين فى المفاخرة بين الحرمين وكتاب (الردّ على ابن العربى) و (هداية الراغبين إلى مذهب أهل البيت الطاهرين) و (كاشفة الغمة عن سيرة الأئمة) و (كريمة العناصر فى الذب عن سيرة الإمام الناصر) و (السيوف المرهفات على من ألحد فى الصفات) ، وقد انتشرت علومه فى أكثر الأقطار الإسلامية . توفى بذمار .

يحيى بن أحمد بن مظفر : (ت ٨٧٥ هـ ١٤٧١ م)

القاضى عماد الدين أحد فقهاء الزيدية المدققين وأعلامها المحققين ، كاتب (البيان) المشهور عند طلاب العلم ببيان ابن مظفر فى الفقه ، وله (الكواكب) شرح على التذكرة للنحوى .

---

(١) مقدمة شمس العلوم لفضيلة القاضى العلامة عبد الله بن عبد الكريم الجرافى حفظه الله .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد المؤرخ: ١٠٣٥-١١٠٠هـ (١٦٢٦-١٦٨٩م)

قال الشوكاني في البدر الطالع. كان إماماً محققاً في كل الفنون له تصانيف جليلة » ، منها : (صوارم اليقين) في بعض علوم الحديث و (الإيضاح) شرح لمجموع الإمام زيد وهو يدل على تمكن واطلاع . وفي هامش البدر الطالع نقلا عن الطبقات : ومؤلفاته تنيف على الأربعين منها (أنباء الزمن) في التاريخ و (المستطاب في تراجم رجال الزيدية الأطياب) ويسمى حالياً طبقات الزيدية الصغرى (تمييزاً لها عن الطبقات الكبرى) للسيد إبراهيم بن القاسم و (بهجة الزمن في حوادث اليمن) كذيل على (الأنباء) و (العبر في ملوك حمير) و (الزهر في أعيان العصر). توفي بصنعاء .

يحيى بن الحسين بن يحيى بن يحيى (صاحب الياقوتة) ت : ٩٧٣هـ (١٣٣٩م)

قال في الطبقات : كان في العلم النهاية : وله تحصيلات وتقريرات، ومؤلفاته مشهورة في الفقه الزيدي منها : (اللباب) و (الياقوتة) ، و (الجوهرة) توفي بصنعاء ، وهو حفيد علي بن الحسين صاحب (اللمع) السالف الذكر .

يحيى بن حمزة - الإمام المؤيد بالله : ٦٦٩-٧٤٩هـ (١٢٧١- ١٣٤٩م) .

ينتهي نسبه إلى علي بن موسى الرضى بن الحسن بن جعفر الصادق. ولد بصنعاء ثم رحل إلى حوث وغيرها حيث عكف على تلقي العلوم منذ صباه حتى أصبح كما قال الزحيف في مآثر الأبرار «حجة الله في الزمن، ومفخرة من مفاخر اليمن». إعتبره العلامة المقبلي في مقدمة أئمة اليمن أهل الاجتهاد المطلق. ناصر الإمام المطهر بن يحيى في شبابه وشهد معه معركة (تنعم) التي خاضها مع آل الرسول . قام بالامامة سنة ٧٢٩، ولكن الايام لم تسعده ثم أكب ثانية على التأليف فكتب الشيء الكثير . قال الشوكاني : «ويروى أن مؤلفاته بلغت إلى مائة مجلد ، وهو من أكبر أئمة الزيدية في الديار اليمنية ، وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان وسلامة

صدر وعدم إقدام على التفكير والتفسيق . . . وهو كثير الذب عن أعراض الصحابة رضى الله عنهم. وكان من الأئمة العادلين الزاهدين فى الدنيا المتقللين منها وهو مشهور بإجابة الدعوة وله كرامات عديدة ، وبالجملة فهو ممن جمع الله له بين العلم والعمل والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...الخ »

أشهر مؤلفاته فى أصول الدين : (الشامل) فى ثلاثة مجلدات،(نهاية الوصول إلى علم الأصول) ثلاثة مجلدات (التمهيد فى علوم العدل والتوحيد) ثلاثة مجلدات ، (التحقيق فى الإكفار والتفسيق) فى مجلد ، (المعالم الدينية) ، (الحاوى) فى ثلاثة مجلدات (المعيار) ، (القسطاس) مجلدان ، (الاختيارات) مجلدان .

وفى الفقه وأصوله : (الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) وهو من أهم الكتب الإسلامية فى الفقه يقع فى ثمانية عشر مجلداً ،(العمدة) فى ستة مجلدات اشتمل على جميع إيراد المذهب الزيدى بالحجج والشواهد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقياسات ، و (العدة فى المدخل إلى العمدة) وهى مختصر بالغ فى الفقه و (الأنوار المضية شرح الأربعين الحديث السليقية) فى مجلدين و(الديباج الوضىّ) شرح نهج البلاغة فى ثلاثة مجلدات .

وفى النحو والمعانى والبيان : (الحاصر شرح مقدمة طاهر) و (المنهاج شرح كلام الزجّاج) فى مجلدين ، و (الأنهار الصافية شرح مقدمة الكافية) فى مجلدين و (الاقتصاد) و (المحصّل شرح أسرار المفصل) فى أربعة مجلدات و (الطراز فى علوم البلاغة والإعجاز) المطبوع بمصر فى ثلاثة مجلدات و (الإيجاز فى علم المعانى والبيان) فى مجلدين .

وله : (الإيضاح لمعانى المفتاح) فى الفرائض) و (تصفية القلوب عن درن الأوزار والعيوب) فى الزهد ويقع فى مجلد ضخم و (الفائق فى علم المنطق) ،

و (القاطع للتمويه عما يرد على الحكمة والتنزيه) و (الجوابات الوافية بالبراهين الشافية) و (عقد اللآلى فى الرد على أبى حامد الغزالى) و (الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين) و (الكوكب الوقاد فى أحكام الاجتهاد) وغير ذلك. وله حكم ووصايا وأشعار ضمنها كتب الأدب ونكتفى هنا بشذرات من دعائه الذى ختم به وصيته: « يا من هو المتعال بجلال العظمة والكبرياء، والمتولى بسلطان القدرة على ملكوت الأرض والسماء، والباسط بجناح الرحمة لكل من بَعُد من خلقه ودنا، نسألك بكلماتك التامّات، ونور وجهك الذى ملأ الأرض والسموات، أن ترحم رؤوساً تطأطأت خضوعاً وتصاغراً لهيبتك، ولا تشوى بالنار وجوها قد خشعت من هيبتك، واشتملت على أعين طالما بكت من خشيتك، وعلى أسماعٍ قد أصغت لسماع ذكرك وموعظتك، وعلى خدود قد سالت عليها الدموع وجرت إشفاقاً من سطوتك، وعلى ألسنٍ تحركت بالاستغفار والعذر عن معصيتك... أو تغل بأغلال الحديد رقاباً قد خضعت حذراً من رهبتك، أو تحطم بالنار أصلاباً طالما انحنت لأداء فريضتك وعبادتك، أو تُطلع النار على أفئدة مشتملة على العلم بتوحيدك وحقائق صفاتك وكنه معرفتك، أو تقرن مع الشياطين جنوباً قد تجافت عن المضاجع إسراعاً ورغبة فى طاعتك، أو تشوى بالنار أكباداً لها تطلعٌ إلى نيل عطائك وتكرمتك، أو تصهر بالجحيم بطوناً قد انصرفت عن أكل الحرام والسحت خوفاً من رهبتك، أو تقطع بكلاليب النار أمعاء قد ضمئت بالصيام تقرباً إلى إحراز مغفرتك، أو تحرق بسعير النار ولهيبها أبداناً طالما مدت أكفها لنيل عطائك وهبتك، أو تسيل بالصديد فروجاً قد تحصنت من حرامك وانحرفت عن معصيتك، أو تقرن بالنواصى أقداماً طالما مشت إلى المساجد بغية ثوابك ومنتك، فلا وعزتك، ما أسبلت العيون واكف العبرات إلا إشفاقاً من غضبك وعقابك، ولا طوّلتِ الأجساد العكوف ببابك إلا طمعاً

فى مغفرتك وثوابك ، ولا بسطتِ النفوسُ أكفها إلا رجاء لنيل هبتك ، فقد مددنا إليك أيدى السؤال ، واستمطرنا الجود من عطائك الواسع وعظيم النوال ، وسألنا ما عنـدك واثقين فلا تردنا بالحرمان خائبين.. الخ » ، وقد توفى رحمه الله بهران ثم نقل إلى ذمار حيث بنيت عليه قبة تقابل قبـة السيدة دهماء بنت يحيى بن المرتضى .

يحيى بن المحسِّن — الإمام المتضد ت : ٦٣٦هـ (١٢٣٩م)

أخذ العلم بصعدة ، وتبحر فى العلوم وحقق منطوقها والمفهوم . قال الإمام عبد الله بن حمزة إن له علم أربعـة أئمة وأن ربع علمـه يكفى الإمام الأعظم ، وإلى هذا كان شاعراً وخطيباً مصقعاً ، شأنه شأن أسلافه وأخلافه ممن ترجمنا لهم فى هذا الـكتاب ، دعى بالإمامة بعد وفاة الامام عبد الله بن حمزة سنة ٦١٥هـ وتعارض مع أولاده عبد الله وأحمد ومحمد وأتباعهم وفى ذلك يقول :

وإذا صدّت معدّ لم نُلم ... إن دعونا للعلا أبنا سبأ
(حمير) الشُّم و(كهلان) الأولى ... كرموا فرعاً وطابوا منصبا

وكان أولاد الامام عبد الله بن حمزة قد سيطروا على كثير من المنـاطق اليمنية فكان محمد بظفار وعبد الله بصعدة وكرسوا جهودهم لمحاربة الملك المسعود آخر الأيوبيين ، مما اضطر الامام يحيى آخر الأمر إلى الجنوح إلى (ساقين) حيث واصل التأليف حتى مات بها ، وله مؤلفات قيمة فى الفقه والعربية وغيرها وأشهرها (المقنع) فى الفقه .

يحيى محمد بن حسن حميد ت : ٩٨٠هـ (١٣٧٥ م)

يعرف بصـاحب كتاب (الفتح) وشرحه ، وله (الوابل المغزار شرح الأثمار) للامام شرف الدين و (التوضيح) و (التنقيح) و (مصباح الفرائض) وشرحه و (نزهة الأنظار) توفى بصعدة .

يحيى شرف الدين — الامام المتوكل على الله : ٨٧٧ — ٩٦٥ هـ
(١٤٧٣ — ١٥٥٨ م)

تلقى العلم فى كل من ظفير حجة وصنعاء على أكابر علماء اليمن ومنهم والده شمس الدين بن الامام المهدى . وله عدة مؤلفات وأشعار وله أيضاً سيرة خاصة ومن مؤلفاته: الأثمار فى الفقه . عقد له المؤرخ السيد محمد بن يحيى زبارة بحثاً خاصا يتكون من أربعين ورقة . بويع بالامامة سنة ٩١٢هـ بظفير حجة ومنها انتقل إلى حجة .

وقد جرت بينه وبين السلطان عامر عبد الوهاب الطاهرى [1] مناوشات حربية. ووقتها كانت سفن القوات التركية ويسمون فى اليمن بالغز — بقيادة الأمير حسين الكردى لمطاردة البرتغاليين تمخر فى البحر الأحمر ، وفى نفس الوقت تهاجم قوات عامر عبد الوهاب المرابطة فى (زبيد) و (عدن) ، ثم تقتحم اليمن لمطاردة آل طاهر وقتالهم، وكانت قوات الكردى مزودة بالبنادق النارية التى لم تكن حينذاك قد عرفت باليمن، وبذلك تمكنت من التوغل فى البلاد، ثم من محاصرة صنعاء سنة ٩٨٣هـ بقيادة الإسكندر بن محمد . وهناك التقى مع السلطان عامر بن عبد الوهاب وجهاً لوجه وعندها دارت المعركة الحاسمة التى أسفرت عن انهزام عامر وتفرق جيشه بعد أن قتل منه العدد الكثير. وفر عامر متجهاً نحو الجبال ، فتصدى له رجل يمنى يدعى إبن الزلابيا فقبضه واحتز رأسه وأتى به إلى الأسكندر حيث نصبه مع رؤوس بقية آل طاهر على رؤوس الرماح ودخل بها صنعاء .

ومنها تقدم الإسكندر نحو ثلا ، وهناك واجهه الإمام شرف الدين بقوات ضخمة، كما بعث بصرخاته إلى أصقاع البلاد داعياً السكان لتوحيد الصف أمام الخطر الداهم

---

(١) راجع دولة بنى طاهر فى اليمن عبر التاريخ ص ٢٢٧ — ٢٤٠

فأجابه الشعب اليمنى من أقصاه إلى أدناه ، وما إن وقعت أول معركة بالقرب من (ثلا)حتى اندحرت قوات الإسكندر مهزومة إلى صنعاء وحاول الاسكندر النجاة بجيشه والتوجه إلى البحر لكنه لم يخلص إلى زبيد إلا بعد مشاق كثيرة وقتل ذريع فى رجاله ونهب قافلته ، أما الكتيبة التى كان الاسكندر قد أبقاها فى صنعاء فقد داهمتها قوات الامام شرف الدين فى إحدى الليالى وأبادتها عن آخرها .

وفزع الناس إلى الامام شرف الدين يستحثونه على دخول صنعاء بعدما عانوا من الأهوال بلاء الاحتلال فوصل فى ثامن شوال وحط فى قرية (عصر) فخرج إليه أهل صنعاء عن بكرة أبيهم فبايعوه ثم تحرك إلى صنعاء . وقد قيلت فى هذه المناسبة عدة قصائد ، من ذلك قصيدة القاضى محمد بن يحيى بهران ومنها :

بات سميرى والبرايا هجود	بدر تجلى فى ليالى السعود
والشر ولى مدبراً خائفاً	منهزماً يقسم ألا يعود
وأصبحت (صنعاء) من عجبها	ترفل فى مستحسنات البرود
فقل لمولانا إمام الورى	أكرم من سارت إليه الوفود
يا شرف الدين وقيت الردى	ودمت تحمى بالحداد الحدود
لاغرو إن سدت جميع الورى	مثلك يا بحر الورى من يسود
ما أحد والاك إلا علا	وأشرقت أيامه وهى سود
لو ثعلباً كنت له عاضداً	قام على الليث بسيف وعود

وقد حكم الإمام شرف الدين بصنعاء إلى سنة ٩٥٢ أجمع المؤرخون على عدله وحسن سيرته وانتشار الأمن والرخاء بأيامه فى جميع أنحاء البلاد، وفى هذا العام كانت القوات التركية قد توغلت فى اليمن واحتلت (تعز) بقيادة الباشا أويس الأمر الذى دعى الإمام شرف الدين إلى تفويض ولده المطهر بصفته أكفأ إخوته وأقدرهم على مناهضة جيوش الأتراك المتدفقة ، وقد سبق إيجاز ذلك فى ترجمتنا

للمطهر بن شرف الدين قبل هذا وقد انتقل الإمام إلى كوكبان ثم منها إلى ظفير حجة وبقي بها حتى مات ، ودخلت اليمن فى مرحلة جديدة من الكفاح ضد الاستعمار التركى بقيادة المطهر الذى أبلى فى هذه الحروب بلاءً عظيماً أوجزنا الكلام عنه فى الفصل التاسع من (اليمن عبر التاريخ) .

يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان : (ت ٨٣٢ هـ ١٤٢٩ م)

قال الشوكانى : سكن بهجرة (العين) من ثلا وكان طلبة العلم يرحلون إليه من جميع أنحاء اليمن للأخذ عنه فى جميع العلوم الشرعية وكان مسكن سلفه بصرم بنى قيس من بلاد خبان . من مؤلفاته (الثمرات) فى تفسير آيات الأحكام و(الرياض) شرح على التذكرة و(الزهور) على اللمع و(الجواهر والغرر فى كشف أسرار الدرر) فى الفرائض و(برهان التحقيق وصناعة التدقيق) فى المساحة والضرب.

(مراجع التاريخ اليمني)

١ — الإعتبار فى التـواريخ والأخبار لعبد الرحمن بن محمـد الحبيشى ت ٨٢٨ هـ (١٤٢٥ م) .

٢ — الإكليل : للحسن بن أحمد الهمدانى .

٣ — أنباء الزمن : للسيد يحي بن الحسـين بن القاسم ، وللسيد لطف الله بن أحمد جحاف تكملة عليه .

٤ — أئمة اليمن : للسيد محمد بن يحي زبارة فى مجلدين (مطبوع) .

٥ — البسامة : أو (جواهر الأخبار) ، منظومة مطولة بليغة للسيد صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير وعليها عدة شروح سيأتى ذكر بعضها هنا .

٦ — البدر الطالع بمحاسن من بعـد القرن السابع : للقاضى محمد بن على الشوكانى فى أربعة أجزاء (مطبوع) .

٧ — بغية المريد وأنس الفريد: للسيد عامر بن محمد ت: ١١٣٥هـ(١٧٢٣م) توجد نسخة خطية منها بالقسم الشرقى التابع لمكتبة المتحف البريطانى برقم ٢٧١٩

٨ — بغيـة المستفيد فى تاريخ زيد : للقاضى عبد الرحمن الديبع الزبيدى ت ٩٤٤ هـ (١٥٣٧م) توجد نسخة خطية منها بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٤

٩ — بغية المسترشدين بذكر الأئمة المجددين : للسيد محمد بن يحي زباره الآنف الذكر (مطبوع) .

١٠ — بلوغ المرام شرح مسك الختام فيمن ملك اليمن من ملك وإمام : للقاضى حسين بن أحمد العرشى ت ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) طبع بمصر سنة ١٩٣٩ مع تعليقات هامة للأب انستانس الكرملى .

١١ — بهجة الزمن فى حوادث اليمن : للسيد يحي بن الحسين بن القاسم صاحب (أنباء الزمن) المذكور .

١٢ — بهجة الزمن فى تاريخ اليمن : لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ٧٤٣هـ (١٣٤٣ م) (مطبوع) .

١٣ — بهجة السرور فى سيرة الإمام المنصور : للقاضى حسين بن أحمد العرشى السالف الذكر .

١٤ — بهجة المحافل .

١٥ — تاريخ اليمن المعروف بفرجة الهموم والحزن : للشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعى (مطبوع) .

١٦ — تاريخ اليمن المسمى مختصر المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد : القاضى عمارة بن الحسن بن على الحكمى ت ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) (مطبوع) .

١٧ — تاريخ صنعاء : للقاضى أحمد بن عبد الله الرازى ، توجد منه نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء وأخرى بمكتبة أياصوفيا بالقسطنطينية ، ولها صورة بدار الكتب المصرية .

١٨ — تحفة الإخوان : للقاضى أحمد بن محمد قاطن ت ١١٩٩ هـ (١٧٨٥ م) .

١٩ — التقصار .

٢٠ — تكرمة الإفادة لتاريخ الأئمة السادة : للسيد يحيى بن على الحيسى ت ١١٠٨ هـ (١٦٩٧ م) .

٢١ — تهذيب الزيادة : للفقيه على بن محمد العابد .

٢٢ — الثغر الباسم : للسيد إسحق بن يوسف بن المتوكل إسمعيل ت ١١٧٣ هـ (١٧٨٧ م) .

٢٣ — الجواهر والدرر : للامام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى .

٢٤ — الجوهرة المنيرة : للسيد مطهر الجرموزى فى سيرة الإمام القاسم بن محمد وأولاده .

٢٥ — الجامع الوجيز فى وفيات أولو العلم والتبريز: للقاضى أحمد بن عبد الله الجندارى ، يوجد نسخة منه بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

٢٦ — الحدائق الوردية فى مناقب وتراجم الأئمة الزيدية : للفقيه حميد الشهيد المحلى يوجد منه نسختان خطيتان بمكتبة المتحف البريطانى كل منهما فى مجلدين الأولى برقم (١٣١٢ — ١٣) والثانية برقم (٣٧٨٥ — ٨٦) .

٢٧ — الحدائق المطلّة من زهور أبناء العصر شقائق : للسيد عبد الله بن عيسى الكوكبانى ت : ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م) .

٢٨ — درر نحور الحور العين فى سيرة المنصور على وأعلام دولته الميامين : للسيد لطف الله جحاف .

٢٩ — الدرّ المنثور بسيرة الإمام المنصور: القاضى على بن عبد الله الإيريانى. ت ١٣٣١ هـ (١٩٥٠ م)

٣٠ — الذخيرة : للسيد محمد بن إدريس الحمزى .

٣١ — رسالة الحور العين : للقاضى نشوان بن سعيد الحميرى (مطبوع) .

٣٢ — رَوح الروح : للسيد عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين ت : ١٠٤٨هـ (١٦٣٨م) ثلاثة مجلدات .

٣٣ — رياض الرياحين : للقاضى محسن بن أحمد الحرازى ت : ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) .

٣٤ — الزهر فى أعيان العصر : للسيد يحيى بن الحسين صاحب أنباء الزمن السالف الذكر .

٣٥ — زهر الكمائم : للسيد إبراهيم بن زيد جحاف .

٣٦ — السلوك فى أخبار العلماء والملوك : لبهاء الدين الجندى ت : ٧٣٢هـ (١٣٣٢م) ثلاثة أجزاء ، يوجد منها نسخة بالجامع الكبير وأخرى بمكتبة

كوبرولو باستانبول رقم(١١٠٧)ولها صورة بدار الكتب المصرية رقم (٩٩٦).

٣٧ — السلوك فى تاريخ العلماء والملوك : لأبى الحسن على محمد الخزرجى ت : ٨١٢هـ (١٤١٠ م) .

٣٨ — السلوك الذهبية فى السيرة المتوكلية للسيد محمد بن المفضل .

٣٩ — سلاسل الذهب .

٤٠ — السمط الغالى الثمن فى أخبار ملوك اليمن : لمحمد بن حاتم الهمدانى يوجد نسخة منه بمكتبة المتحف البريطانى رقم (٢٧٥٤١) وأخرى بدار الكتب المصرية رقم (٥٣٠) .

٤١ — سيرة الإمام الهادى : للسيد على بن محمد بن عبد الله بن العباس العلوى رواية عن محمد بن سليمان الكوفى . يوجد منها نسخة خطية بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

٤٢ — سيرة الإمام المتوكل يحيى بن حمزة : مخطوط بمكتبة المتحف البريطانى رقم (١٧٣١) .

٤٣ — سيرة الإمام عبد الله بن حمزة : للشيخ على بن نشوان بن سعيد الحميرى .

٤٤ — سيرة الإمام المهدى أحمد بن الحسين : توجد منها نسخة خطية بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

٤٥ — سيرة الإمام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى : لولده الحسن .

٤٦ — سيرة الإمام شرف الدين : للسيد محمد بن إبراهيم بن المفضل ابن على بن شرف الدين .

٤٧ — سيرة الإمام القاسم بن محمد : توجد منها نسخة خطيه بمكتبة المتحف البريطانى رقم (٣٣٢٩) .

٤٨ — سيرة الإمام الهادى شرف الدين : للقاضى عبد الله بن على العنسى القمارى . أنظر ترجمته مع غيره من أعلام الزيدية قبل هذا .

٤٩ — سيرة إبراهيم الكينعى : للسيد يحي بن المهدى .

٥٠ — طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى : للسيد الأديب عبد الله ابن على الوزير ت : ١١٤٧ هـ (١٧١١م) .

٥١ — طبقات الزيدية الكبرى : للسيد إبراهيم بن القاسم .

٥٢ — طبقات الزيدية الصغرى : للسيد يحي بن الحسين صاحب أنباء الزمن المشار إليه آنفاً وتعرف بالمستطاب .

٥٣ — طبقات الزيدية : للقاضى ناصر بن حسين بن عبد الحفيظ المهلاً .

٥٤ — طبقات فقهاء اليمن : لابن سمُرة الجعدى ت : ٥٨٦هـ (١١٨٨م) طبع سنة ١٩٥٧ مع تعليقات العلامة فؤاد سيد رحمه الله .

٥٥ — طبقات الخواص : للشيخ الحافظ أحمد بن أحمد الشرجى الزبيدى .

٥٦ — طراز أعلام الزمن فى طبقات أعيان اليمن : لعلى بن محمد الخزرجى .

٥٧ — طرفة الاصحاب فى الأنساب : للملك الأشرف الرسولى طبع بدمشق سنة ١٩٤٩ .

٥٨ — طيب السمر فى أوقات السحر : للقاضى أحمد محمد بن الحسن الحيمى .

٥٩ — طيب أهل الكساء : ملخص سيرة الأئمة من آل القاسم بن محمد الى أيام الإمام المهدى عباس ، السيد محسن بن الحسن أبو طالب ت : ١١٨٠هـ (١٧٦٤م) .

٦٠ — العبر فى ملوك حمير : للسيد يحيى بن الحسين صاحب أنباء الزمن المشار إليه قبل هذا .

٦١ — عصارة القند ونفحة الورد : للسيد على بن حسن الحوثى .

٦٢ — العقد المنضد: للقاضى أحمد بن حسين جغمان ت :١٢٥٦هـ(١٨٤٠م)

٦٣ — العقيق اليمانى فى تاريخ القطر اليمانى .

٦٤ — العقود اللؤلؤية فى أخبار الدولة الرسولية : لأبى الحسن على ابن محمد بن الحسن الخزرجى الزبيدى السالف الذكر .

٦٥ — غربال الزمان : للشيخ الحافظ يحيى بن أبى بكر العامرى ت: ٨٩٣هـ (١٥١٦م) . يوجد منه نسخه بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

٦٦ — قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون : لعبد الرحمن الديبع المذكور قبل هذا .

٦٧ — قلائد الجوهر : للسيد أحمد بن الحسن الجرموزى .

٦٨ — كاشفة الغمة : للسيد الهادى بن إبراهيم الوزير .

٦٩ — كنز الأخبار فى التاريخ والأخبار : للسيد إدريس بن على الحزى والد مؤلف (الذخيرة) المشار إليها قبل هذا .

٧٠ — اللآلئ المضية : شرح على البسامة للسيد أحمد بن محمد ابن صلاح الشرفى .

٧١ — اللآلى والمرجان فى ذكر جماعة من الأعيان : للسيد إبراهيم بن زيد جحاف مؤلف (زهر الكمائم) المنتزع من اللآلى المشار إليه قبل هذا .

٧٢ — اللطائف السنية : للسيد المؤرخ محمد بن إسمعيل الكبسى ت ١٣٠٨هـ (١٨٩١ م) .

٧٣ — مآثر الأبرار: للقاضي محمد بن علي الزحيف الصمدي المتوفى في أوائل القرن العاشر الهجري، وهو شرح على (البسامة) ويعتبر من أهم مراجع التاريخ اليمني.

٧٤ — مجموع القاضي محمد بن أحمد سهيل الصنعاني المتوفى سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦ م).

٧٥ — مطلع البدور ومجمع البحور: للقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال

٧٦ - مطلع الأقمار بذكر علماء ذمار: للسيد حسن حيدره.

٧٧ — المقصد الحسن: للقاضي أحمد بن يحيي حابس الصعدي ت ١٠٦١هـ (١٦٨٣ م).

٧٨ — نسمة السحر: للسيد يوسف بن يحيي بن الحسين بن المؤيد بالله محمد بن القاسم ت ١١٢١ هـ (٧١٠ م).

٧٩ — نشر العرف في رجال القرن الثالث بعد الألف: للسيد محمد بن يحيي زباره المؤرخ المذكور قبل هذا (مطبوع).

٨٠ — نفحات العنبر في رجال القرن الثالث عشر: للسيد إبراهيم بن عبد الله الحوثي ت: ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م).

٨١ — نيل الوطر في رجال القرن الثالث عشر: للسيد محمد بن يحيي زباره المذكور قبل هذا.

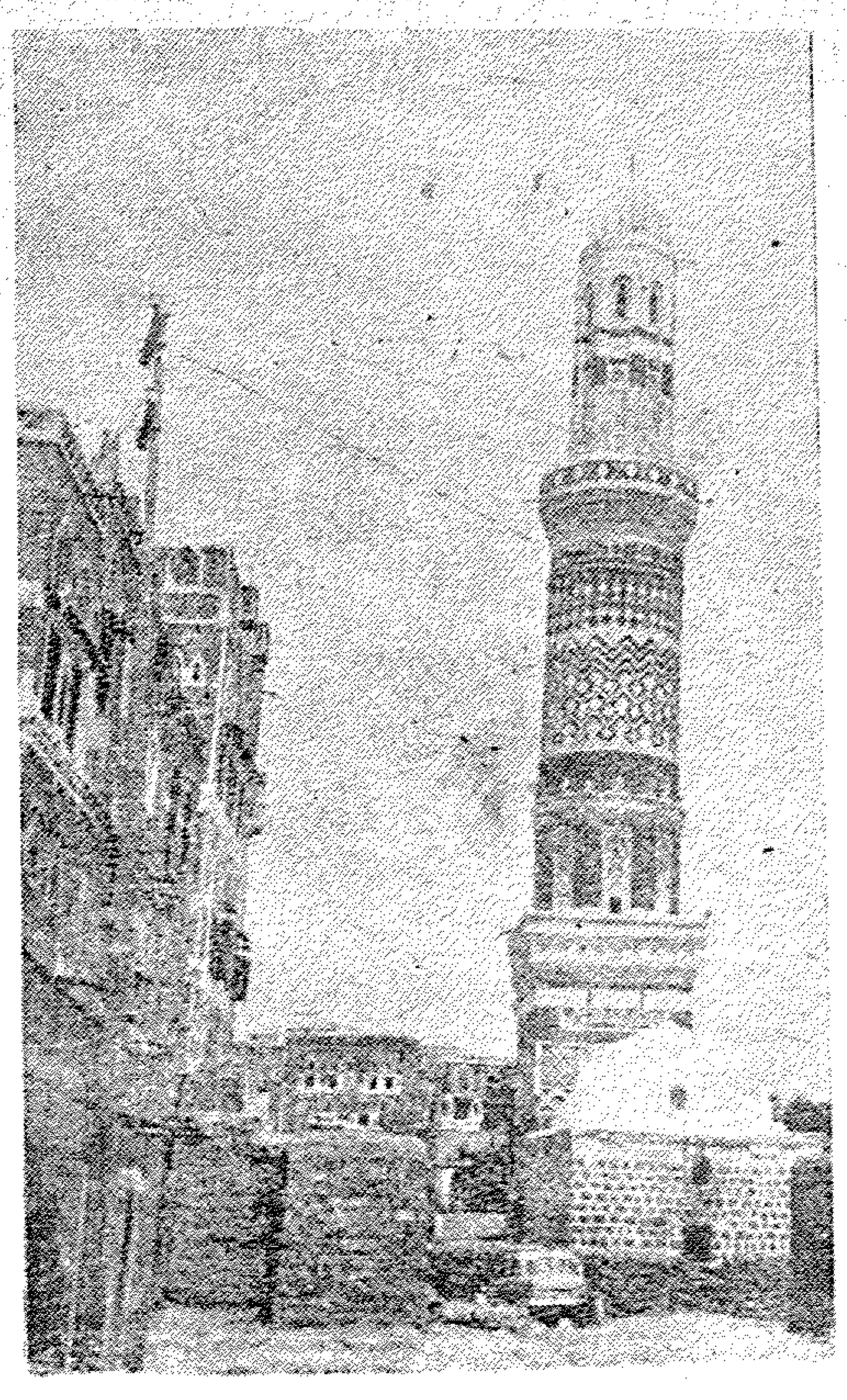
٨٢ — الوافي بوفيات الأعيان: للضمدي.

٨٣ — اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين للميلاد: للسيد أحمد بن حسين شرف الدين مؤلف هذا الكتاب. طبع سنة ١٩٦٤ للمرة الثانية.

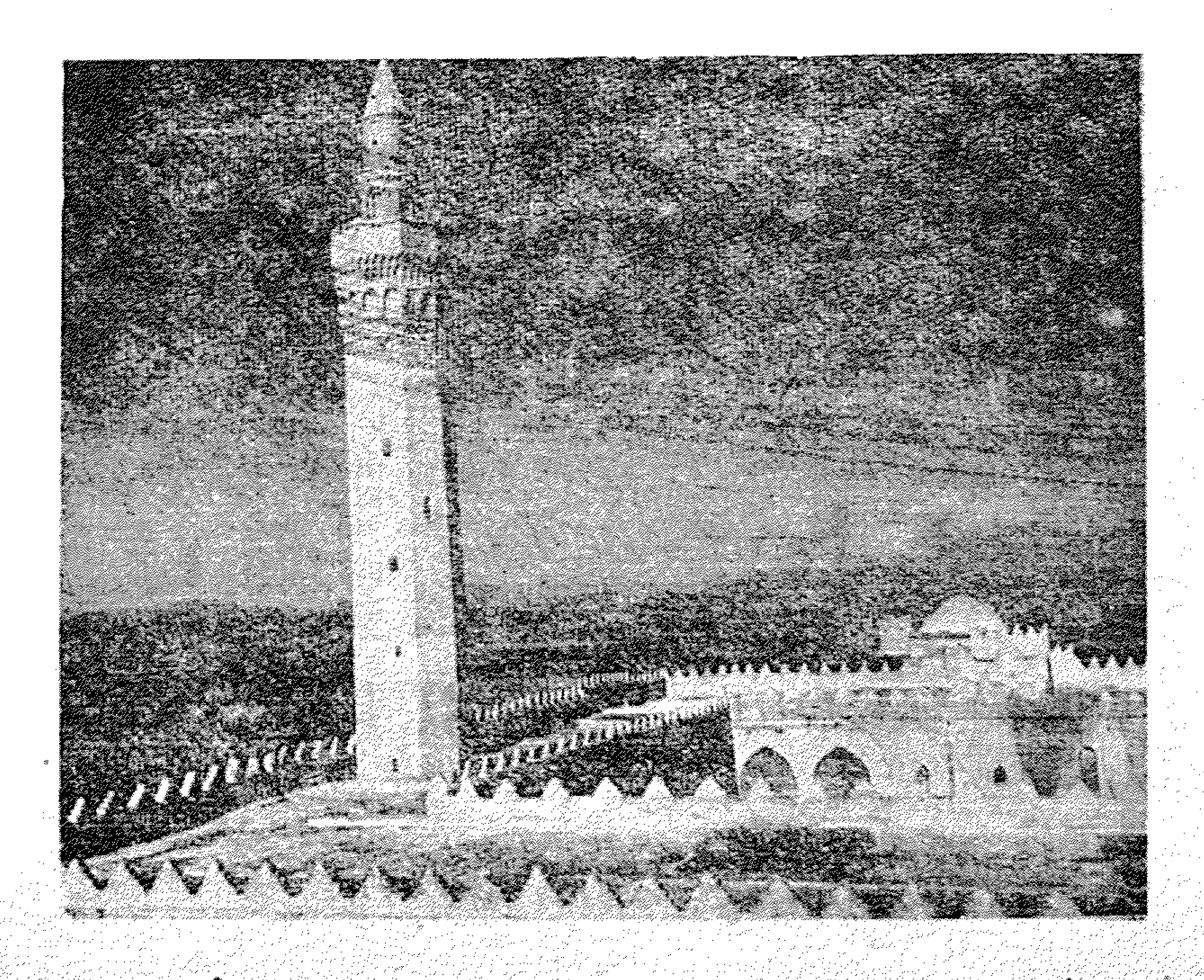
٨٤ — يواقيت السير: للإمام المهدي أحمد بن يحيي بن المرتضى المذكور قبل هذا.

(تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس) الأدب اليمني .

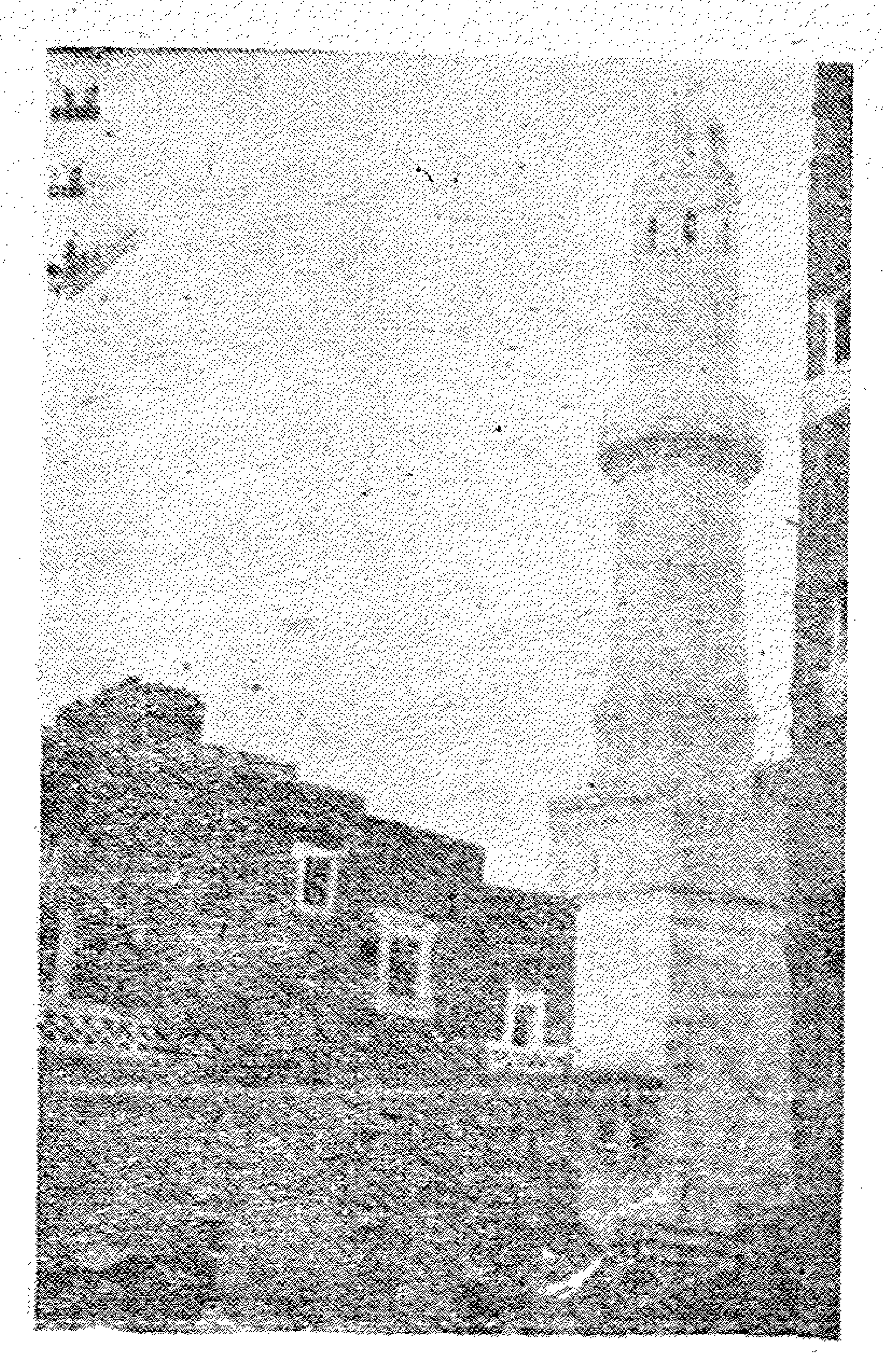
(صور من الآثار الإسلامية فى اليمن)



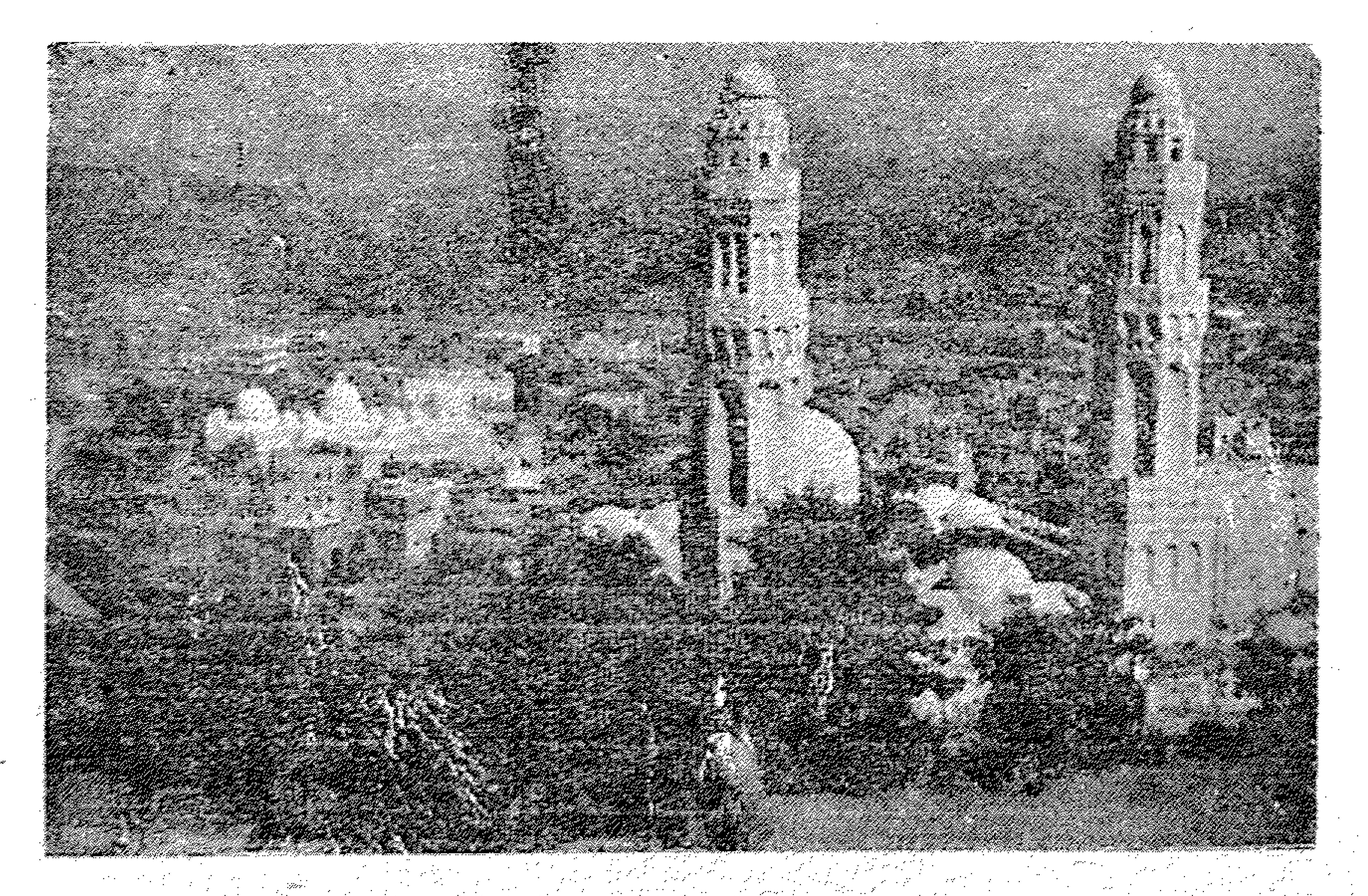
صنعاء : مدرسة الإمام شرف الدين (القرن العاشر الهجرى)



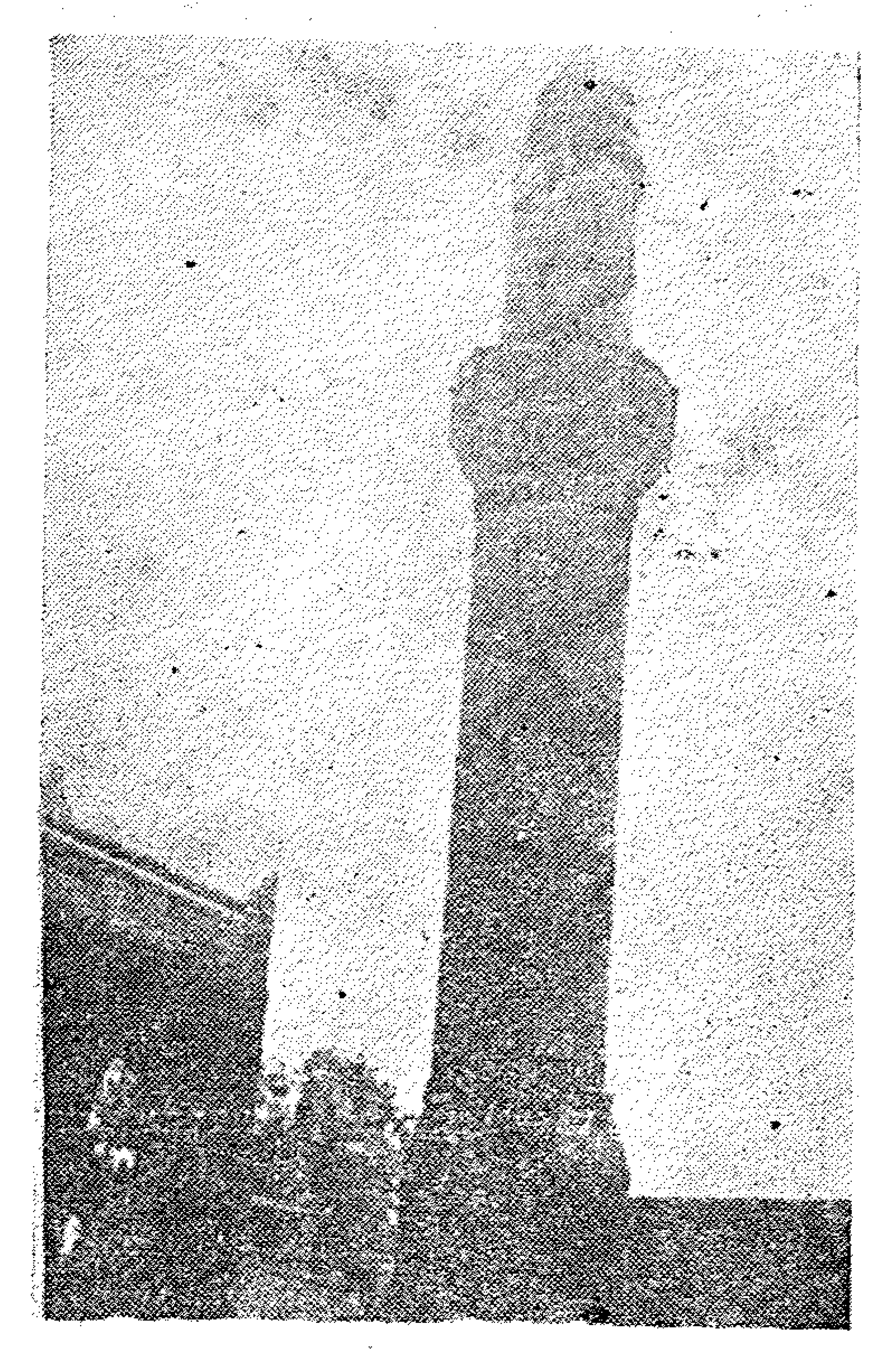
مسجد الجند، بناه الصحابى الشهير معاذ بن جبل رضى الله عنه (القرن الأول الهجرى)



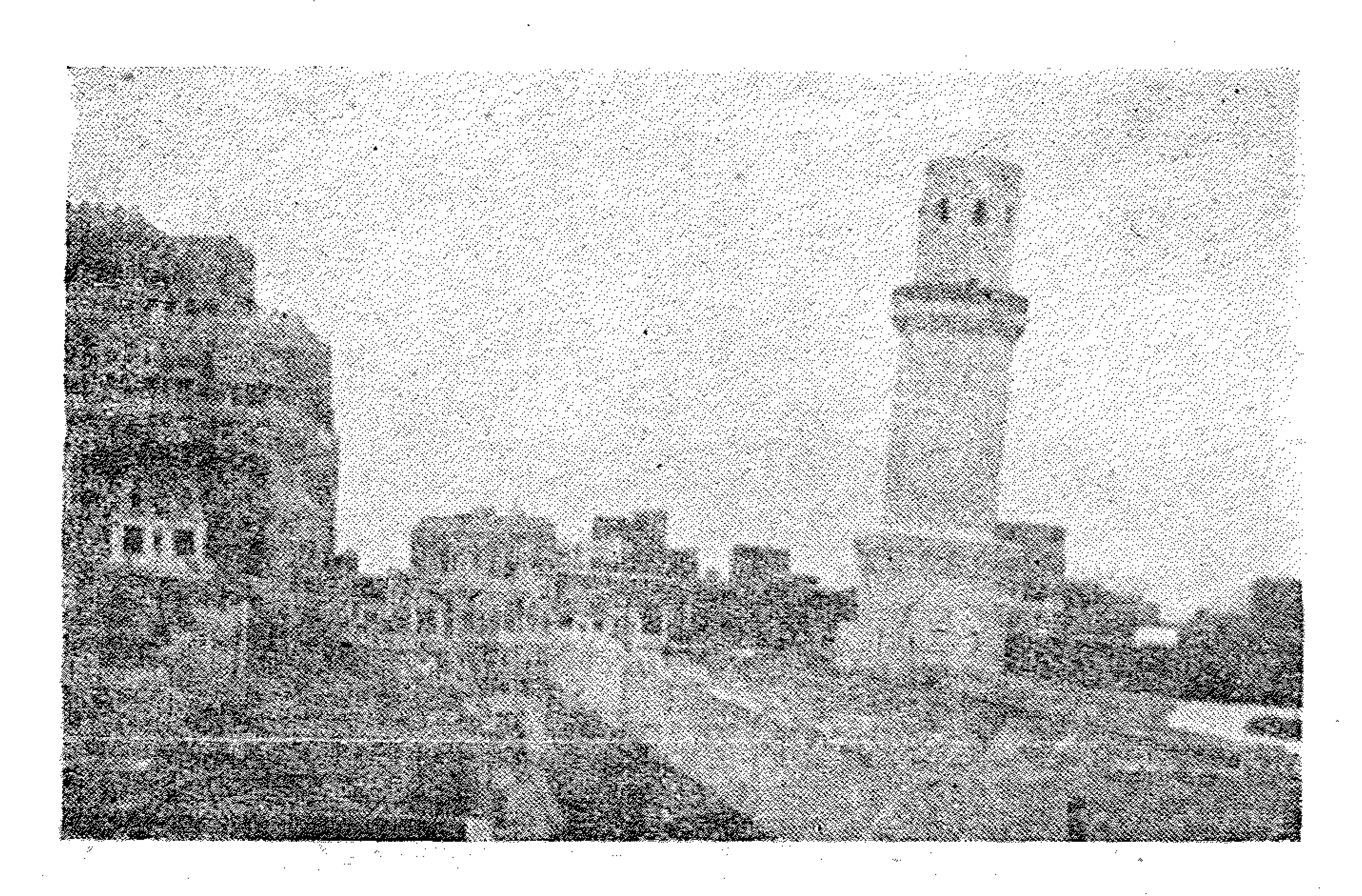
صنعاء : مسجد الأبهر (القرن الثالث عشر الهجرى)



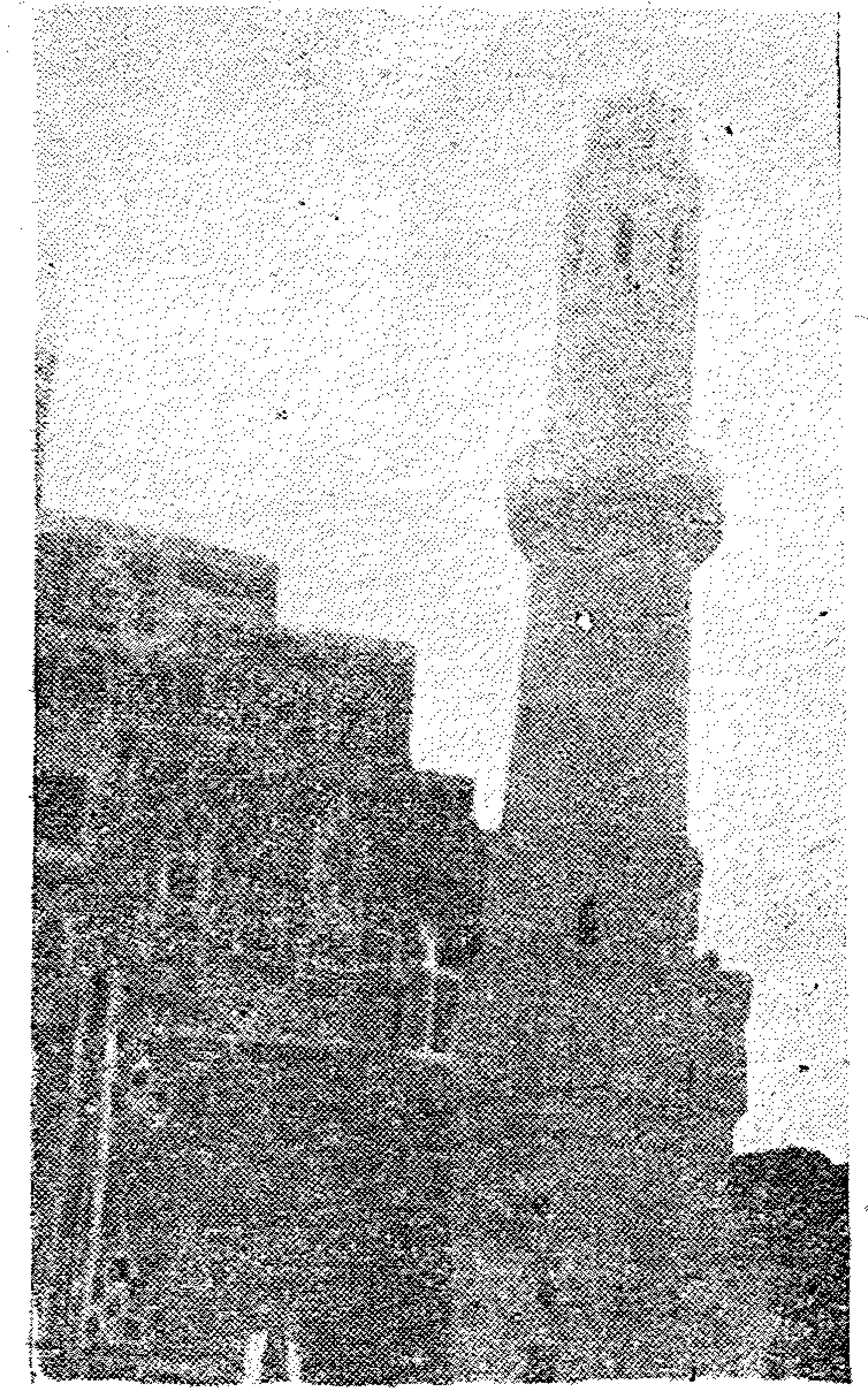
تعز : مسجد الأشرفية ، بناها الأشرف الرسولى
(القرن السابع الهجرى)



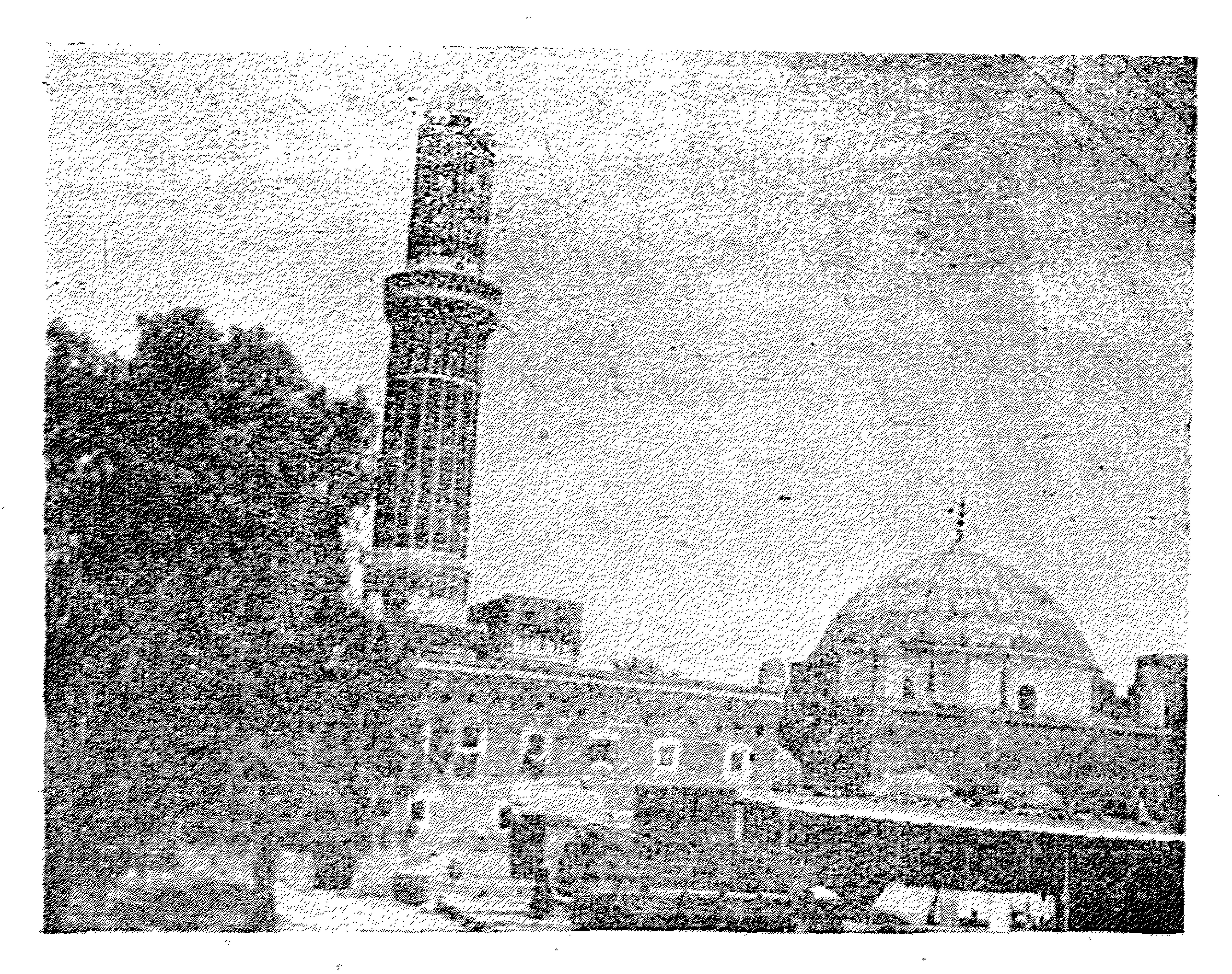
صنعاء : جانب من مسجد ثكنات الجيش (القرن الثالث عشر)



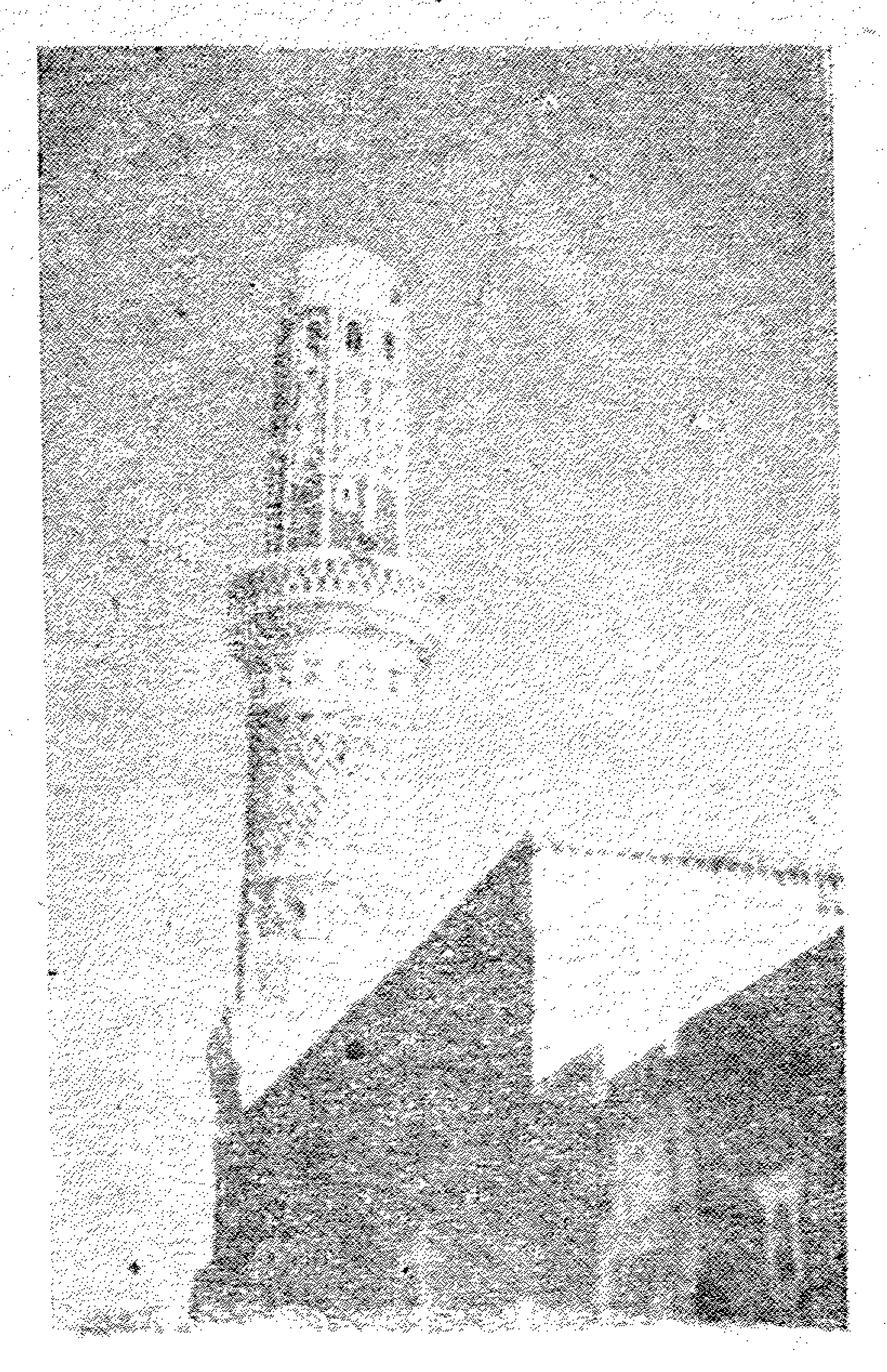
صنعاء : الجامع الكبير . (القرن الأول الهجرى)



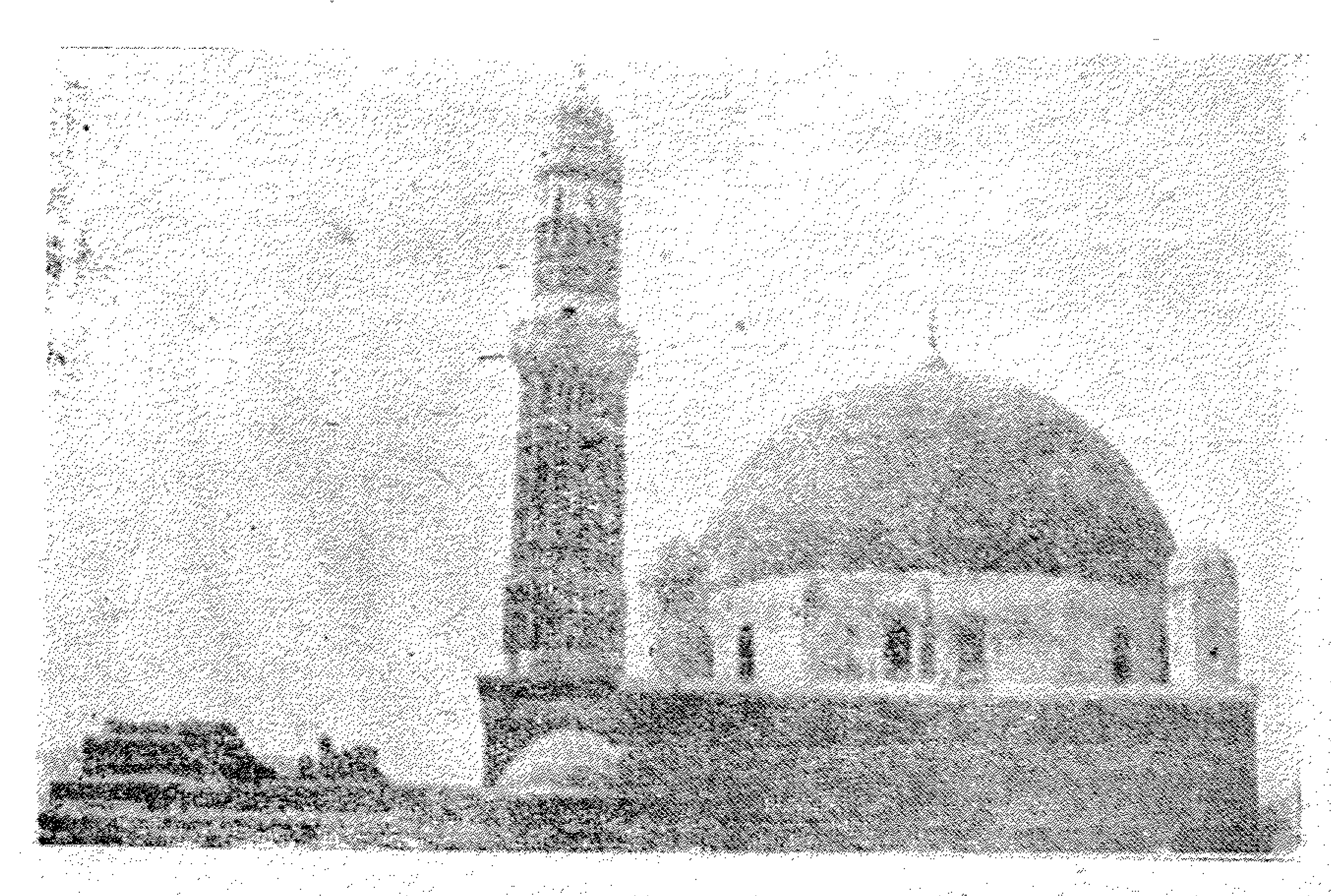
المنارة الأخرى للجامع الكبير بصنعاء



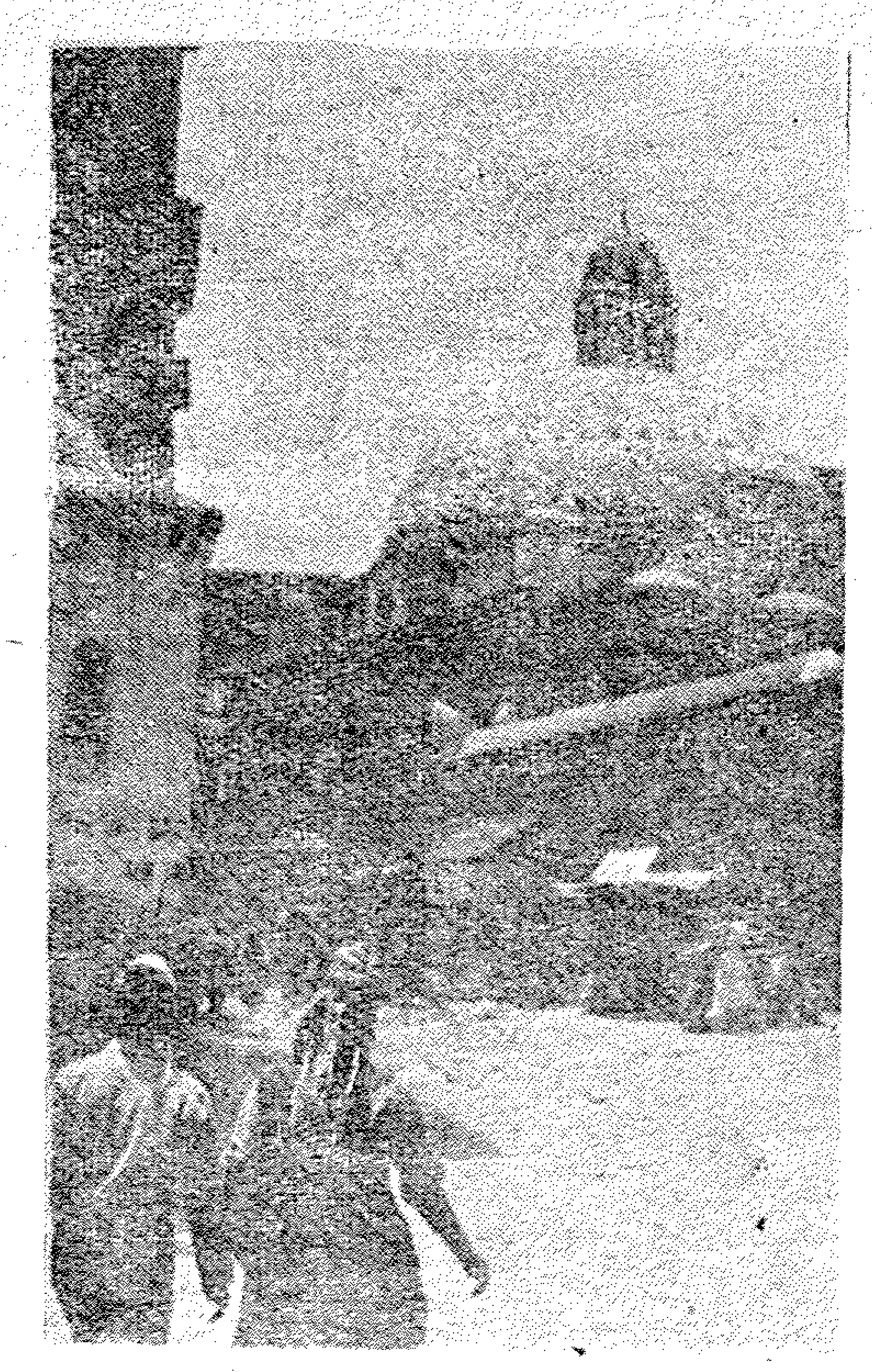
صنعاء: قبة المهدى عباس (القرن الثانى عشر الهجرى)



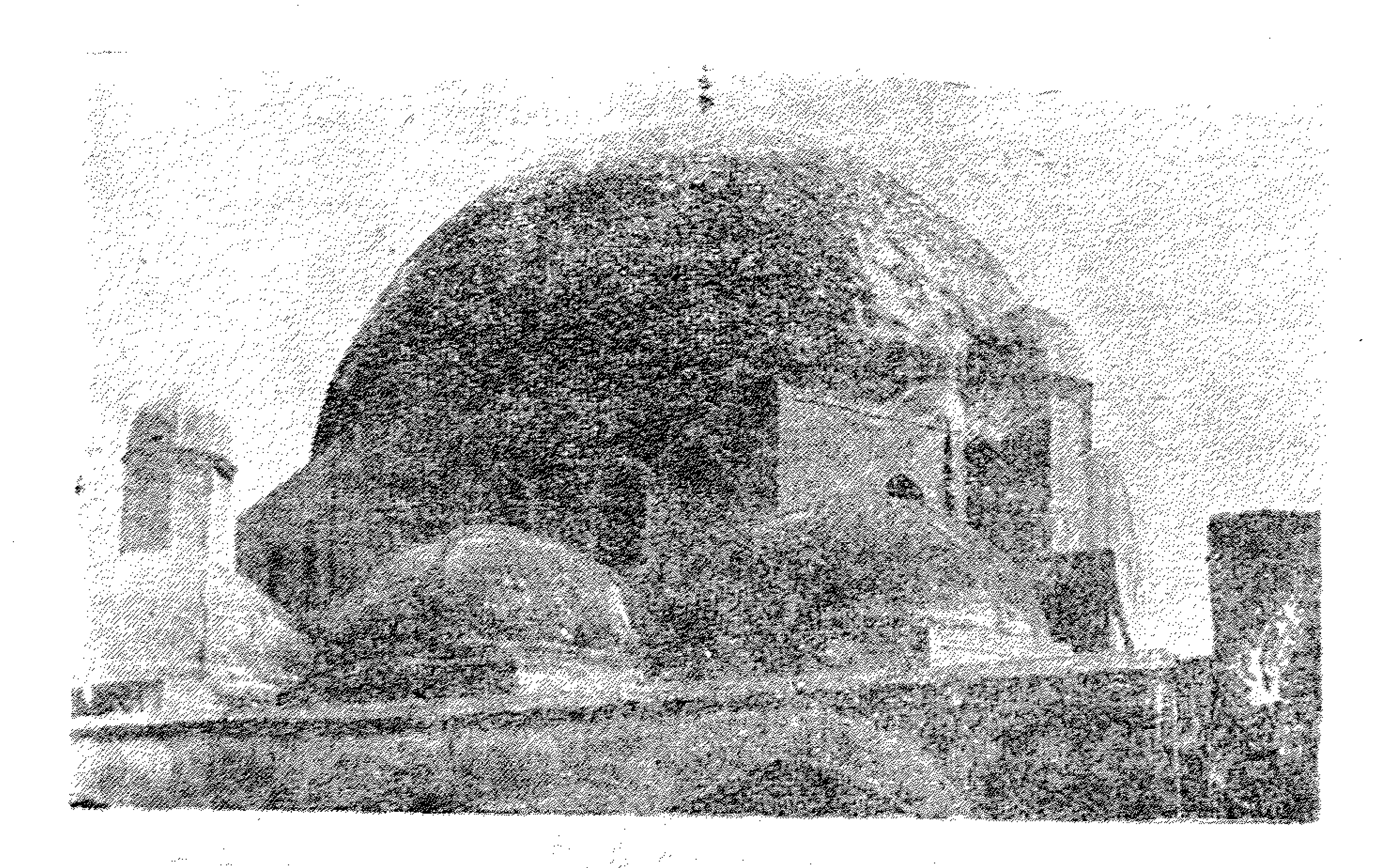
مسجد الإمام صلاح الدين . (القرن الثامن الهجرى)



صنعاء : قبة البكيرية (أوائل القرن الثالث عشر للهجرة)



صنعاء :قبة طلحة (القرن الثانى عشر الهجرى)



صنعاء : قبة المتوكل، بناها المتوكل يحي بن محمد حميد الدين سنة ١٣٥٥ ه

(مراجع الكتاب)

١ — الأبحاث المسدّدة	لصالح بن مهدى المقبلى	مخطوط
٢ — الأساس	للإمام القاسم بن محمد	«
٣ — إرشاد السالك إلى أوضع المسالك لمحمد بن أحمد مشحم		«
٤ — الامام زيد	لمحمد أبو زهرة	القاهرة ١٩٥٩
٥ — أنباء الزمن	ليحيى بن الحسين بن القاسم	مخطوط
٦ — أئمة اليمن	لمحمد بن يحيى زبارة	تعز ١٣٧٥
٧ — البحر الزخار	للإمام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى	القاهرة — ١٩٥٠
٨ — البدر الطالع	لمحمد بن على الشوكانى	« ١٣٤٨
٩ — الروض النضير	لحسين بن أحمد الحيمى	« ١٩
١٠ — السلوك فى أخبار العلماء والملوك لبهاء الدين الجندى		مخطوط
١١ — شرح رسالة الحور العين لنشوان بن سعيد الحميرى		القاهرة — ١٩٢٨
١٢ - الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن للدكتور حسين الهمدانى		«
١٣ — ضحى الإسلام	لأحمد أمين	« ١٩٦٢
١٤ — ضوء النهار	للحسن بن أحمد الجلال	مخطوط
١٥ — طبقات الخواص	للزبيدى	القاهرة
١٦ — طبقات الزيدية	لإبراهيم بن محمد بن القاسم	مخطوط
١٧ — طبقات فقهاء اليمن	لعمر بن على بن سَمُرة الجعدى	القاهرة ١٩٥٧
١٨ — العلم الشامخ	لصالح بن مهدى المقبلى	« ١٣٢٨
١٩ — العواصم والقواصم	لمحمد بن إبراهيم الوزير	مخطوط
٢٠ — غاية السؤول	للحسين بن القاسم	«

٢١— فجر الاسلام لأحمد أمين القاهرة ١٩٦٢

٢٢— الفصول اللؤلؤية لصارم الدين بن الوزير مخطوط

٢٣— فضائح الباطنية لأبى حامد الغزلى القاهرة ١٩٦٥

٢٤— القلائد فى تصحيح العقائد للإمام المهدى أحمد بن يحيى مخطوط

٢٥ — الكاشف لذوى العقول لأحمد بن محمد لقمان صنعاء ١٣٥٦

٢٦— كشف أسرار الباطنية
لمحمد بن مالك الحمادى القاهرة ١٣٧٥

٢٧— المسائل المرضية فى الخلاف بين السنة والزيدية
لمحمد بن إسماعيل الأمير مخطوط

٢٨— مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن صالح بن أبى الرجال «

٢٩ — معيار العقول فى علم الأصول الإمام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى «

٣٠— الملل والنحل للشهرستانى «

٣١— الموسوعة العربية الميسرة القاهرة ١٩٦٥

٣٢— النظريات السياسية الإسلامية للدكتور محمد ضياء الدين الريس « ١٩٦٠

٣٣— اليمن عبر التاريخ لأحمد حسين شرف الدين « ١٩٦٤

(فهارس الكتاب)

١ — فهرس المواضيع

صفحة

٢ ـ فهرس الأعلام والقبائل

(ا)

(ب)

(ت)

(ح)

(م)

٣ - فهرس الأماكن

---

(١) اكتشف المؤلف مؤخراً أن (الكلاع) اسم لمعبد كان بظفار يحصب يعود بناؤه إلى القرن الرابع للميلاد أنظر النقش رقم (٥٧) فى الجزء الثانى .

(٢) جاء لقباً للاله (ود) أحد المعبودات القديمة فى اليمن والتى تعود إلى ما قبل ثلاثة آلاف عام . أنظر النقش رقم (٦٤) فى الجزء الثانى .

إستدراكات مطبعية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٢	هدِم	هدّم
٧	١	أقبال	أقيال
٧	١١	أمسّ	أمسُ
٨	٢	عمان	يمان
٩	١	معهم	معهما
٢٦	١١	مصرّف	مصرِّف
٢٦	٢١	إبراهيم بن الحسين بن القاسم	إبراهيم بن محمد بن القاسم
٣٠	٩	مدر	دبر (*)
٥٣	١٠	سفهنة	سهفنة
٥٤	١٦	كُديس	كُديش
٦٠	٢	تنتمى	ينتمى
٦٢	١٧	أبي الحنفية	بن الحنفية
٩٤	١٩	العلاق	العلاف
١٠٣	١٨	حسن الهمدانى	حسين الهمدانى
١٧١	١٠	الفتح القدير	فتح القدير
٢١٠	٦	الحسن بن القاسم	الحسين بن القاسم
٢١٣	١٩	أحمد الزحيف	محمد الزحيف
٢١٤	٢٠	إتفاق	إتفاقاً
٢٤٢	١٦	أحمد بن صلاح	أحمد محمد بن صلاح
٢٧١	٥	غرب الله	غارب الله
٢٨٩	١٤	زيد	زبيد
٢٩١	١	أولو	أولى

(*) جاء هذا الاسم فى بيت الشعر التالى :

لابد من صنعاء وإن طال السفر ونقصد القاضى إلى هجرة (مدر)

وقد أدرج خطأ ضمن ترجمة حجر بن قيس المدرى والصحيح أنه تابع لترجمة القاضى إسحق الدبرى الذى جاء بنفس الصحيفة فلينظر هناك .

تعريف بالمؤلف

ولد بـ (صنعاء) سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) من أسرة تتصل بالإمام شرف الدين ، وقد نشأ بصنعاء ودرس فى مدارسها .

تخرج سنه ١٣٦٢هـ (١٩٤٣ م) من المدرسة الثانوية بشهادة وزارة التربية والتعليم ، ثم التحق بمدرسة الكتاب حيث تخرج منها بشهادة سنة ١٩٤٥ ، وفى نفس العام رحل إلى (صعدة) حيث عكف خمس سنوات بمدرسة دار العلوم.

وفى سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) عين عضـواً بديوان الإمام أحمـد ، ثم فى سنة ١٩٦٢ عين عضوا بلجنة التأليف والنشر إبـّان تشكيلها ولا يزال بها حتى الآن .

زار الكثير من أقطار الشرق الأوسط وأوروبا . وفى سنة ١٩٦٤ انتدب من قبل الحكومة اليمنية لحضور ندوة بكين العلمية ، وفى سنة ١٩٦٦ زار الإتحاد السوفيتى بدعوة من اتحاد الكتاب السوفيت .

يجيد اللغة الإنجليزية ويتكلم الإيطالية ، أول مؤلفاته :

" Yemen : Arabia Felix "

وقد طبع فى روما سنة١٩٦١ و « اليمن عبر التاريخ » الذى يعد الآن لطبعه للمرة الثالثة .

أصدر حتى الآن من هذه السلسلة «تاريخ اليمن الثقافى» أربعة أجزاء ، وبقية الأجزاء تحت الطبع .

كتب أخرى للمؤلف

١ ـ اليمن عبر التاريخ :

دراسة جغرافية ، تاريخية ، سياسية ، شاملة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى سنة ١٩٦٢ للميلاد ، مزينة بالصور والخرائط .

٢ ـ أنساب قحطان :

فى أصول القبائل اليمنية ، وأنساب حمير وكهلان ابنى سبأ ابن يشجب ابن يعرب بن قحطان مع مقارنات هامة بين الإكليل والنقوش .

٣ ـ أثار معين وسبأ :

ويتضمن تفاصيل عن رحلات المؤلف إلى المناطق الأثرية فى اليمن ، مع (١٥٨) من الصور الفوتوغرافية والخرائط .

٤ ـ لغات اليمن القديمة :

أبجديتها ، مصطلحاتها ، قواعدها النحوية ، مع نصوص (٤٢) نقشا معينياً وسبئياً وترجماتها .

تحت الطبع

الأدب والأدباء فى اليمن والمهجر .

العادات والتقاليد فى اليمن .

الطرائف المختارة من شعر الخفنجي والقارة : أنموذج من الشعر الفكاهي بلغة اليمن الدارجة .



الثمن ٥٠ قرشاً